

[المطلب الثالث]

[في تراجم السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء]

[حرف الألف]

١ - منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ مهدي الإمام المكناسي.

حاله: فقيه نحوي، مشارك نبيل، ماجد وجيه، وقور أحد الفضلاء الرحالين. دخل الشام والعراق وأفاد واستفاد وكانت له يد في الشعر والأدب. ذكره الذهبي وأورده صاحب بغية الوعاة ونسبه لمكناسة.

مشيخته: سمع من أبي الحسين بن زرقون وطائفة بإشبيلية.

الآخذون عنه: أخذ عنه الحافظ الدمياطي وغيره.

ولادته: ولد سنة ستمائة.

وفاته: توفي بالفيوم سنة ست وستين وستمائة.

٢ - ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني.

حاله: كان عالماً محققاً مدرساً صالحاً زاهداً ممن أوتي الولاية صبياً، وحل من رئاسة العلم والزهد مكاناً علياً، جاهد في العلم والعبادة إلى الغاية القصوي، ورعا وزهداً وإشاراً، متابعاً على البر، متبعاً طريق السلف أحب الناس لمذاكرة العلم، كثير الرغبة في الاجتماع بأهل العلم والفضل، شديد المحبة في المذاكرة، أعلم أهل وقته بالسير وأخبار السلف والعلماء كافة من متقدم ومتأخر. انقطع لخدمة الله تعالى فكفاه ما أهمه، له كرامات كثيرة، منها ما حدث به

١ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ٤١٩/١، تاريخ الإسلام، وفيات (٦٦١-٦٧٠هـ) ص

٢ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ٩٩/١، نيل الابتهاج ٤٢/١.

عنه كبير أصحابه أبو عبد الله بن جميل قال: عرضت لي مسألة فعملت فيها بقول أصبغ، وابن حبيب دون المشهور لعذر، ثم حصل لى ألم شديد، فاعتقدت أنه عقوبة لترك المشهور، ثم زرت الشيخ وأنا متألم فقال له: مالك يا فلان؟ فقلت: ذنوبى، فقال فوراً: لا ذنوب على من قلد أصبغ وابن حبيب.

وكان ربما يرد ما يهدي له من طعام وربما يتفقد المهدي فيجد موجب الرد من شبهة فيه من ضجر أهل البيت أو غيره.

قال السوداني في «كفاية المحتاج» وذكر غير واحد أنه كان خارج البلد في وقت لا يدرك فيه الباب ثم يرويه في البلد، وكان يلبس جيد الكساء فقط يعري رأسه أكثر الأوقات، وكان إذا وجد نوار الربيع أمعن النظر في ألوانه وصفته فيغلبه الحال ويتواجد ويتبخر ويقول هذا خلق الله الآية.

ولد بمكناسة الزيتون وقرأ بفاس.

مشيخته: أخذ عن الإمام موسى العبدوسي، والإمام الأبلبي، وشريف العلماء أبي عبد الله التلمساني، والقاضي سعيد العقباني.

الآخذون عنه: من جملتهم أبو عبد الله بن جميل وناهيك به.

وفاته: توفي عام خمسة وثمانمائة وحضر جنازته السلطان على قدمه.

٣- ومنهم: إبراهيم بن عبد الكريم أبو إسحاق.

حاله: كان فقيها مدرسا بمكناسة الزيتون، يقرر أقوال الأئمة وكلام الناس والمختصرين، ويعلم الصبيان ويدرس المدونة.

وفاته: توفي بعد سبعة عشر وسبعمائة.

٤- ومنهم أبو إسحاق الشيخ إبراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري^(١) من أهل شاطبة).

٤ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/ ٤٠٦، التكملة لابن الأبار ١/ ١٢٢، جذوة الاقتباس

١/ ٨٨، صلة الصلة ٥/ برقم ٨٤.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المجري» وصوابه لدى ابن الأبار الذي ينقل عنه المصنف.

حاله: كان من أهل المعرفة بالعربية واللغة والأدب، وتجول البلاد معلما بها تعلم الطب وقعد للعلاج بطنجة، واستقر آخر عمره بفاس في نحو ست وخمسمائة. قال ابن الأبار في «تكملة» أكثر خبره عن ابن عزير^(١) ذكره ابن عياد وفيه عن غيره.

مشيخته: روى عن أبيه، وأبي عمر بن عبد البر، وأبي الحسن بن سيدة وأبي إسحاق بن خفاجة، وله فيه مدح.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون وهو ابن إحدى وثمانين سنة.

٥- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد القادر الزرهوني.

حاله: كان من صدور كتاب الدولة الرشيدية العلوية الحسنية وأجل حملة الأقاليم بها، أديبا نحرياً منشئاً بليغا وجيها مبعجلا، فقيها نبيها أريحيا مهذباً، ملحوظا بعين الإجلال والإكبار من عظماء دولة السلطان الأفخم مولاي الرشيد بن الشريف بن علي الحسني السجلماسي.

وفاته: توفي عشية الاثنين سابع عشر شعبان عام ألف وثمانين رحمه الله.

٦- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز الخياطي.

من ذرية الولي الأكبر سيدي عبد الله الخياط دفين جبل زرهون.

حاله: فقيه جليل قدوة، ماجد بركة، نزيه عالي المكانة، ولي صالح متبرك به أورده في جواهر السماط وقال: إنه دفين داخل باب الفتوح من فاس، ولم

(١) تحرف في المطبوع إلى «عزير» بالزاي المعجمة في آخره، وصوابه لدى ابن الأبار الذي ينقل عنه المصنف.

٥ - من مصادر ترجمته: الإعلام بمن غير في موسوعة أعلام المغرب ٤ / ١٥٦٠.

٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٧٨٤ وفيه «وفاته سنة ١٣٠٨هـ».

يذكر له غير هذا.

٧- ومنهم: أبو إسحاق إبراهيم بن القائد الطبيب الأندلسي المراكشي ثم المكناسي ثم التونسي.

أحد أطباء الحضرة السلطانية الإسماعيلية.

حاله: طبيب ماهر حكيم عظيم الشأن من أجلاء الحكماء المتقين الكاملين المهارة، الملازمين لسيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، المرجوع إليه في العضلات من الداء، وكانت مسأله كلها متقنة.

وكانت له بمكناس حانوت اتخذها ليقصده الناس للسؤال عن مسائل الطب ولاشتراء الأدوية منه، ثم انتقل إلى تونس واتخذ بها حانوتا لما ذكر وسمي نفسه هنالك محمدا الأندلسي، فغير اسمه لأمر معلوم أحوجه إلى ذلك، والضرورات تبيح المحظورات، كذا أخبر عنه تلميذه ابن شقرون الطبيب المكناسي صاحب الشقرونية المتداولة بين أيدي عامة الناس وخاصتهم، حسبما وقفت على ذلك بخط العلامة الثبت المتقن السيد محمد فتحا الخياط بن إبراهيم المشنزائي - بنون فزاي - الدكالي الأصل، من أولاد ابن إبراهيم الدكاليين بفاس، بيتهم بيت علم وصلاح ومثانة دين ورياسة وجلالة.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد القادر بن شقرون المكناسي مسائل كثيرة من الطب.

٨- أحمد الذهبي السلطان أبو العباس أحمد^(١) الذهبي بن فخر ملوك المغرب وأعظم سلاطينه سيدنا الجد مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني العلوي.

٨ - من مصادر ترجمته: نشر الثاني في موسوعة أعلام المغرب ٢٠٠١/٥.

(١) في هامش المطبوع: قال الحافظ العسقلاني في تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: «والمشهور أن أول من تسمى بأحمد بعد نبي الله ﷺ والد الخليل بن أحمد. لكن زعم الواقدي أنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد. أفاد ذلك أبو بكر بن فتحون في ذيله على الاستيعاب.

آتي الترجمة قريبا بحول الله .

حاله : كان جوادا كريما شفيقا حليما ، وكل ما صدر من الشدة والقساوة وقتل الأنفس في دولته فبالإِزام من العبيد وإكراه له على فعله ، وقد كان قيد حياة أبيه ساعيا فيما يرضي ظاهره ، استخلفه والده بقطر تادلا وغيره حسبما أوضحنا ذلك في «المنزع اللطيف» ولم يسمع عنه ما يريب مدة تقلباته في أطوار الخلافة على والده ، وسيره مبسطة بوافر العطاء الشامل للقاصي والداني .

ولما نقل الله والده إليه - وذلك يوم السبت ثامن عشرين رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف - اجتمع رأي قواد العبيد ذوي الشوكة وأبطال الودايا ورؤسائها ثم العلماء والأشراف والوزراء والكتاب وصدور الدولة على بيعه المترجم فبايعوه بالإِزام لهم من العبيد وزرعوا بيعته بذر الفوضي والعتو ، وأوقدوا نيران الفتن .

وحملهم على اختيار المترجم دون باقي إخوته ما عرف به من الجود والبذل الواسع ، حتى إن الأسير الإنجليزي البحري «تومابلودام» حكى في رحلته المطبوعة باللغة الإنجليزية أن العسكر فرحوا بتوليته لكونه كان يسدل لهم جم العطاء ، ولم يكن والده عهد إليه كما زعم الزياني ، فقد ذكر صاحب «الجيش» أن السلطان العادل مولانا سليمان كان يحكي لهم مراراً أن مولانا إسماعيل لما أيقن بالموت دعا رفيقه وعالم حضرته أبا العباس اليعمدي وأكد عليه في أن يشير عليه بمن يصلح للولاية على المسلمين من بعده ، وكان آخر الأمر بعد الممانعة التامة قوله : يا مولانا ، اعلم أنه ليس لك ولد ، أولاً ولد لك . فقال له السلطان صدقت والله ، وودعه وخرج ولم يعهد لأحد ، قال : وكان مولانا سليمان يحكي ذلك في شأن بعض أولاده ، وأما قول الزياني : إن مولاي أحمد ولي العهد فليس كذلك ، ومن العجب أنه قال إنه سمع هذه الحكاية من مولانا سليمان كما سمعناها منه ولا بعد فيه ثم يقول : إنه ولي العهد ، مع أن مولاي أحمد رحمه الله قيل إنه كان لا ينفع نفسه لعدم صحوه فهو طافح دائما . انتهى .

ولم يعرج على العهد له في «درة السلوك وريحانة العلماء والملوك» مؤلفه العلامة الأصيل، المفوه الجليل، مولانا عبد السلام بن السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله، ورب البيت أدري بما فيه، وأهل مكة أدري بشعابها، ولا سند ولا سلف للزياني فيما تقوله واختلقه، وإنما التقديم والتأخير إذ ذاك كان بيد العبيد حسب أغراضهم الشخصية حسبما علم بالاستقرار من أحوالهم الاستبدادية: أشاعوا أن والده عهد إليه كي لا تشوف نفوس إخوته لمنازعتة الأمر، واختلقوا له طابعا باسمه وكتبوا عدة مكاتب لسائر البقاع المغربية وطبعوها بطابعه مظهرين أن والده عهد إليه بالخلافة من بعده، وموهين بما كان له من الحظوة والمكانة مدة خلافته لديه، وأنه لم يحفظ عنه إذ ذاك ما يدنس سمعته أو ينتقد عليه، وأوعدوا من شق عصا طاعته بما يلزم البغاة المحاريين، وصرحوا بكيونوتهم عند أمره في الشدة والرخاء والمنشط والمكره، والحال أنهم مصرون على خلاف ذلك إن لم يكن رهين نظرهم.

ولما شاهد أهل مكناس الجدد من المترجم وأنه عزم على تدمير مدينتهم بما نصبه عليها من المدافع - حسبما ذكر ذلك الأسير تومي الإنجليزي في رحلته ونقله عنه مختصر الرحلة صحيفة ٩ - بايعوه خوفا من تدمير المدافع وصولا العبيد وقواهم على الامتثال ما سمعوا المترجم يعلن به من أنه لا يقبض من الرعية غير الزكوات والأعشار فتمت له البيعة بمكناس.

وبلغ نعي والده أهل فاس - وقد كانوا قاموا قومة شنعاء في وجه عاملهم أبي علي الروسي - فاجتمع العلماء والأعيان وذوو الحل والإبرام بالضريح الإدريسي الأزهر وبايعوا المترجم وأوفدوا عليه بيعتهم للعاصمة المكناسة جماعة مؤلفة من وجوه الأشراف والعلماء والتجار وذوي الحيشات، وقلوبهم مملوءة رعباً بما صدر منهم من الإيقاع بعاملهم المذكور ونهب أمواله، معتقدين أنه يقابلهم بما يقابل به من ارتكب ما ارتكبوه من الإجرام لا يدرون أي باب من أبواب الاعتزاز

يلجئون، ولما مثلوا بين يديه لم يبال بما اقترفوه ولا رفع لافتياتهم رأساً كأنه لم يكن له أدنى علم بذلك الحادث الجلل، مع أنهم قتلوا العامل وثمانين من أصحابه كما في اختصار رحلة تومي الإنجليزي. بَلْ هَشَّ، وبَشَّ، وأَكْرَمَ، وعَظَمَ، وخص كل واحد على حدته بعطاء له بال، وأجري عليهم ببلادهم جرايات مشاهرة ومسانهة ورشح الفقيه السيد محمد المسكيني لقضاء فاس والطيب المريني لحسبتها ولعمالتها القائد محجوب العليج، ورجع الوفد الفاسي يرفل في حلل النشاط والانبساط بعد الخوف والقنوط، وفي اختصار رحلة تومي الإنجليزي التصريح بأن أهل فاس تأخروا عن البيعة، ولعله شيء تخرصه أو تأخر نسبي، وإلا فسياق أحواله يقتضي أنهم بادروا بالبيعة قبل غيرهم والله اعلم.

ثم وردت البيعات من سائر الأصقاع المغربية على الحضرة السلطانية وتلقي الوافدين على اختلاف طبقاتهم بكل بشاشة وطلاقة، وأحسن لكل فرد منهم على حدته، وأكرم مثواه، وأتبعه الكرامة حيث سار ورد كلا على منصبه الذي تركه فيه والده وأفاض المال ووصل سائر الرعية بصلات سنية فأجبتة القلوب واطمأنت النفوس وابتهجت وفرحت الرعية واستبشرت.

ولما رأى العبيد أن الملك لازال قائماً تسوسه ساساته المهرة الذين حنكتهم التجارب وأثمرت غروس الإخلاص والصدق للملك في قلوبهم ونبذهم مخازي الشهوة والأغراض الشخصية وراءهم ظهرياً، طبق حال تنظيم المملكة أيام والد المترجم، أظلم الجو في أعينهم حيث حيل بينهم وبين ما يشتهون من نهب بيوت الأموال، وجعل الإمرة ألعوبة بين أيديهم وكبر ذلك عليهم، وعلموا أنه لا سبيل لتحصيلهم على أعراضهم الفاسدة ما دامت المناصب عامرة بأربابها ذوي النجدة والأفعال السديدة والآراء المصيبة والسياسة المؤسسة البنيان، على تقوي من الله ورضوان.

واتفق رأي كبرائهم على أن يوسوسوا للسلطان في أركان الملك ويختلفون لهم معاييب يلصقونها بجنبهم ويدسون لهم دسائس حتى يوغروا قلب السلطان

عليهم ويبالغون جهدهم وطاقتهم في إغرائه على قتلهم وتظافروا على ذلك: فصار كل من اجتمع منهم مع السلطان يبدي له دسائس في قوالب نصائح ويقول له يا سيدي: إن ملكك لازال إلى الآن لم يتم، ولا يؤمن عليك من هؤلاء العمال والوزراء والكتاب الذين كانت بيدهم مقاليد الملك أيام والدك، فإنهم لا يرونك شيئاً وأنت محجوب بهم عن الرعية، ولا بد من قيامهم عليك وتقديم غيرك من إخوتك وترشيحه للملك دونك، وكان المترجم يميل إليهم كل الميل لضعف فكرته عن السياسة، وتدبير أمر الملك والرياسة، أي ولكونه مغلوباً على أمره يخاف بأسهم ولا يري رأياً إلا رأيهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولما تمكنوا منه وأوغروا صدره على من بيده الحل والإبرام من ولاة أمره وأمر والده من قبله أغروه أي بعد أن أقاموا له الحجج على الفتك بأركان السياسة الذين هم للملك عماد كأبي العباس أحمد بن علي اليازغي وكان عامل الجبال كلها سهلها ووعرها نافذ الحكم فيها، يرسل رسولا واحداً في قضايا متعددة فتنفذ الأوامر كلها وفق ما أمر في أقرب الأوقات، ويأتي الرجل الواحد إليه بالمساجين العديدة من صياصي الجبل والقبائل العظيمة من غير قيد ولا يحدث أحد نفسه بالهروب لعلمه بنفوذ كلمته وطول يده في طول البلاد والعرض، وأنه لات حين مناص، وقد كان هذا العامل ناصحاً للسلطان يجمع المال من وجوهه ويودعه في خزائن السلطان يبذل النصح ولا يعرف غشاً ولا خديعة، وكان السلطان مولاناً إسماعيل يعرف أمانته وصدقه وينزله منزلته ويقدره قدره ولا يسمع فيه مقالة طاعن.

وعلى بن يش: وكان قائد أهل الديوان وعامل البربر ورئيس العمال، وكان من ذوي الرأي والتدبير والعقل الراسخ، لا يقدر أحد من البربر أن يملك فرساً ولا مكحلة ولا يحوم حول ذلك، وبسبب ذلك صارت رءوس الجبال البربرية الصعبة المسالك تمر فيها الأطفال وضعاف النساء في أمان واطمئنان لا يلحقهم أدنى مروع

ولا مشوش .

وابن الأشقر: وكان عاملاً على جبل زَرْهُون، وعلى يده أعشار البوادي والخواضر من زروع ومواشي وزيوت وغير ذلك، وكان عليه مدار الجيوش، وإليه مرجع أمرها ذا رأي مصيب وثبات ونصح وإخلاص وتيقظ وحزم وعزم.

وحاجبه المملوك الخصي مرجان الكبير وكان بيده دفتر الداخل والخارج لا يطلع على ذلك غيره قريب أو بعيد، وكان العارف بالعوائد الجارية في الصلات مسانئة ومشاهرة، وما يدفع للجيوش وغيرهم في الأعياد والمواسم وغيرها لا يعرف ضبط ذلك وتحقيقه غيره، وقد كان محور شئون الدولة على هؤلاء الأربعة يدور لتحقيق متبوعهم صدقهم وأمانتهم وسياستهم وكياستهم وعلمهم من أين تؤكل الكتف بعد السبر والامتحان والاختبار.

وبموت هؤلاء الأربعة احتل النظام وضربت الفوضى والاستبداد الأطناب، ووقع من العامة استخفاف عظيم بأمر المملكة واشتد النهب في الطرقات وأغلقت المسالك، ولم يأمن المسافر من الوقوع في المهالك.

وحصل أهل الزيف على غاية مناهم وكثرت الشكوي بباب السلطان والسلطان داخل قصوره ضارب صفحا عما وراء بابه لا يسمع شكوي ولا ينتصر لمظلوم من ظالم، أي لكونه أسند الأمر لرؤساء العبيد المتعصين، وذوي السلطة ومن لا ينفذ له أمر دونهم.

ومن جملة من قتلوه وصلبوه الفقيه العلامة القاضي الوزير السيد محمد بن

(١) وكذا رواية صاحب الاستقصا ٥٨/٧ - ولديه: والحرطاني معناه في عرف أهل المغرب: العتيق، وأصله الحر الثاني كأن الحر الأصلي حرٌّ أول، وهذا العتيق حرٌّ ثان، ثم كثر استعماله على الألسنة فقليل الحرطاني على ضرب من التخفيف.

العياشي الذي كان بيده دواوين الحراطين^(١).

ثم نظروا فيمن بقي شجي في نحورهم يحول بينهم وبين تمام مرادهم فلم يجدوا غير الحاجب المملوك الخصي مرجان الصغير فقتلوه، ثم قتلوا عامل مكناسة ابن عدو، ثم أشاروا بقتل من بقي ممن يشار إليه بجودة الرأي وحسن التدبير، والنصح للأُمير، حتى خلا لهم الجو واتسع الخرق على المرتق.

فبموت أحمد بن علي اليازغي ثار أهل الجبال وأضرمت نيران العتو والفساد ورفضت الأوامر السلطانية وانقطعت الجبايات وانتشر العيث والنهب في الطرق واتبعت الأهواء.

وبموت علي بن يشو خرج البرابر من السلاسل والأغلال وتنافسوا في اشتراء الخيل والسلاح، ورجعوا لحالتهم الأولى من سفك الدماء وقطع الطرقات، ولم يبق لهم زاجر ولا رادع.

وبموت ابن الأشقر كف الزراينة عن الأداءات وتحصنوا بجبلهم خوفا من البربر وصمموا على قتال من اتأهم وضاعت أعشار القبائل وزكواتهم ولم يعرف منها نكير ولا قطمير.

وبقتل مرجان الكبير جهل الخارج ولم يدر قدر الداخل وأحرقت الدفاتر الحافظة لذلك، وبسبب ذلك نال العبيد مناهم وحصلوا على ضالتهم المنشودة.

ولما اختل النظام وتفاحشت المظالم وأكل القوي الضعيف واضطربت الأحوال، واشتبكت الأهوال، وثارت الثوار بسائر النواحي خرج المترجم من دار الملك وأفاض المال وزاد للعبيد فوق المعتاد ظنا منه أن ذلك يجدي في رتق ذلك الفتق العظيم، ثم رجع لقصوره أي حيث رأي أنه لا سبيل له لأكثر مما فعل.

قال في «نشر المثاني» ووقعت هدنة بين الناس عن الحرب، إلا أن أهل فاس رفضوا جميع ما كان يجري عليهم من الوظائف السلطانية وحملوا الأسلحة وركبوا الخيل، وضحج الناس بالفرح والسرور، واشتغلوا بالملاهي في النزعات والتألق في (١) في نشر المثاني: «والهذيان».

اللباس والجلوس في الطرقات أفواجا مقبلين على اللهو واللعب والسريان^(١) في كل متسع من أزقة فاس، ولم يبق للأحكام السلطانية نفوذ فيها بل في سائر المغرب، وليس للسلطان سوى الدعاء على المنابر والاسم، وكمل العام كله على هذه الحالة - يعني عام تسعة وثلاثين - وكثر في المغرب الفتن والأهوال فكان هذا هو الأصل في الفتن التي ظهرت بعده. اهـ. من النسخة الصحيحة من نشر المثاني^(١) قاله في الدر المنتخب.

ومن جملة من ثار، وسعي في الأرض الفساد من الثوار: أحمد بن علي الريفي واللصوص وقطاع الطريق ونهض بتلك الجيوش يريد دخول تطاوين ومبايعة أهلها له - وقائدهم إذ ذاك عمر الوقاش آتي الترجمة في حرف العين بحول الله وقوته - فقابلوه بأفواه القنابل ووقع بينهما قتال عظيم مات فيه كثير من الفريقين، قيل إنه دخلها وهم بأهلها فانتصروا عليه وصدوه.

والذي صححه في «الدر المنتخب» أنه لم يدخلها، وأن الكرة كانت عليه من أول الأمر، ودعا الوقاش لنفسه وكثر الهرج والمرج واشتعلت نيران الفتن، وكتب أهل تطاوين للسلطان المترجم وقصوا عليه القصص وشرحوا له ما هم فيه من الضيق والحرج وطلبوا نصرته وتعزيزهم بجيش ينكس أعلام البغاة المتمردين ويكسر شوكتهم كي ترجع المياه إلى مجاريها ويستتب الأمن في تلك الناحية.

ولما وصلته رسلهم بالكتاب وعلم فحواه، وأحاط علما بسره ونجواه عرضه على المسيطرين عليه من أعيان العبيد وهو إذ ذاك مضروب بأعلى يده من جانبهم فأجابوه بأن هذا الأمر لا يهم ولا يرفع إليه رأس، لأن عادة أهل الريف مع جيرانهم العداوة والقتال دائما، ولو علمنا أن الريفي ادعي هذا الدعوى لبادرنا إلى قتاله وأبدناه بجيوشه وصيرنا جميعهم في خبر كان، فاستصوب رأيهم قائلا هذا رأيي، ولم يدر أنهم إنما اتصلوا خوفا على أنفسهم وركونا للراحة لعلمهم أن الجيش الذي يبعثه السلطان لا يكون إلا منهم، فاختاروا الراحة وأعرضوا عن

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٠ في موسوعة أعلام المغرب.

مصالح الإسلام والمسلمين، وبقيت رسل أهل تطوان منبوذة بالعراء لم يبال بها أحد مسنداً الأمر لغير أهله، وإذا أُخبر بحادث جلل، يقول: كل ما قدر الرحمن مفعول.

ولما رجع رسل تطوان إلى بلدهم وأخبروهم بحقيقة الحال وأنه لاسلطان في الحقيقة، وإنما هي فوضى منتظمة من شهاوي وأغراض قاموا في تحصين بلادهم على ساق واشتد القتال بين الريفي والقبائل التي أبت من متابعته على هواه وكان النصر حليفهم والخذلان قرين الريفي إلى أن قتل وأراح الله منه البلاد والعباد.

وفي اختصار «رحلة تومي» الإنجليزي صحائف ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ما فيه بعض مخالفة لما ذكره صاحب «الدر المنتخب» في الجملة وذلك أنه حكى أن الباشا أحمد هو الذي كان عاملاً على تطوان، وأن أهل تطوان ومجاوريها من الجبال هم الذين قاموا على العامل المذكور مع رئيس الفتنة إذ ذاك بليز، فقاموا على الريفيين ونهبوا أموالهم وقتلو منهم من لم يدخل معهم في أفتياتهم، فطلب الباشا أحمد الريفي الإعانة على أهل الجبال ومن أقاموا الفتنة من أهل تطوان فامتنعوا، فعند ذلك وجه إليهم عسكر سبته فامتنعوا من تلييته وأن أخاه والي طنجة لما علم بما ذكر لحق بأخيه أحمد المذكور في خمسمائة فارس، ولما وصل تطاوين ولاه أخوه أحمد مكانه بتطاوين وترك معه أدالة من العبيد وخرج هو في أثر الثائرين، ثم إن أهل تطاوين لم يقبلوا أخا الباشا عاملاً عليهم فحصره في داره وعند ذلك أمر الأخ الذي بتطاوين بإيقاد النار في دار البارود فانهدت وانهد ما حولها من الدور، ثم هرب العامل مع لفيف من أصحابه إلى بعض الأضرحة، ثم إلى طنجة، وأن أهل تطاوين أكلوا داره ونهبوا أجنته وأمتعته، ووجهوا بيعتهم للذهبي وأخبروه بأن سبب قيامهم على العامل هو ظلمه لهم فليحرر.

ولما علمت القبائل حقيقة ما صار إليه الأمر بعد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل نبذوا الأوامر السلطانية وراءهم ظهرياً وامتطوا متن الاستبداد، وماجوا في

الأرض بالفساد، وأكل القوي الضعيف واشتدت شوكة البربر وعظمت ولم يبق إلا النهب والسلب واشتد الضيق بمكناسة والسلطان بها، حتى صار خارجها مسلوبا، وداخلها منهوبا، تغير البرابر على سرحها وتمنع أهلها من العمل بجنتها.

ولما تيقن العبيد أن السيل بلغ الزبى، أجمعوا رأيهم على أنه لابد من شد الوطأة على متمردة البرابر وكسر شوكتهم قائلين إنهم آذونا وآذوا جوارنا واستضعفونا، ونحن ما مات سيدنا حتى تركنا أصحاب قوة وبأس شديد، يذيب رعبنا الحديد، فركب منهم ما يزيد على الخميس ألفا وأغاروا على سرح البرابر في سائر الجهات والنواحي ورجعوا لمكناسة من غير أن يتعرض لهم بربري ثم اجتمع رؤوس البربر ووجوه العبيد واتفق رأيهم على أن البرابر لا يتعرض لهم أحد داخل المدينة ولا خارجها، وأن البرابر لا يتعرضون لمن أتى لمكناسة ولا لمن خرج منها. انتهى، ما يعول عليه مما ساقه أيضا في «الدر المنتخب» وهذا بعض ما جري عام تسعة وثلاثين الذي جلس فيه المترجم على عرش مملكة والده المقدس.

أما عام أربعين فقد قال العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالي في «تقاليد التاريخية» ما نصه: وفي ضحي يوم الخميس رابع عشر ربيع الأول عام أربعين أغار الوداية على سوق الخميس، واشتغلوا بالسلب والنهب وضربوا الناس بالرصاص، فانتدب أهل فاس لقتالهم من الزوال إلى الغروب من جهة المرس، فقبض الأوداية على بعض أهل فاس وسجنوهم بفاس الجديد، وفي آخر النهار أخذ أهل فاس قصبة شراكة واستولوا عليها.

ثم بالغد وقع قتال أيضا بظهر الرمكة، ثم يوم السبت وقع قتال بينهم بناحية بستيون باب الجيسة وكانت الغلبة لأهل فاس.

ثم وقع الصلح بينهم يوم الأحد وذلك بروضة سيدي أبي بكر بن العربي نفع الله به وسرحوا المسجونين بعد أن قتلوا منهم طائفة، ثم أخذ الأوداية في قطع

الطريق .

ومن الغد جاء كتاب من عند السلطان يسأل عن الظالم من الفريقين وقرئي بمنبر مولانا إدريس ، ثم لما سمع الحيانة وشراكة وأولاد جامع بهذا الأمر جاءوا إعانة لأهل فاس ظنا منهم أن ما فعله الأوداية ليس بإذن السلطان ، فلما تحققوا أن ذلك بإذنه انصرفوا لموضعهم وبقي الأمر يروج إلى يوم الأربعاء الموفي عشرين خرج الأشراف والعلماء بقصد الملاقاة مع السلطان .

وفي يوم الخميس بعده وقع قتال بباب الفتوح وحضر فيه الحيانة ومن انضاف إليهم وبقي من خيل الأوداية نحو من ستة وثلاثين ، ووقع قتال بالوادي المالح بباب الجيسة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر ومات فيه من أهل فاس نحو الستة .

وفي الرابع والعشرين جاء شريف ممن ذهب لملاقاة السلطان وأخبر أنهم لم يتلاقوا مع السلطان وأن على ويش أمر بهم فسجنوا إلا هذا الشريف بخصوصه ، وجاء كتاب من أخت الأمير تهددهم فيه وتذكر أموراً تقتضي أنهم ظالمون ، ثم أجاب أهل فاس عن الكتاب المذكور وبقي الأمر يروج إلى يوم الثامن والعشرين قدم جماعة من عبيد مشرع الرملة يبحثون عن حقيقة الأمر لأن الوداية كتبوا لهم أن أهل فاس شقوا العصا على السلطان ، فأضافهم أهل فاس أحسن ضيافة وأخبروهم بحقيقة الأمر ، وانصرفوا يوم السبت الموفي ثلاثين ، وفي عشية هذا اليوم وقع قتال مع محلة جاءت من عند السلطان قرب بستيون باب الفتوح ولم يمت فيه أحد من أهل فاس .

ثم صار السلطان يبعث البعوث ويكثر الجيوش لحصار فاس وأمرهم بالتضييق على أهلها وقطع عنهم الداخل والخارج وركب الأنفاض والمهاريز ليرمي بها البمب .

وفي ثاني ربيع الثاني رمي البمب على فاس سبع مرات ولم تضر أحداً، وركب أهل فاس نفصاً بالزيات يرمي لناحية المحلة النازلة بظهر الرمكة ثم كتب أهل فاس كتاباً لعبيد مشرع الرملة.

وفي زوال يوم الأربعاء رابع الشهر المذكور وقع القتال أيضاً بقنطرة ابن طاطو مات فيه من أهل فاس نحو الستة.

ومن الغد وقع قتال كبير واشتد من الزوال إلى الغروب بالموضع المذكور ومات فيه من أهل فاس نحو الثمانية ومن غيرهم عدد كثير، وفي صبيحة هذا اليوم هدم أهل فاس المنزه الذي بدار أبي على الروسي ونهبوا دار صهره المزوار.

وفي الثاني عشر من الشهر كان قتال كبير بناحية باب الحديد، وامتد من الضحي إلى الغروب، مات فيه من أهل فاس نحو الثمانية ومن غيرهم من أهل المحلة نحو أربعين رجلاً ونحو الثلاثين من الخيل. وفي عشية هذا اليوم قدم الأشراف الذين كانوا مسجونين بمكناسة ومعهم مولاي المستضيء^(١) وأشراف مكناسة ليوقعوا الصلح بين الفريقين، ثم ذهب مولاي المستضيء مع جماعة من أعيان أهل فاس من أشراف وعلماء وتلاقوا مع السلطان ففرح بهم وسامحهم، وقال لهم: أرسل ولدي يسكن معكم وهو أمان بيني وبينكم، وقدم الذين ذهبوا مع مولاي المستضيء يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني المذكور بين المغرب والعشاء وضجت المدينة وظنوا أنهم عدو فتبين خلاف ذلك بعد ما وقع الحزام^(٢).

وفي السادس والعشرين ورد أبو فارس ولذا السلطان، وتلقاه الناس بظهر هو بالناس، ثم إن بعض الشياطين من الناس أسرّ في أذنيه أن أهل فاس عزموا على

(١) في نشر المثاني - ص ٢٠٤ في موسوعة أعلام المغرب، إشارة إلى بعض هذه الأحداث.

(٢) في هامش المطبوع: «يريد بالحزام أخذ الأهبة - وسيعيد هذا المؤرخ - أعنى ابن إبراهيم - مثل هذا التعبير العامي.

قتلك إن دخلت إليهم فنكص على عقبيه وولى هاربا، فوقعت رجفة وأخذ أهل فاس بعض أصحابه وقتلوه وبات مولاي أبو فارس بالمحلة وتغير الناس لذلك وبالغد أرسلوا إليه وألأنوا له القول واصطلحوا معه وأتى إلى المدينة معهم.

وفي التاسع من جمادي الأول رحلت المحلة عن فاس بعد ما أصابتهم المشقة العظيمة من الكور والبمب. وفي يوم السبت الثالث عشر من الشهر خرج القائد المحجوب هاربا، وقد كان أهل فاس أعطوه الأمان حين كان القتال مع السلطان. وفي عشية هذا اليوم وقع الشر أيضا بين أهل فاس والوداية عند بستيون باب الجيسة.

وفي العشرين كان آخر شر بالمحل المذكور وامتد إلى الغروب ومات كثير من الوداية ومن أهل فاس نحو خمسة عشر رجلا وجرح كثير منهم.

وفي الثالث والعشرين كان شر كبير عند باب الجيف بفاس الجديد، وذلك أن أهل فاس اتفقوا أن يذهبوا لفاس الجديد ويأخذوها قهرا، فتحزموا وخرجوا على ظهر الرمكة بعدد كثير، فلما رآهم الوداية أيقنوا بالهلاك وتحققوا أنهم لا يقدرّون على ملاقاتهم، ثم إن الله تعالى ألقى في قلوب أهل فاس الرعب فرجعوا من حينهم هارين وتبعهم الوداية بالقتل والضرب والسلب والنهب، ومات منهم ما بين مفقود وساقط في الوادي ومقتول ما ينيف على عشرين.

وفي يوم السبت خامس جمادي الثانية وقع قتال بوادي المالح خارج باب الجيسة، واشتد من الزوال إلى الليل مات من أهل فاس نحو العشرين ومن الوداية أكثر من ذلك.

وفي ليلة الجمعة الخامس والعشرين رموا على فاس سبعة من البمب. ومن الغد وقع أيضا شر بالوادي المالح فجاء الوداية بعدد كثير وانهزموا

وقطع منهم أهل فاس رءوسا وقتلوا منهم ما يزيد على الأربعين، وأما الجرحى فكثير، ومات من أهل فاس نحو العشرة، ثم في هذا اليوم نفسه رموا على فاس تسعة من البمب ونزلت في المواضع الخالية، ثم رموا في يومين بين ليل ونهار نحو الثلاثين، ثم رموا تسعا.

وفي يوم الجمعة ثاني رجب وقع حزام قبل الصلاة، وأخرج القائد عبد الوهاب الناس من المسجد خوفا على المدينة، وترك خطيب الأندلس نصر السلطان في الخطبة ونصره خطيب القرويين.

وفي رابع رجب وقع شر كبير لم ير مثله ومع الوداية قبائل كثيرة مات من أهل فاس نحو اثني عشر رجلا.

ومن الغد رموا اثني عشر من البمب.

وفي سادس الشهر جاء جيش عظيم وأحاطوا بالمدينة واجتمعوا بدار ابن عمرو وجاء موسي الجراري إلى باب الجيسة وبعث رسولا يطلب الأمان حتى يتكلم مع علماء فاس، فأجابوه لذلك وتكلموا معه حتى لم يجد حجة وانصرف مع العصر يريد أن يصلح أهل فاس مع السلطان.

وفي الثاني عشر رجب خرج علماء أهل فاس وأشرافها وجماعة من الأعيان صحبة موسي الجراري بعد ما أعطاهم رهائن من قومه تركهم بفاس وقدموا لمكناسة ولم يتلاقوا مع السلطان وإنما تلاقوا مع الدائرة ولم يحصلوا على طائل ورجعوا لفاس تاسع عشر الشهر المذكور.

وفي السابع والعشرين فتح بعض رؤساء فاس باب الفتوح ليلا وأخرج منها بعض أحمال السلع بقصد التجارة على يد بعض أشرف تافيلالت، وقبض من صاحبها نحو العشرة مئاقيل ثم بلغ الخبر للجماعة فأرادوا الانتقام ممن فعله فوقعت

فيه الشفاعة، وكان ممن أراد الانتقام منه مولاي عبد الله بن إدريس وأراد عزل الغرناطي فلم تساعده الجماعة، فبعث إلى موسى الجراوي وقال له: إن أهل فاس أرادوا مولاي إدريس فأخذت الجماعة بخاطره حتى سكن.

وفي يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر وقع شر كبير بالوادي المالح مات من أهل فاس نحو الثلاثين، وجرح نحو الخمسين، ومات من الوداية نحو ثلاثمائة وجرح نحو الثمانين، وصاروا يرمون البمب في اليومين بعد على أهل فاس.

اهـ، ما ذكره ابن إبراهيم ونحوه في نشر المثاني.

قال في «الدر المنتخب» ولما ترك الأمير ما كان عليه والده من القوة وحسن التدبير في الأمور وقع في النكبات، حتى عزل ولم يبق إليه التفات، وهكذا يقع لكل ملك ترك التدبير، وعدم التفرقة بين الأمر اليسير والعسير، اجتمع أهل فاس وغيرهم من أعيان القبائل وصناديدهم - غير الأوداية لم تنتظم في سلوكهم - واتفق رأيهم على خلع المترجم وبيعة غيره ممن يقوم بأمر المسلمين من إخوته^(١). ولما وصل الخبر بالعبيد تيقنوا أنهم إذا لم يبادروا للدخول فيما دخل إليه أهل فاس ومن انضم إليهم يخرج الأمر من أيديهم وينبذون بالعراء ويحال بينهم وبين ما يشتهون من الاستبداد ونهب بيوت الأموال وأكل أموال الناس بالباطل، فأجمعوا أمرهم بينهم وتفاوضوا في تدبير حيلة يدخلون بها على أهل فاس ومن انتظم في سلوكهم من عصبة القبائل، ورأوا أن لا حيلة تخلصهم إلا إظهار الأنفة والضجر من المترجم وتصميم العزم على خلعه لعجزه عن القيام بتدبير أمور الرعية حتى عم الفساد وضربت الفوضى في سائر الإيالة الأطناب، وكتبوا لأهل فاس والوداية، بأن السلطان عجز عن الولاية، وأنه لا بد من تقديم من يقوم بأمر المسلمين، من

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٠٥ في موسوعة أعلام المغرب.

نهباء إخوته المقتدرين، وأن هذا الخرق كان وقوعه منهم وأنهم يريدون جبر كسره على أيديهم وأن مولاي عبد المالك^(١) بسوس هو أحق وأولي بالقيام بأعباء الخلافة ورتق ما تسبب فيه أخوه المترجم من الفتق، وأنهم يطلبون من أهل فاس والوداية الموافقة على هذا الأمر الذي فيه صلاح الأمة وغلق باب التهور والافتيات، فاستحسن أهل فاس والوداية ذلك منهم وتمت الحيلة عليهم وأجابوا العبيد بتحبيذ ما رأوا، وأنهم لا خروج لهم عما أبرموه واتفق رأيهم عليه، ففرح العبيد واستبشروا وأرسلوا إلى مولاي عبد المالك بسوس، ولما بلغه الخبر لبي دعوتهم. وأجاب رغبتهم، وجد في المسير وطوى المراحل وصاحب الترجمة في غمرته ساه.

ولما وصل مولاي عبد المالك لوادي بهت واتصل الخبر بالعبيد دخلوا على المترجم لدار ملكه وألقوا عليه القبض وأخرجوه من دار الملك وسجنوه بالدار التي كانت معدة لسكنائه قبل ولايته على عهد والده، وأحاطوا به شذمة من الحرس لحراسته ونادوا بخلعه والضرب على يده، وقيل: إنهم فعلوا به ذلك قبل تعيين السلطان في سابع شعبان، ومن الغد وصل الخبر لفاس.

وفي تاسع شعبان قدم العبيد إلى مشرع الرملة والعلماء والأشراف على فاس فتهيأ أهل فاس لملاقاتهم في ثمانين ألفاً من الرماة ورحبوا بهم وأضافوهم أحسن ضيافة، وشرحوا لهم عجز المخلوع عن القيام بمصالح الرعية وما آل إليه بسبب إهماله البلاد والعباد، من انعدام الأمن، وتساقط القوي على الضعيف، وأن رأيهم اجتمع على بيعه أخيه المولي عبد المالك لنجدته وشجاعته وحزمه وعزمه وضبطه وحسن سيرته وسياسته وعدله وميله للسلم والإصلاح بين الناس، وأنهم شهدوا منه ذلك في حياة والده حيث خالف عليه وبويع بتارودانت، ففرح أهل فاس

(١) خبر الخلع للمترجم له: أحمد الذهبي ومبايعه أخيه عبد المالك ورد في نشر المثاني - ص

٢٠٠٥ وما بعدها في موسوعة أعلام المغرب.

بولايتيه لأنهم حر كوا معه فكان يحسن إليهم ويواسي ضعيفهم ويصبرهم ويطيب أنفسهم على ما يقاسون من أذى عمال والده، فتوافق الجميع على نصره وخلع أخيه المولي أحمد، وأعلنوا بذلك في الأسواق والأندية، قيل: كان ذلك في عاشر شعبان.

وفي يوم الجمعة رابع عشر منه خطب به على المنابر في سائر المساجد وخلفوا بمكناسة الزيتون ولده، وأبردوا بريدا لمولاي عبد المالك يعلمه بسائر ما وقع ويحثه على تعجيل القدوم عليهم للعاصمة المكناسية، فصار الرسول يطوي المراحل متأبطا المكاتب بشرح الواقع، وبِفُور وصول الخبر لمولاي عبد المالك أسرع السير إلى أن حل بالضريح الإدريسي الأكبر تاسع رمضان، وهناك لحق به وفد شرفاء فاس وعلمائها وأعيانها ورماتها مع القبائل المجاورة لهم فأكرم وفادتهم وأنزلهم بوادي الشجرة بجنان هلال وأفاض عليهم موائد الإنعام والإكرام والصلوات الضافية فسروا واستبشروا.

ومن الغد دخل مكناسة فتلقاه وجوها على اختلاف طبقاتهم وقدموا إليه بيعتهم.

وفي الثالث والعشرين من رمضان شرع في قراءة صحيح البخاري في جمع من أعيان العلماء وأصدر أوامره لجميع القبائل بحضور العيد بحضرته فامثل الكل فغمرهم موائد وصلات وعوائد.

وفي رابع شوال عزل التماق عن قضاء فاس، وولي مكانه العلامة أبا العباس الشدادي وولي العمالة العربي العسعاسي.

ولما تم له الأمر واستقر على عرش ملكه بمكناس قام أهل فاس وغيرهم يطلبون أخذ ثأرهم من أخيه السلطان المترجم وألصقوا به أمورا زعموا أنه ارتكبها

تبعاً لأهل الظلم والتعدي. قال في «الدر المنتخب» نقلاً عن نشر المثاني: إن مولاي عبد المالك، استفتى العلماء في أمور شنيعة شنعوها على أخيه مولاي أحمد توجب القتل لمن ارتكبها وفعلها، وكثر بها الكلام على الألسنة منها طلب أهل فاس أن ينصفهم من أخيه مولاي أحمد المذكور بكونهم لم يخرجوا عنه ولا قدرة لهم على ذلك ولا على حرب من يريد ذلك ولا على موافقته بقول ولا فعل، فنهبت أموالهم وحطبت أشجارهم وهدمت دورهم بالبمب، وماتت نساؤهم وأولادهم وآباؤهم وأهلهم بالهدم، مع أن من ينسب له الخروج عليه لم يتحقق منه ذلك ولم يثبت عليه وإنما يدفع عن نفسه الوداية وغيرهم من الجيش الذين كانوا يذهبون أموالهم ويريدون الوثوب على نساءهم كما فعلوا بالبوادي والحواضر فنسبوا الخروج إليهم ليحصلوا ما أرادوا فيهم، ووشوا بأهل فاس إلى مولاي أحمد ونسبوا لهم الخروج عليه فقبل منهم ذلك من غير ثبوت لهم على أهل فاس، فأطلق يدهم عليهم فخاض العلماء في ذلك ولم تتفق أقوالهم ولا آراؤهم في شيء فلم يجيبوا عن شيء واتفقوا على أن التفويض في ذلك للسلطان يجتهد ويحكم بجتهاده، فاستشار في ذلك كاتبه أبا عبد الله محمد بن أحمد الفاسي فأجابه بأنه لم يتم موجب قتله بما طلبه به بعض الضعفاء من أهل فاس من المؤمنين فرجع عما استفتي فيه العلماء من قتله. انتهى.

ثم أرسل مولاي عبد المالك أخاه الولي أحمد المترجم مسجوناً لسجن فاس الجديد، فأُتي به إليه مقيداً بالحديد تاسع الشهر قيل إنه رق له بعد ذلك وسرحه وبقي مسرحاً نحو ثمانية أيام، ثم بداله سجنه وإجلاؤه إلى الصحراء ظاناً أنه يستريح منه، وقبض عليه ووجهه في الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وأمر ولده بسمل عين عمه المترجم بمجرد وصوله إليه، فكان من لطف الله به أن بلغه ما أضمر له أخوه القائم عليه فهرب لزواية أبي عثمان سعيد أحنصال بقبيلة آيت عطة، وكان قيم الزاوية إذ ذاك ولده أبو يعقوب يوسف بن سعيد - وكان من

المحدثين - فأخبره برجوعه للملكه وعود الأمور إليه .

ثم لما بدا للعبيد من المولي عبد المالك مالم يوافق هواهم من التبذير وتفريق الأموال في غير مستحقها بل حتى في مستحقها وقيامه بأمور المملكة بنفسه واستروحو رائحة عزمه على الإيقاع بهم ضاق بهم المتسع وشمروا على ساق في خلعه، ورد المولي أحمد لبسط كفه وإلقائه زمام الملك بأيديهم يتصرفون في الرعايا والجبليات وبيوت الأموال كيف شاء هواهم .

ولما أحسَّ بذلك المولي عبد المالك أخذ في الاحتياط لنفسه وتربص الدوائر بهم، ولكن بادت حيله ولم تغن عنه احتياطاته شيئا كما سيقص عليك في ترجمته بعد بحول الله .

وفي صبيحة عيد الأضحى من العام أعلن العبيد بخلع ربقة بيعته من أعناقهم ومنعوا خطيب مشرع الرملة من التعرض لذكره في خطبته وألزموه ذكر مولاي أحمد المترجم وطيروا الإعلام إليه، ولما اتصل به الخبر أسرع المسير إليهم وفي معيته صاحب الزاوية الخنصالية المذكور وقد انضم إليهم بنو حسن وتحالفوا وتعاهدوا على بيعته والموت تحت رايته وارتحلوا جميعا إلى مكناسة حيث عرش المملكة، فهم المولي عبد المالك بالبروز إليهم ومقاتلتهم، فجهر الوداية بالخروج عليه وبيعة أخيه وشرعوا فورا في قتال جيشه، ولحق بهم العبيد إلى مكناسة يوم الاثنين رابع عشري ذي الحجة عام أربعين^(١) .

ثم نادي بعض رؤساء العبيد على بعض من بباب قصبة السلطان الموالي للقبة الخضراء بنصر أخيه مولاي عبد الله وكانت خنائة بنت^(٢) بكار المغفري - زوجة مولانا إسماعيل - هي الساكنة بتلك الدار الموالية لذلك الباب، فلما سمعت النداء بنصر ولدها فتحت الباب من ناحيتها فبينما الناس يقاتلون بنواحي مكناسة إذ

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٠٨ في موسوعة أعلام المغرب .

(٢) في نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف «خناته» وفي الاستقصا ٥٨/٧ : «خنائي بنت بكار المغفري» .

سمعوا بدخول العبيد للقصة فسقط في أيديهم، وخرج السلطان ناجيا بنفسه في نحو ثلاثمائة من أصحابه، وسلك غير طريق فاس المشهورة، ووقع في القصة نهب عظيم وأعادوا الغارة على مكناسة بمثل ذلك نهباً وسبياً وهتكاً للحرمات، وارتكاب سائر المحرمات، وكان ذلك ثاني اليوم المذكور^(١).

ولما وصل مولاي عبد المالك أبواب فاس اضطرب رأي أهلها، فمنهم من رأي أن الأولي صده عن الدخول إليها لعجزهم عن مقاومة حرب العبيد الساعين في الأرض الفساد، وخافوا أن يوقعوا بهم ما أوقعوه بمكناس وقصبتها، ورأي السواد الأعظم منهم دخوله والمقاتلة دونه، لأنه الخليفة الذي بيعته في أعناقهم وطاعته واجبة عليهم والحال أنه بين أظهرهم فأدخلوه واستوطن دار القيطون، وما رأي الجمهور من إدخاله هو رأي جل علمائهم، وانضم إلى أهل فاس كل من لم يخرج عن المولي عبد الملك من القبائل على ما سيبين في محله بحول الله^(٢).

وقيل: إن مولاي أحمد المترجم وصل مكناسة في أواخر ذي الحجة من العام المذكور، وأن مولاي عبد المالك لما فر ترك رماة أهل فاس بقصة مكناسة وكانوا نحو الألفين، وأن مولاي أحمد لما حل بمكناس قبض على الرماة المذكورين وقيدهم وأودعهم بالسرايب رجاء أن يرجع أهل فاس إلى طاعته، ولما اتصل الخبر بأهل فاس خرجوا خيلاً ورجالا إلى زواغة ونهبوا للوداية جميع ما وجدوه من الماشية، وجاءوا بذلك لفاس، فبيع الكباش بثلاث موزونات والبقر بثمانى عشرة موزونة فاستغاث الوداية بإخوانهم الحاليين بمكناس والعبيد.

وفي أول يوم من المحرم جاء المولي أحمد لقتال فاس بجنود لا حصر لها وهم لا يشكون في دخول فاس والإيقاع بأهلها أفضع مما فعلوه بمكناس، ثم بدا

(١) نشر الثاني - ص ٢٠٠٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(٢) نشر الثاني - ص ٢٠٠٨ في موسوعة أعلام المغرب.

لمولاي أحمد أن يوجه القائد صالح الليريني قائد الرماة المسجونين بكتاب لأهل فاس يحذرهم ما صنعوا ويغريهم على بيعه المترجم والدخول تحت طاعته، ويعددهم بتسريح إخوانهم الرماة المسجونين، ولما وصل الليريني إليهم وقرأوا الكتاب المذكور وثبوا على الليريني فقتلوه وصلبوه على التوتة الكائنة بسوق الصفارين، وقتلوا الحاج الخياط عدل بداره بالمعادي، وتمادوا على قتل كل من ذكر المترجم حتى لم يبق لاسمه ذكر بفاس.

وفي سادس محرم نودي في وقت الصلاة بهجوم العدو وخرج الناس من المساجد وصلوا الجمعة ظهرا فكشف الغيب أن لا عدو فاطمأنوا وأقاموا صلاة الجمعة وخطبوا بمولاي عبد المالك.

وفي يوم السبت سابع محرم وقع قتال كبير بين أهل فاس والوداية والعبيد، مات من أهل فاس نحو ثمانية وجرح نحو العشرين، ومات من الوداية ومن انضم إليهم نحو أربعمائة.

قال في «نشر المثاني» وفي تاسع المحرم قدم على السلطان مولاي أحمد من بقي^(١) من جيشه من قبائل المغرب فأحاطت الجيوش بمدينة فاس كالحاتم، فلما أصبح يوم عاشوراء برز^(٢) جيش العبيد على فاس، وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقصدوها دفعة واحدة ولم يخرج لهم أحد من أهل فاس، وإنما حاربوهم من أسوارها إلا القليل خرج إليهم، فهزم الله تعالى الجيوش كلها، ولم يمت من أهل فاس أحد إلا الولي الصالح سيدي العربي بن عيشون، لأنه خرج على باب المسافرين فأصابته رصاصة فقتلته، وحكموا أنهم منعوه من الخروج أولا خوفا عليه فقال: إن لم تتركوني أخرج يدخل عليكم العبيد يشير أنه الطالب من

(١) تحرف في المطبوع إلى: «ما بقي» وصوابه من نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف.

(٢) في نشر المثاني: «میز».

الله تعالى أن يصرفهم عن فاس وأنه افتداهم بنفسه وأنه حصل لأهل فاس دهش عظيم. ثم كتب لهم مولاي أحمد رسائل يدعوهم إلى خلع مولاي عبد المالك والدخول في طاعته فامتنعوا، وهو في ذلك مساعف للعبيد، وإلا فقد كان حاله إنما يريد الراحة لكن كان الأمر والنهي للعبيد، وليس له من الملك إلا الاسم لا المسمى لا يقطع أمراً إلا بما يأمرونه [به] وبهذا اعتذر أهل فاس وامتنعوا من الدخول تحت العبيد. ثم حمي وطيس الفتنة وبقي الحرب سجالات^(١).

وورد الخبر بأن سفيان وبني مالك وشراكة وأولاد جامع والحياينة اجتمعوا يريدون أن ينصروا موالي عبد المالك لأنهم باقون على عهده ولم يخلعوه، فوجه لهم العبيد جيشاً فاقتتلوا مع القبائل قرب وادي إينول^(٢) فانهزمت القبائل وبقي منهم قتلي كثيرون^(٣).

ومن جملة من قتل مع^(٤) القبائل وزير مولاي عبد المالك مولاي المنتصر بن مولانا إسماعيل، وحمل إلى فاس ودفن بروضة سيدي الخياط بالدوح من فاس القرويين، قتله الوداية وأرسلوه مع بعض المحبوسين من أهل فاس، وقصدهم بذلك تحقق مولاي عبد المالك بهزيمة جيشه، فحينئذ يئس وانقطع رجاءه من المدد^(٥).

وفي رواية أن الذي قدم بمولاي المنتصر سيدي عبد الله القصري في الرابع عشر من المحرم ودفن ليلاً، وحضر جنازته السلطان مولاي عبد المالك وأعيان المدينة، وشد العبيد الحصار على فاس، وقطعوا الماء عن عدوة القرويين وأدنوا

(١) نشر المثاني - ص ٢٠١٨ وما بين حاصرتين منه.

(٢) في المطبوع: ايناون» والمثبت من نشر المثاني الذي ينقل عنه المصنف.

(٣) نشر المثاني - ص ٢٠١٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(٤) تحرف في المطبوع إلى: «من» وصوابه في نشر المثاني.

(٥) نشر المثاني - ص ٢٠١٨ في موسوعة أعلام المغرب.

محلّتهم لسورها .

وفي ثامن عشر محرم ركبوا نفذين على المدينة قرب سيدي الحسن الدراوي، ورموا في ذلك اليوم نحواً من أربع وعشرين كورة، وبالغد وقع قتال كبير على جميع الأبواب خصوصاً باب الفتوح، لأنهم أرادوا أخذ البستيون وجاءوا إليه بالسلاليم فانهزموا، ومات من أهل فاس نحو العشرين ورموا في ذلك اليوم كورا كبير .

وفي اليوم الموفي عشرين رَمَوْا نحو خمس وأربعين كورة، وبالغد رموا نحو العشرين .

وفي يوم الأحد الثاني والعشرين وقع قتال عظيم عند سيدي الحسن الدراوي، وفيه مات الحاج عبد الرحمن المفرج قائد الأندلس ونحو العشرين رجلا بين قتيل وجريح .

وفي السادس والعشرين وقع قتال عظيم بوادي المالح بباب الجيسة من الضحى إلى الظهر مات فيه من أهل فاس ثلاثة، وجرح ستة ومن الغير عدد كثير، ورموا في ذلك اليوم من الكور والبمب عدداً كثيرا في كورة واحدة نحو سبعة أرباع، وركبوا بقصبة شراكة بالخميس أربعة عشر نفضا وكانوا يرمون بها ليلا ونهارا من كل جهاتها وأحاطوا بها بأشبارات، فكان بينهم وبينها أقل من رمية بمكحلة، وربما كان رصاصهم يبلغ سطح الدور من بعض جهاتها فيصيب من يكون بالأسطحة، ووقع ضيق عظيم بالمدينة وهدم بالبمب كثير، ومات كثير من النساء والأطفال ومن لا يستطيع منعا ولا دفعا من الرجال العاجزين عن القتال، ونهب أهل الحلة المرس الكبير الذي بين سيدي على بن حِرازهم^(١) وسيدي الحسن الدراوي إلى سور المدينة وحطبوا الأشجار وتجلدوا على دخول فاس، وأخلي من المدينة الدور التي يصل إليها الرمي بالكور والبمب واقتصروا على سكني ما لا (١) تحرف في المطبوع إلى: «حرازم» وصوابه لدى السبكي في طبقاته ٢٥٨/٦ .

يصل إليه، ورتب أهل فاس الحرس على الأسوار وحفروا واديا خارج السور محيطا به وآخر أبعد منه من جهة باب الجيسة، وتجلدوا للمدافعة عن أنفسهم وعن أهل المسكنة من المؤمنين الذين لا يستطيعون دفعا ولا منعا العاجزين عن القتال وعن المنع أو القبول بالقول باللسان، متوجهين إلى الله في اللطف والنجاة وإخماد الفتن، متضرعين إلى الله لا تدين بحمي الله وحمي رسوله وأوليائه، وظهر في ذلك لطف عظيم وأمور عظيمة وأهل المدينة يخرجون للجيش خارج السور لا يرضون بالاقتصار على السور، وكان جيش العبيد مع ما انضاف إليهم قدر مائة ألف.

ثم إن القبائل التي انهزمت بوادي إينول أعادوا الجمع لأجل مولاي عبد المالك والمدافعة عنه وكانوا ينتهزون الفرصه كيف يصلون إلى فاس من الجيش المحيط بها، واستقروا بموضع يقال له تيسة من أرض الحياينة، وكان العبيد ينهبون زرع الحياينة الذي بأمراسهم ويأتون به للمحلة فخرج العبيد لنهب الحياينة على العادة، فرصدهم القبائل المجتمعة بتيسة واقتتلوا مع العبيد، فهزموا العبيد وقطعوا رءوسهم ونهبوا لهم من الدواب ما يزيد على الستمائة.

ولما وصل الخبر للعبيد أرسلوا جيشا منهم ومن الأوداية ووقع القتال أيضا بتيسة فغلبهم جيش العبيد وهزمهم وتفرقت القبائل في الجهات. ولم تتبع العبيد إلا سفيان لكثرة حقدهم عليهم، حتى أدركوهم فأوقعوا بهم مقتلة عظيمة فهرب سفيان لحرم وزان ظنا منهم أن العبيد لا يتبعونهم للحرم، فتبعوهم ودخلوا عليهم داخل وزان، ونهبوا الأمتعة والديار، وكانت هذه الواقعة على الناس بوزان من أعظم الوقائع وذلك في الخامس والعشرين من صفر.

ورجع جيش العبيد^(١) من وزان إلى فاس ودخلهم من العجب ما أطمعهم

(١) نشر المثاني - ص ٢٠١٩ في موسوعة أعلام المغرب.

بالاستيلاء على فاس، وقد كان العبيد حين دخلوا لقتال القبائل صادفوا الفقيه السيد أحمد بن سيدي محمد القسطيني بحوز الحيانة متوجها إلى فاس، وقد كان قاضيا بتازا فقتلوه ومثلوا به.

وفي صفر أيضا وقع قتال عظيم على جميع أبواب فاس حضر فيه مولاي أحمد السلطان وأصحابه وجاءوا من ناحية باب الجيسة، وأظهر اللمطيون في ذلك اليوم قوة عظيمة وقتلوا من الجيش ما يزيد على مائة وخمسين وجاءوا بخيلهم وأسلحتهم، ومات فيه من أهل فاس نحو خمسة عشر رجلا منهم التاجر بو عزة الشرايبي.

وفي الخامس من ربيع الأول كان قتال كبير أيضا بباب الجيسة مات من أهل فاس نحو اثني عشر رجلا، وجرح نحو العشرين ومات من الفريق الآخر عدد كبير.

وفي التاسع منه كان القتال بمصلي باب الفتوح وباب المسافرين وباب الجيسة، مات من أهل فاس عدد عديد يقارب المائة ومن القبائل أضعاف ذلك.

وفي يوم الأربعاء الخامس عشر منه أو الرابع عشر سردوا جيشهم على أن يدفعوا على فاس دفعة واحدة من كل ناحية، وعلامة ذلك خروج نفص في كل محلة عند طلوع الفجر على حين غفلة من أهل فاس، فكان من قدر الله تعالى أن أخبر بذلك بعض أهل المخزن^(١) بعض أهل الصلاح والولاية برسالة، فدفع الرسالة التي أتته من المحلة لأهل فاس فباتوا على سهر يترقبون ذلك^(٢).

(١) في هامش نشر المثاني - ص ٢٠٢٠ هو: «صالح بن صالح الأودي، وكان من أصحاب الشيخ مولاي التهامي، والمراد ببعض أهل الصلاح: سيدي محمد بن التهامي المذكور، كان نازلا بحومة الشرشور»، والمخزن = الحكومة في بلاد المغرب.

(٢) نشر المثاني - ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب.

فلما خرجت الأنفاض كان أهل المدينة على حذر، فإذا هم من كل حذب ينسلون إلى أسوار المدينة، وجاء العبيد بسلايم كل سُلَّم^(١) يسع عشرة رجال في الدرجة الواحدة، وكانوا حفروا مينة تحت بعض الأسوار قرب سيدي الحاج بودرهم، وجعلوا فيها البارود وأوقدوا فيها النار، وكان من لطف الله أن صعد السور بالبارود ورجع لمحله ولم يعمل فيه البارود صدعا فرجع العبيد في قيود الحزن ترتاع ولم ينالوا شيئاً^(٢).

ولما بدا النهار ووضعت الحرب أوزارها وجدت قتلي العبيد صرعي على كل ناحية، وأكثرهم بباب الفتوح، وهم عدد كبير. ومات من أهل فاس نحو الخمسين منهم الطالب عبد الواحد الجامعي، والطالب مسعود بن محمد الفيلاي، والسيد علال التونسي^(٣).

فمن هذه الواقعة أيس العبيد من دخول فاس عنوة، واستبشر أهل فاس وزال عنهم الفزع.

ثم صرف العبيد وجهتهم إلى استعمال الحيلة والمكيده، وإرسال الكور والبمب^(٤)، وطال الأمر وانقطع من يقوم بدعوة مولاي عبد المالك من كل موضع إلا بفاس، وانقطع عنها اللحم والصابون وجميع ما يجبي إليها من خارجها إلا الزرع والإدام كانا بها [كثيرا في هذا الحصار]^(٥).

وبقي كل من الريفيين مصابراً للآخر إلى سادس عشر ربيع الثاني، جاءت

(١) في المطبوع: «كل سلوم وبجانها كلمة (كذا) والمثبت من مختار الصحاح، وفيه: السلم، بفتح اللام واحد السلايم التي يرتقى عليها.

(٢) نشر المثاني - ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب.

(٣) نشر المثاني - ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب.

(٤) في نشر المثاني: «البمب».

(٥) نشر المثاني - ص ٢٠٢٠ في موسوعة أعلام المغرب، وما بين حاصرتين منه.

محلة عظيمة ونزلت على فاس قائدها الباشا مساهل وهم أخلاط ملتقطون من بني حسن وغيرهم ودفعوا على القلة من باب الجيسة، مات منهم من^(١) لا يحصى، ومن فاس نحو العشرين.

ثم في يوم الأحد الرابع والعشرين منه وقع القتال بباب عجيسة، وبالوادي المالح، وبناحية القلل وامتد من الضحي إلى العصر، ومات من أهل فاس نحو الثلاثين، منهم القائد عبد الوهاب الغرناطي. ومن الفريق الآخر من لا يحصى. هـ بنقل «صاحب الدر المنتخب».

ولما اشتد الامر وطال وكثر الهرج والمرج وعظمت المصائب، واشتعلت نيران الفتن من كل جانب، واشتبكت وارتبكت، والمترجم وحاشيته مجدون في مراودة أهل فاس عن الخروج عن طاعة المولي عبد المالك والرجوع إلى طاعة المترجم، واختلفت آراء الأعلام والعوام في ذلك أفتي الفقيه سيدي محمد ميارة بأنه لا يحل الخروج عن طاعة مولاي عبد المالك ووافقه على ذلك الفقيه أبو عبد الله محمد ابن عبد السلام بناني وأبو عبد الله محمد بن زكري، وخالفهم أبو العباس أحمد ابن مبارك الفيلاي اللمطي قائلاً بوجوب خلعه ودفعه لأخيه المتغلب، لأنه لا قدرة له على مقاومته، وبقي الأمر يروج ومال اللمطيون إلى فتوى ميارة ومن وافقه، والأندلسيون إلى فتوى ابن المبارك ومن تبعه كأبي العلاء إدريس المشاط وأبي الحسن على الحريشي.

وفي ضحى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى ذهب مولاي عبد المالك إلى زاوية سيدي عبد القادر الفاسي موهما أنه يزور وقصده الكلام مع الأندلسيين والأخذ بخواطهم فلم يلتفتوا إليه على عادة الغوغاء في الرجوع عن أقوالهم.

قال العلامة ابن إبراهيم الدكالي في «تقاييده التاريخية»: ثم إن بعض الطلبة اجتمعوا بجامعة الأندلس مع الفقيه السيد أحمد بن مبارك وكتبوا موجبا بإخراج (١) في المطبوع: «ما لا يحصى».

مولاي عبد المالك وعزله ونصر الذهبي، وجعلوا يطوفون به على الناس في العسات فيقولون: هل تعلمون الشرع أم لا؟ فيقولون: نعم، نعمل الشرع، فيقولون إن الشرع حكم بإخراج مولاي عبد المالك ونصر الذهبي أخيه حتى طافوا بذلك الموجب على جميع أسوار المدينة فتغير الناس بسبب هذا الفعل أشد التغير^(١)، وبقي الأمر كذلك إلى يوم الجمعة الخامس عشر من الشهر وجاءت غوغاء الأندلسيين إلى أئمة المنابر وأمرؤهم أن لا يخطبوا بمولاي عبد المالك، فبعضهم ترك نصره على المنبر، وبعضهم نصره، وبعضهم قال: اللهم انصر من نصره الحق المين، واختلفت الكلمة وكثر الهرج والقتال بين الفريقين، وكاد الأمر يعظم وغلت الأسعار خصوصاً الصابون بيع بخمس موزونات للرطل.

ثم اجتمع الأندلسيون واللمطيون بمدرسة الصارفين ليلاً وأظهر الذين أرادوا خلع مولاي عبد المالك حجتهم وسكت المخالفون لهم فدل سكوتهم على موافقتهم وانفصل المجلس في الحين.

وفي يوم السبت السادس عشر اجتمع رؤساء الأندلسيين منهم الحاج عبد الرحمن المرابي، والحاج محمد الأندلسي، والحاج محمد يويجر، وأحمد بن عبد الوهاب الغرناطي، والمجذوب اقلال اللمطي، والحاج أحمد بودة اللمطي بروضة سيدي محمد بن عباد مع من وافقهم من طلبة الوقت وكتبوا كتاباً لمولاي أحمد الذهبي واشتروا عليه شروطاً إن وفي بها خلعوا أخاه ونصروه وبعثوا له ذلك الكتاب، وبالغد أجابهم بأنه قبل ما شرطوه وذهب إليه جماعة من العلماء والأشراف وأهل الحل والعقد ففرح بهم فرحاً شديداً ووعدهم خيراً.

وفي يوم الاثنين الثامن عشر قدموا من عند مولاي أحمد ومعهم كتاب لأهل فاس يشكر فعلهم ويحبذ صنيعهم ويعلن بمسامحتهم فيما صدر منهم ورد القائد المحجوب عليهم فقرأ الكتاب بصحن القرويين وأعلنوا بنصره.

(١) في المطبوع: «أشد الغيار» وبجانبها كلمة (كذا).

ومن الغد نودي بالأسواق على المخازنية الذين مع مولاي عبد المالك بأن لا يشتري أحد منهم سلاحا ولا غيره، ومن اشترى منهم شيئا لزمته العقوبة، ونودي ثانيا لما دخل مولاي عبد المالك لحرم مولاي إدريس أن لا يدخل عليه أحد.

وفي عشية هذا اليوم جاء كتاب من عند الذهبي بأنه سامح أخاه وشفع فيه أهل فاس، أنه إن أراد الخروج من الحرم الإدريسي والذهاب لتافلات فله ذلك، ولما أخبر مولاي عبد المالك بذلك امتنع من الخروج وقال: إني في حرم الله ولا حاجة لي بالملك، فشهد عليه بذلك وأرسلت الشهادة للذهبي.

ثم إن مولاي عبد المالك سمع ممن لا خلاق له من أهل فاس يقول في حقه: إن هذا الحرم لا يجير عاصيا، وسمع أن بعض الطلبة الذين أفتوا بخلعه أفتوا بإخراجه من الضريح الإدريسي، فبعث أحد أولاده لعبيد مشرع الرملة يطلب منهم لأمان لنفسه ويخرج معهم فأجابوه كتابة لذلك.

قال ابن إبراهيم: وفي ضحي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأولى قدم الباشا سالم الدكالي رئيس العبيد ومعه نحو الخميس من أكابرهم ودخلوا لحرم مولانا إدريس وتكلموا معه وأعطوه الأمان وأنهم لا يغدرونه، فخرج معهم قرب الزوال مع جماعة من أصحابه وكلهم على خيلهم ولما كان مولاي عبد المالك عند السقاية التي بزقة الحرم الإدريسي لقيه بعض الأندلسيين فقال له نريد من سيدنا السماح فقال لهم: هذا السيد بيني وبينكم وانصرف.

وكان الذي جد في خلعه هم الأندلسيون، وكنا نسمع أن الذهبي بعث إليهم بدراهم كثيرة فاقسموها بينهم وكانت العامة تقول: أهل الأندلس باعوا سلطانهم بالفلوس.

ولما كان اليوم الذي دخل العبيد للحرم الإدريسي بقصد إخراج مولاي

عبد المالك ضج الناس بالمدينة وسد بعضهم الدروب وتحزب اللمطيون وحلفوا أن لا يتركوا أحداً يخرجهم كائناً من كان، ثم دخل اللمطيون على مولاي عبد المالك وخبروه في المقام بالضريح الإدريسي والخروج مع العبيد، فاختار الخروج مع العبيد.

ولما ذهب معهم للمحلة أرسلوه لفاس الجديد وتلاقي مع أخيه مولاي أحمد، فتأدب له ونزل عن فرسه وعانقه وسلم عليه وأعطاه مضمة من الذهب وفرسا سرجه ذهب وأنزله بدار ابن شقرة وفرح الناس بذلك.

وفي الغد - وهو الثاني والعشرون من الشهر - بعث مولاي أحمد أخاه مولاي عبد المالك لمكناسة مسجوناً فأصاب الناس كدر لا يعلمه إلا الله.

وفي هذا اليوم ذهب أعيان فاس إلى فاس الجديد وصلوا معه الجمعة وفرح بهم وأخذوا بخاطره وقدموا له هدية وشكروا فعله وسرح لهم المساجين الذين كانوا بمكناسة بالدهاليز، وأمر أهل فاس بالصلح مع الوداية فاصطلحوا، وفي الغد وهو يوم السبت فتحت أبواب فاس كلها وأمن الناس بعضهم بعضاً.

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين قلعت المحلة ورحلت وذهب السلطان لمكناسة بعد الزوال، وودعه أهل فاس، وبعد ثمانية أيام ذهب أهل فاس إلى مكناسة طالبين من السلطان أن يرد عليهم ما نهبه لهم الودايا من الخماسي البلدي الذي كان بالبرج بفاس الجديد على يد القصارين فلم يرده لهم.

وفي يوم الاثنين ثالث رجب جاء الفقيه السيد إدريس المشاط من عند السلطان، أنه عزل سيدي أحمد الشدادي عن خطة القضاء وولاها له فلم يقبله أهل فاس.

وفي الرابع عشر رجب جاء المشاط لجامع القرويين وصلي الظهر وجلس

بمقصورة القضاء ليحكم بين الناس، فدفع عليه جماعة اللمطين فقام هاربا.

وفي ثامن عشر رجب جاء كتاب السلطان برد سيدي أحمد الشدادي للقضاء، وعزل المشاط وقرئ على المنبر وفرح الناس.

ثم بعد إبرام الصلح مع أهل فاس مرض المترجم قيل خرج من فاس صحيحا وابتدأه المرض بمكناس، وقيل خرج من فاس مريضا حمله العبيد في المحفة لمكناس، وعلى هذا القول أعني الثاني اقتصر في نشر المثاني^(١).

ولما اشتد به المرض أرسل إلى أخويه سيدي محمد بن عريبة ومولاي سليمان ابن الجامعية - على ما قيل - وجماعة من العبيد أهل مشورته وأمرهم بقتل أخيه المولي عبد المالك ليلا من غير أن يشعر به أحد، فخنقوه ليلة الثلاثاء الموفي ثلاثين من رجب وغسلوه بالماء البارد على لوح بميصأة جامع الزيتونة.

ولما قتل مولاي عبد المالك شهيدا - رحمه الله - وشاع الخبر في الناس منهم من صدق الخبر ومنهم من أنكره، وكانوا يتبايعون بالأجل الذي هو ظهور مولاي عبد المالك حتى أفضي الأمر إلى إخراجه من قبره برد الله ثراه ووضعته على الشافر حتى شاهده الخاص والعام وزال الريب.

(١) نشر المثاني - ص ٢٠٢١ في موسوعة أعلام المغرب.

علائقه السياسة

لما لبي مولاي إسماعيل داعي مولاه، وانتقل لما قدمت يداه وجه ملك الإنجليزي القبطان «روسيل» سفيراً للمترجم معزيا ومهينا وطالبا فداء الأسارى والدوام على حسن المعاملة مع التجار الذين بإيالته المغربية والأمنية على أنفسهم وأموالهم طبق ما كان الأمر جاريا عليه بينه وبين والده الفقيد.

ولما بلغ علم المترجم أن السفير حل بطنجة كتب له بما حاصله - حسبما جاء في صحيفة ٢٧ من «تاريخ انقلابات دول المغرب بعد وفاة مولانا إسماعيل» الذي ألفه القبطان «ابريط ویت» الإنجليزي الذي ورد في رفقة السفير «روسيل» المذكور المترجم من الإنجليزية إلى الفرنسية - وبعد: فقد أخبرنا الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الريفي أنكم وصلتم إلى جبل طارق ومعكم صاحب القائد المذكور الذي كان في عاصمة مملكتكم، وأخبرنا بما تؤملون منا من تجديد العهود التي كانت بين والدنا رحمه الله وبين دولتكم، وعليه فقدم لدينا صحبة الباشا أحمد بن علي وها مكاتب الإيضاء عليك بالطريق حتى تصل لدينا مصونا من كل مروع أنت ومن معك من الأصحاب اهـ. ملخصا.

والصاحب الذي أشار إليه في هذا المکتوب الذي سماه صاحب التاريخ المنقول منه ببوكلي كان وجهه الجد المقدس مولانا إسماعيل سفيراً لملك إنكلترا وفي أيوبته من سفارته اتصل به نعي مرسله أثناء الطريق.

وكان هذا السفير من جملة أعوان القائد أحمد الريفي المذكور وهو الذي كان أشار على السلطان المرحوم بتعيينه سفيراً.

ولما حدث ما حدث بين القائد أحمد وبين أهل تطوان مما تلي عليك وعلم بذلك السفير والحال أنه تطواني الأصل والاستيطان، كبر عليه ذلك ولم يدر إلى

أين تكون وجهته، فإن قصد الريفي لطنجة ربما لا يأمن على عائلته بتطوان من التضييق بهم وسلبهم أمتعتهم وما لهم نكاية له، وإن قصد أهله بتطوان لا يدري ماذا تلد له الليالي، وقد كان كل من الريفي وأهل تطوان لما علموا بقدومه وجه إليه يأمره بالنزول من البحر لديه فازدادت حيرته، حتى هم بالرجوع من حيث جاء إلى أن تطمئن البلاد وترجع المياه لمجاريها، وقد كان هذا السفير متأبطاً لهدايا مهمة من ملك الإنجليز لمرسله.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة أوفد إليه الحاج عبد القادر لبريس لجبل طارق يأمره بالقدوم لحضرته بمكناس، وعند ذلك لم يجد بدا من التوجه للقائد أحمد الريفي بطنجة فتوجه لديه ثم ذهب للحضرة السلطانية.

وفي عشري قعدة الحرام عام تسعة وثلاثين ومائة وألف كتب المترجم لقنصل الإنجليز وتجار النصارى الذين بتطوان يعلمهم بأنه ولي الباشا على بوشفرة مكان الباشا أحمد الريفي عاملاً على إيالته سهلها ووعرها ماعدا طنجة والعرائش وأصيلا، فإنه أبقاها لنظر الريفي المذكور، وأنه أمر بوشفرة بسكنى تطوان وأنهم لا يرون من المذكور إلا كمال المجاملة والصيانة التامة لأنفسهم وأموالهم حسبما بصحيفة ٢٨ من تاريخ انقلابات دول المغرب المذكور.

بنائه: منها القصبه التي أنشأها بتادلا حذو قصبه والده، واتخذ بها داره ومسجداً أكبر من مسجد والده، كما أن قصبته أكبر، وزيادته في قبة ضريح والده كما تقدمت الإشارة لذلك في البناءات المكناسية.

قضاته: منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن التماق الأندلسي الغرناطي العلامة المشاور، ولي قضاء فاس بعد امتناع والخطابه بالقرويين منها سادس صفر سنة أربعين ومائة وألف، فعدل في الأحكام وتحري الإنصاف والورع ومشاورة العلماء وأخر رابع شوال من السنة المذكورة عن غير

ريية. له من المؤلفات: حواشي على شرح الحصن، وإزالة الدلسة عن أحكام الجلسة، وجمع الأقوال في لبس السروال، قبضه الله عشية الأربعاء عاشر الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، ترجمه في «النشر» «والروضة المقصودة».

عماله: منهم على بوشفرة الوديني، وأحمد الريفي، والمحجوب العليج. وفاته: توفي مسلولا رحمه الله ليلة السبت الرابع من شعبان عام أربعين ومائة وألف طبق ما هو منقوش في رخامة ضريحه، ودفن خلف ظهر والده بقبة الضريح رحمه الله وبرد ثراه وغفر له أمين.

٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش المكناسي التاودي^(١).

حاله: كان فقيها حافظا لكتاب الله تعالى كثير التلاوة له متدينا ماهرا في معرفة الهيئة والتعديل، عمي آخر عمره فلما كان عند الموت تلا: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، فحدث حاضروه أن الله تعالى رد عليه بصره، قال حفيد أخيه أبو الخطاب: فلا أدري أنص لهم على ذلك أم استدلووا بالتلاوة. ووالده محمد بن حماد هو الذي كان امتحنه يدر بن ولجوط في سبعة من أقاربه بالثقيف إلى أن أصبحوا مذبحين، ولا غرابة في ذلك إذ الجاهلون لأهل العلم أعداء سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

١٠ - أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن الولي الصالح المتبرك به عبد المغيث زغبوش القرشي المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه معظم، وجيه محترم، تقي زكي، بر طاهر مرضي، من بيت مجد وفضل وعلم وديانة، وعفاف ونباهة وصيانة، تقلد وظائف أفرادا وجمعا،
(١) في المطبوع: «التاوري» بالراء.

وتقيد بمناصب هداية ونفعا، كم نشأ في هذا البيت الكبير من عدول، وكم تفرع من فطاحل عن تلك الأصول، وكم تفننوا في بلاغة النظم والنثر، حتى أصبح منهم روض العلم في نشر، محمد عقباه يوم النشر، وتطيب الأكوان من ربا ذلك النشر، رمقتهم الجلالة الإسماعيلية بطرف القبول، وشملتهم عنايتها بإدراك السؤل وحملهم على كاهل المبرة والاحترام، وأفردهم من منشوراته بما يعد من المآثر الفخام، وناهيك بما يتلي عليك من ذلك بعد في مرسومه الأغمر، فإنه شاهد صدق أغمر.

١١- أحمد بن عبد الملك بن محمد بن الحسين^(١) بن عميرة المخزومي
بلنسي شقوري الأصل يكنى أبا المطرف.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان أول طلبه شديد العناية بشأن الرواية فأكثر^(٢) من سماع الحديث، وأخذ عن مشايخ أهله، وتفنن في العلوم، ونظر في العقلیات، وأصول الفقه، ومال إلى الأدب، فبرع به براعة عد بها من كبار مجيدي النظم.

وأما الكتابة فهو علمها المشهور. وواحدها الذي عجزت عن ثانيه الدهور، ولاسيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولي على أمد الإحسان، وله المطولات المنتخبة، والقصار المقتضبة، وكان يعلم كلامه نظما ونثرا بالإشارة إلى التاريخ، ويودعه إلمامات بالمسائل العلمية متنوعة المقصد^(٣).

١١ - من مصادر ترجمته: الإحاطة ١/١٧٣، بغية الوعاة ١/٣٠٣، جذوة الاقتباس ١/١٤٥، الديباج المذهب ١/١٧٩، الذيل والتكملة ١/١٥٠، شجرة النور الزكية ١/٤٧٧، عنوان الدراية - ص ٢٩٨، المقتضب من تحفة القادم - ص ١٩٧، نفح الطيب ١/٣٠٥، الوافي بالوفيات ٧/١٣٣.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «الحسن».

(٢) في المطبوع: «فاستكثر» والمثبت لدى ابن عبد الملك الذي ينقل عنه المصنف.

(٣) الذيل والتكملة - السفر الأول - القسم الأول - ص ١٥٢.

وقال المقرئ في «نفع الطيب» لدي تعرضه له ما لفظه: قال فيه بعض علماء المغرب قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وصدر الجلة الفضلاء، ونكتة البلاغة^(١)، التي قد أحرزها وأودعها، وشمسها^(٢) التي أخفت ثواقب كوكبها حين أبدعها، مبدع البدائع التي لم يحظ قبله بها إنسان، ولا ينطلق عن تلاوتها لسان، إذ كان ينطق عن قريحه صحيحة، وروية بدرر العلم فصيحة، ذلت له صعب الكلام، وصدقت رؤياه حين وضع سيد المرسلين - وهو الذي أوتي جوامع الكلام - في يده الأقلام^(٣).

وقال ابن الأبار في تحفة القادم في حقه ما صورته: فائدة هذه المائة، والواحد فيفي بالفئة، الذي اعترف باتحاده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يتصف به البديع، ومعاذ الله أن أحاييه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسبقه الأشهر، ونطقه الياقوت والجوهر، تحلت به الصفائف والمهارق، وما تخلت عنه المغارب والمشارق، فحسبي أن أجهد في أوصافه، ثم أشهد بعدم إنصافه، هذا على تناول العموم والخصوص لذكره، وتناوب المنثور والمنظوم على شكره^(٤).

وقال في الإحاطة: قلت: وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه^(٥) ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده، إدراكاً وتفناً، بصيراً بالعلوم محدثاً مكثراً راوية ثبّتاً، متبحراً^(٦) في التاريخ والأخبار، رياناً مضطلعاً بالأصلين،

(١) في المطبوع: «البلغاء» والمثبت رواية المقرئ الذي ينقل عنه المصنف وهي المناسبة للمعنى.

(٢) في المطبوع: «وشمسها» والمثبت رواية المقرئ.

(٣) نفع الطيب ٣١٣/١.

(٤) نقله المقرئ في نفع الطيب ٣١٥/١.

(٥) في المطبوع: «وعليه» والمثبت لدى ابن الخطيب في الإحاطة الذي ينقل عنه المصنف.

(٦) في متن الإحاطة: «سجراً» وبالهامش: السجر: هو المليء.

قائما على العربية واللغة، كلامه كثير الحلاوة والطلاوة، جم العلوم^(١)، غزير المعاني والمحاسن، شفاف اللفظ حر المعنى^(٢).

انتقل إلى العُدوة^(٣)، واستكتبه الرشيد أبو محمد بن عبد الواحد بمراكش مدة يسيرة، ثم صرفه عن الكتابة وولاه قضاء مِلْيَانَة من نظر مراكش الشرقي، فتولاه قليلا ثم نقله إلى رباط الفتح، وتوفي الرشيد فأقره^(٤) على ذلك الوالي بعده أبو الحسن المعتضد أخوه، ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزيتون، ثم لما قتل المعتضد انفصل عن مكناسة ولحق بسبته، وجري عليه بطريقها ما يذكر في محتته، ثم ركب البحر منها متوجها إلى إفريقية، فقدم بجاية على الأمير أبي زكريا، ثم توجه إلى تونس فنجحت بها وسائله، وولي قضاء مدينة الأريس، ثم انتقل إلى فاس وبها طالت مدة ولايته، فاستدعاه المنتصر بالله محمد بن أبي زكرياء، ولطف محله منه، حتى كان يحضر مجالس أنسه^(٥).

مشيخته: روي عن أبي الخطاب بن واجب، وأبي الربيع بن سالم^(٦) وأبي عبد الله بن فرج، وأبي علي الشلوبين، وأبي عمر بن عات، وأبي محمد بن حوط الله، لقيهم وقرأ عليهم وسمع منهم، وأجازوا له، وأجاز له من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج وغيره^(٧).

(١) في الإحاطة: «جم العيون».

(٢) الإحاطة ١/ ١٧٤.

(٣) أي عدوة المغرب.

(٤) في المطبوع: «فأقامته» والمثبت من الإحاطة.

(٥) الإحاطة ١/ ١٧.

(٦) تحرف في المطبوع إلى: «سلام» وصوابه من الإحاطة والذيل والتكملة.

(٧) الإحاطة ١/ ١٧٤.

الآخذون عنه: أخذ عنه ابنه أبو القاسم، وأبو بكر بن خطّاب، وأبو إسحاق البلقيني الحفيد، والحسن بن طاهر بن علي الشقوري، وأبو عبد الله البري^(١). وحدث عنه أبو جعفر بن الزبير، وابن شقيف^(٢)، وابن ربيع، وغيرهم ممن يطول ذكره.

شعره: من ذلك قوله موريا بالعلوم:

قد عكفنا على الكتابة حيناً ثم جاءت خطة القضاء تليها
مع كل لم يبق للجهد إلا منزلاً نائياً وعيشاً كريهاً
نسبة بدلت ولم تتغير مثل ما يزعم المهندس فيها^(٣)
وقوله:

يا غائباً سلبتني الأُنس غيبته فكيف صبري وقد كابدتُ بينهما
دَعَوَايَ أَنك في قلبي فعارضها شوقي إليك فكيف الجمعُ بينهما^(٤)
وقوله:

إن الكتاب أتي وساحة طرسه دوح توشح بالبديع مبرقع
وله حقوق ضاق وقت وجوبها ومن الوجوب^(٥) ضيق وموسع^(٦)

(١) تحرف في المطبوع إلى «البزي» بالزاي. وصوابه من الإحاطة والذيل والتكملة.

(٢) في المطبوع: «وابن شنيف» والمثبت رواية الإحاطة.

(٣) الإحاطة ١/١٧٧.

(٤) الإحاطة ١/١٧٧.

(٥) في المطبوع: «العجائب» والمثبت رواية الإحاطة.

(٦) الإحاطة ١/١٧٧.

وقوله :

شوقا إليك يَجُولُ فِي جَوَّالٍ
لَتَأْوُدُ^(١) مَعَ عَظْفِكَ الْمِيَالِ
مِتَوَارِيَا عَنْ ثَغْرِكَ الْمِتَلَالِي
أَبْدَا تَخْلُصَهُ لِلْأَسْتِقْبَالِ
لِلطَّارِقِينَ أَسِنَّةً وَعَوَالِي^(٢)

وَأَجَاتَ فِكْرِي فِي وَشَاحِكَ فَانْثَنِي
أَنْصَفْتَ غُصْنَ الْبَانِ إِذْ لَمْ تَدْعِهِ
وَرَحِمْتَ دَرَّ الْعَقْدِ حِينَ وَضَعْتَهُ
كَيْفَ الْلِقَاءِ وَفَعَلَ وَعَدَكَ سَيْنَهُ
وَكَمَاةَ قَوْمِكَ نَارَهُمْ وَوَقَيْدَهَا

وقوله :

وَرَاةَ ذِي الْقَرِيضِ تَعُودُ صِفْرًا
فَهَذَا مَخْفِقُ إِنْ قَصَّ شِعْرًا^(٣)

أَرِي مَنْ جَاءَ بِالْمُوسَى مُوَاسِي
فَهَذَا مَخْفِقُ إِنْ قَصَّ شِعْرًا

وقوله :

عَيْدِي الَّذِي لَشُهُودِهِ تَكْبِيرِي
مَخْتَصَةً بِزِيَادَةِ التَّكْبِيرِ^(٤)

كَبَّرْتَ بِالْبَشْرِ أَتَتْ وَسَمَاعَهَا
وَكَذَلِكَ الْأَعْيَادُ سُنَّةٌ يَوْمُهَا

وقوله

كَالْمَصْرَاتِ بَيْعَهَا بِالْخُدَاعِ
بَعْدَهَا مِنْ مَدَامَعِي أَلْفَ صَاعٍ^(٥)

بَايَعُونَا مَوْدَةً هِيَ عِنْدِي
فَسَأَقْضِي بَرْدَهَا ثُمَّ أَقْضِي

(١) في المطبوع: «لتوادع» والمثبت رواية النفح.

(٢) نفح الطيب ١/٣١٥.

(٣) نفح الطيب ١/٣١٦.

(٤) الإحاطة ١/١٧٧.

(٥) الإحاطة ١/١٧٧.

وقوله :

شرطت عليهم عند تسليم مهجتي وعند انعقاد البيع حتما يواصل
فلما أردت الأخذ بالشروط أعرضوا وقالوا يصح البيع والشرط باطل^(١)
نثره: من ذلك قوله من رسالة أجاب بها العباس بن أمية وقد أعلمه باستيلاء
الروم على بَلَنْسِيَةِ:

بالله أي نحو تنحو، أو مسطور تثبت أو تمحو، وقد حذف الأصل
والزوائد، وذهبت الصلة والعوائد، وباب التعجب طال، وحال اليأس لا تخشي
انتقال، وذهبت علامة الرفع، وفقدت نون الجمع، والمعتل أعدي الصحيح،
والمثلث أودي الفصح، وامتنعت الجموع من الصرف، وأمنت زوائدها من الحذف
ومالت قواعد الملة، وصرنا جمع القلة، وظهرت علامة الحذف، وجاء بدل الكل
من البعض^(٢).

مؤلفاته: له تأليف في كائنة مَيَّرَقَة^(٣) وتغلب الروم عليها نحاً فيه نحو
العماد الاصبهاني في الفتح القدسي، وكتابه في تعقبه على فخر الدين ابن الخطيب
الرازي في كتاب المعالم في أصول الفقه منه، وردّه على كمال الدين أبي محمد
عبد الكريم السّماكي في كتابه المسمي بالتّبيان في علم البيان، واختصار نبيل من
تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك من التعاليق والمقالات^(٤).

(١) الإحاطة ١٧٨/١.

(٢) الإحاطة ١٧٦/١.

(٣) كذا في متن الإحاطة ١٧٨/١ وهو الصواب، وبهامشها: «في بعض النسخ الخطية:
ألمرية، وهو تحريف. وكائنة ميورقة يقصد بها هنا استيلاء النصارى على جزيرة ميورقة،
كبرى جزائر البليار أو الجزائر الشرقية وذلك في سنة ٦٢٧هـ، على يد ملكهم خايي
ملك أرجون». وتحرف في المطبوع إلى: «ألمرية».

(٤) الإحاطة ١٧٨/١.

ودون الاستاذ أبو عبد الله ابن هانيء السبتي كتابته وما يتخللها من الشعر في سفرين بديعين أتقن ترتيبهما، وسمي ذلك «بغية المستطرف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف»^(١).

محتته: لما قتل المعتضد اغتنم الفترة وانفصل عن مكناسة قاصدا سبتة فلقي الرفقة التي كان فيها جمع من بني مرين فسلبوه وكل من كان معه، وكان المنهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار، وكان ورقا وعينا وحليا أُصيب بما له أحوج ما كان إليه^(٢) وقد استقبل الكبر ونازعه سوء الحظ^(٣).

مولده: ولد بجزيرة شقر^(٤) وقيل بِلَنْسِيَّة في رمضان عام ستة وخمسين قال عبد الملك: ووهم ابن الزبير في وفاته إذ جعلها في حدود الخمسين وستمئة أو بعدها^(٥).

١٢- أبو العباس أحمد بن علي الزرهوني المكناسي.

حاله: فقيه علامة جليل محدث كامل ناقد أورده ابن الأبار في تكملته وغيره.

(١) الإحاطة ١/ ١٧٨.

(٢) في الإحاطة: «أصيب بمالقة ما أحوج ما كان إليه».

(٣) الإحاطة ١/ ١٧٩.

(٤) جزيرة شقر كانت تطلق أيام الدول الإسلامية على الجزيرة الكبيرة الواقعة في نهر شقر Jucar. قبل مصبه في البحر المتوسط جنوبي بلنسية. وكانت من أجمل البقاع في تلك المنطقة، وكانت تسمى أحيانا بالجزيرة فقط. وهو الاسم الذي استعير فيما بعد لبلدة Alcira الإسبانية الواقعة على نهر شقر على مقربة من الجزيرة المذكورة. وقد كانت جزيرة شقر موطن كثير من العلماء والأدباء.

(٥) الإحاطة ١/ ١٨٠.

١٢ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ١/ ١١٢.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو القاسم بن سمجون، وحدث عنه بموطأ مالك وأجاز له روايته قال ابن الأبار: ولا أدري أين لقيه.

١٣- أبو العباس أحمد: هو الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري.

من أهل شريش

حاله: كان فقيها جليلا استوطن سلا وولي بها القضاء، ثم بمدينة مكناسة. مشيخته: روي عن أبي إسحاق بن قر قول.

وفاته: توفي سنة إحدى عشرة وستمائة.

١٤- الولي الصالح المولي أحمد الشبلي الشريف الحسني.

لم أقف على من تعرض لترجمته ولا على من له أدنى معرفة بشيء من حاله غير ما في بعض الرسوم من تحليته بالشريف الحسني، وما هو منقوش في جبص دائرة باب مسجد ضريحه ولفظه:

ها روضة الشبلي كالمسراج	وبهاؤها للزائرين يناجي
نزه لحاظك في بهاء محاسني	واغنم كرائم نوري الوهاج
واعكف على عين الكرامة والهدي	ذخر الأنام وواضح المنهاج
فإذا دخلت ضريحه فاسأل به	تحظ بأنوار نوره المسراج
وابسط أكفك للمهيمن ضارعا	متوسلا بسلالة الإنتاج
السيد الحسني الهمام المرتضي	كهف الآمال وبغية المحتاج
واسأل تنل فوق الأنام جميع ما	ترجو وتلق مواهب الفراج

١٣ - من مصادر ترجمته: التكملة لابن الأبار ٩٣/١، الذيل والتكملة ١/١/ ٣٨٧ رقم

٥٤٣.

انتهى .

يقال: إن هذه القطعة لبعض الأدباء المكناسيين من أولاد القنسود، وقصيدة
فى مدحه أيضاً تأتي فيما بعد .

ويقال إن السيدة حبيبة بنت الحاج الطاهر بن العربي بادو، هي التي بنت
ضريح هذا السيد ومسجده من مالها الخاص بها والخالص لها، لرؤيا رأتها وقد
كانت كفيفة البصر فرد الله عليها بصرها فبنت الضريح ومسجده، وهذا إن صح
يحمل على مزيد التنميق أو التجديد، وإلا فقد أسلفنا لك ما هو نص في أن باني
الضريح المذكور هو سيدنا الجد السلطان الأعظم المولي إسماعيل عليه صيب
الرحمات، والله أعلم بحقيقة الحال .

١٥- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى الشهير بالمكناسي .

أخو أبي الحسن الطنجي، شيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي .

حاله: فقيه عدل أستاذ نبيل فاضل زكي نزيه .

مشيخته: منهم ابن هاني تلميذ ابن الشاط، وابن رشيد، وأبو يعقوب
البادسي، وابن الزبير، وابن سليمان الوادياشي، وأبو عبد الله محمد بن قاسم ابن
محمد الأنصاري المالقي الضرير الشهير بابن قاسم نزيل مكناسة الزيتون، رحل إليه
من مدينة فاس إلى مكناسة، ورحل إليه الناس للأخذ عنه، ولما قفل إلى بلاده
مدينة فاس صار يدعي بالمكناسي لذلك .

وفاته: توفي بمدينة فاس سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة برد الله ثراه أمين .

١٦- أبو العباس أحمد بن العربي الغماري الكومي، قاضي مكناس .

حاله: فقيه علامة واعية موثق، وقفت على رسم تحيس حلي فيه بالعلم

والجلالة، ولم أعرف شيئاً من أحواله ولا سن الولادة والوفاة، إلا أنه كان متولياً خطة القضاء بمكناس سنة ٩٥٩ تسع وخمسين وتسعمائة^(١).

١٧- أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي الأنصاري الجزيري.

نزىل سلا، ودفينها، أصله من شمينه وبها نشأ.

حاله: أفضل أهل زمانه علماً وعملاً، وقال ابن سعد في «النجم الثاقب» في حقه ما ملخصه: كان أحد الأولياء الأبدال، معدوداً في كبار العلماء ممن جمع له العلم والعمل وألقي عليه القبول من الخلق، شديد الهيبة، عظيم الوقار، كثير الخشية، طويل التفكير والاعتبار، قصده السلطان أبو عنان وارتحل عام سبعة وخمسين فوقف ببابه طويلاً فلم يأذن له وكرر ذلك مراراً فلم يأذن له، وتبعه يوم الجمعة على رجله والناس ينظرونه وهو لا ينظر فقال: منعنا من هذا الولي، ثم أرسل إليه ولده مستعطفاً فأجابه بما قطع رجاءه منه. اهـ^(٢).

ودونك نص ما أجابه به:

«الحمد لله من العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر وفقه الله تعالى بمهنة وكرمه، إلى أمير المؤمنين أبي عنان أيده الله تعالى بتقواه ورد حاله إلى ما كان عليه الخلفاء الراشدون ومن تعرض لنصيحة المسلمين آمين، وصلى الله تعالى على مولانا سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً، أما بعد:

(١) كذا في المطبوع. وقد ترجم صاحب الأعلام بمن غبر - ١٤٥٥/٤ موسوعة - لمن اسمه أحمد بن محمد العربي الغماري، فقال: وفي هذه السنة - أعني سنة ١٠٦٣ هـ - توفي الفقيه الأصولي أبو العباس أحمد بن الفقيه العلامة أبي عبد الله محمد العربي بن محمد الكومي عُرِفَ بالغماري، ولى قضاء بلده مكناسة فحمدت سيرته، وكان فقيهاً مدرساً. أخذ عن الفقيه المفتي أبي عبد الله الهواري، ثم عن العلامة أبي عبد الله بن بد الحليم وغيرهما.

قال خال الوالد الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي: قرأت على صاحب الترجمة الرسالة والمختصر.

١٧ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/١٤٨، شجرة النور الزكية ٢/٣٤، كفاية المحتاج

١/٣٧، نيل الابتهاج ١/٩٢.

(٢) كفاية المحتاج ١/٣٧.

فقد ورد على كتابكم المشرف بذكر الله تعالى وولدكم المكرم جعله الله تعالى من المتقين، وأنبته نباتا حسنا وعلمه علما نافعا ولا يجعله من المبعدين، من رحمة رب العالمين، وصلي الله على سيدنا ومولانا محمد الكريم، ولتعلم أنني ما شككت فيكم وقد أيقنت أنكم ما أرسلتموه إلا من أجل الله عز وجل وطلب مرضاته، وبعد: فإني لم أكن للزيارة أهلا، ولا للقربة محلا، وإنما سترني الكريم بفضله، ولطف بي بحلمه، ولله الحمد على نعمته الظاهرة والباطنة، ولتعلم أنني قصدت بنصيحتي لك وجه الله العظيم خاصة فإني لا أطمع في مخلوق أن يكسبني مالا ولا جاها لاكتفائي بمولاي جل جلاله وتقدست أسماؤه.

ولتعلم يا أمير المؤمنين وفقك الله للخير أن الله عز وجل ناظر إليك في كل حين وفي كل ساعة وكل نفس وكل طرفة، ولا بد لك من لقائه، ويسألك عما دق وجل، وينشر عليك عدله، ويسألك عن أمر خلقه وما صنعت، هذا إن طالبك جل جلاله. وأما إن عفا عنك ونشر عليك رحمته وفسح لك فلا راد لفضله ولا لحكمه جل جلاله وتقدست أسماؤه.

وليكن أمير المؤمنين مشفقا على نفسه، وليعمل في يومه لما فرط في أمسه، ومن كان يومه شرا من أمسه فيا حسرته ويا وحشته ويا فجعته، وأعظم المصائب إعراضه عن ربه عز وجل، وقد أشفق الصالحون والأولياء والمتقون على أنفسهم، كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يقرأ قوله تعالى (أفرايت إن متعنهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) وقال الله عز وجل: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: من يأخذها بما فيها يعني من الأجر الذي يعطي الإمام العادل إشفاقا على نفسه. وقد وقف الفضيل بن عياض بعرفة فقال: ظننت أن هذا الخلق غفر لهم حتى رأيت نفسي فيهم. وكان عطاء يقول: لو مات عطاء استراح الناس. وكسفت الشمس يوما فصاح عتبة الغلام بذنوبي كسفت الشمس. وعرك عثمان بن عفان أذن غلام له لأدب فقال: آه أوجعتني. فقال: عثمان خذ أذني فاعركها، فأبي الغلام فقال عثمان: لا بد من ذلك لأن تقتص مني في الدنيا خير من أن يقتص مني في الآخرة فعرك الغلام أذن عثمان فقال له: اشدد وزد، فقال: أمير المؤمنين

إن كنت تخاف القصاص فإنني أخاف أيضا، فهذا يدلّك كله على شفقة الأولياء والأصفياء على نفوسهم لما علموا عدل الله عز وجل في خلقه، ولك عبرة في آبائك وأجدادك فقد صاروا إلى الله عز وجل ولا تدري ما قال لهم ولا ما قالوا له .

وروي عن عيسى عليه السلام أنه مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي بإذن الله تعالى، قال: يا روح الله، أنا ملك زمان كذا وكذا فبينما أنا جالس في ملكي على تاجي على سرير ملكي وحولي جندي وحشمي إذ بدا لي ملك الموت، فزال عني كل عضو على حاله، ثم خرجت نفسي إليه، فياليت ما كان من الاجتماع كان فرقة، وياليت ما كان ذلك إلا حسرة ووحشة .

وروي عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبته: أين الوضأة وجوههم، أين الصباح الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، أصبحوا تحت الثرى .

وروي عنه أيضا أنه قال في خطبته: أين الذين بنوا المدائن، وحصنوا الحصون والحوائط، أين الذين كانوا يعطون من الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الحرب فأصبحوا تحت التراب والآكام .

وروي عن حذيفة بن اليمان أنه قال لابن مسعود وبه ألم من آخر الليل: قم وانظر لي أي ساعة هذه، قال قد طلعت الجمرة يعني الزهرة، فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار .

وقال معاذ بن جبل لما حضرته الوفاة لجاريته: ويحك انظري هل أصبحنا؟ فنظرت فقالت: لا . ثم تركها ساعة فقال لها: انظري فقالت: نعم، فقال أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار .

وقيل لعامر بن عبد الله بن قيس عند الموت وقد بكى: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي فرارا من الموت ولا حرصا على الدنيا، ولكنني أصبحت في صعود مهبط ثم لا أدري أين أهبط هل إلى الجنة أو إلى النار أو يعفو الله تعالى .

وقال محمد بن واسع عند الموت: يا إخواني، عليكم السلام إلى النار، أو يعفو الله تعالى.

وروي جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في بعض الأحاديث أن نفرا من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتكم الله عز وجل أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا فنسأله، فدعوا الله عز وجل فإذا هم برجل جلس بين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من تلك القبور فقال: ما أردتم مني؟ لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما فما سكنت من قلبي مرارته.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو لقيت الله بعمل سبعين نيبا لخشيت لك أن لا تنجو من هول ذلك اليوم.

فعليك عافاك الله بالشفقة على نفسك فإن الدنيا لا تدوم لك، فقد كان في زمن من الأزمان على ما حكى: ملك من الملوك كان عادلا في رعيته فقد سمعه، فقالوا برحوا في الناس من كان مظلوما فليلبس ثوبا أحمر، فإني إن فقدت سمعي فما فقدت بصري، فهذا عافاك الله قد نصح لرعيته ولا أدري هل كان مؤمنا أو كان كافرا، وإن رجع أمير المؤمنين وأشفق على نفسه ورعيته رجوت أن يقبله الله تعالى وأن يمين عليه بفضلته إنه جواد كريم.

وقد قال بعض المشايخ: إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا يقصيك عن الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذنبك ذلك آخر ذنب قدر عليك وليطالع أمير المؤمنين الرعاية للمحاسبي، أو كتاب النصائح للمحاسبي فلعل ببركة الشيخ يكسبك الله خوفا ورحمة فيكون سبب نجاتك، وإن سمعت بأمر المؤمنين أنه اجتهد في نصيحة رعيته وكف يد ظالمهم ونصر مظلومهم اجتهد له في السؤال لله عز وجل في الأسحار، وأطراف النهار، وليعلم أمير المؤمنين أنه لا يخلصه أحد من خدامه ولا من حشمه بل يفرون منه يوم القيامة ويفر منهم، ولا عليك في هذا الأمر إلا أن تراقب الله تعالى وتعمل بما أمرك ونهاك يسهل الله عليك الخير ففساك

تموت وأنت مقبل على الله عز وجل وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وفقك الله لما يحبه ويرضاه وسخرك لخلقه ولا أدار عليك رحي المحنة، على قطب الفتنة، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله فرحم الله امرءا نظر لنفسه وعمل ما يخلصه عند ربه.

فلما وصل كتابه هذا للسلطان أبي عنان رحمه الله أيس من لقائه واشتد حزنه وقال: هذا ولي من أولياء الله حجبته الله عنا.
وقد أجابه أبو عنان عن هذا الكتاب بما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى على سيدنا محمد وعلى آله وسلم، من عبد الله المعترف بذنبه، الراجي رحمة ربه، فارس أمير المؤمنين بن علي بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق وفقه الله عز وجل لطاعته، وجعله بفضل من أهل جنته، إلى وليي في الله وناصري في ذات الله عز وجل الولي العالم الزاهد الخاشع أبي العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر، أمتع الله بحياته وأولياءه، ونفع بصالح دعواته أصفياه، وأبقاه ذخرا للمسلمين ونورا يهدي إلى سبيل المتقين، وبعد حمد الله بارئ النسم، على تتابع النعم، والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ورسله إلى خيرة الأمم، وعلى آله وأصحابه ليوث الهيجاء ونجوم الظلم، فإنه وصلني كتابكم الذي ذكرتنني بموعظته، وعرفتني مصالح نفسي بنصيحتة، أعرب بلسان الصدق، ودعا إلى سبيل الحق، وأيقظ من النومة، ونبه من الغفلة، فجزاك الله خيرا يا أيها القاصد وجه الله العظيم في سره وجهه، الواقف عند حدوده عز وجل في أمره ونهيه، لقد نصحتني وما غششتني، وندبتني لسعادتي وما كذبتني، فالله أسأل أن ينور بصيرتي، ويأخذ للخير بناصيتي، ويسلك بي فيما قلدني سبيل أوليائه المتقين. ويعينني على القيام بأمور عباده المسلمين.

وهأنا إن شاء الله تعالى أجتهد في كف أيدي الظالمين، وأبذل جهدي في

إنصاف المظلومين، وأبتهل إلى الله تعالى بالضراعة في إعانتى بتوفيقه، وهدايتى
لنهج طريقه، وهو سبحانه يعلم - وإن كنت مسرفاً على نفسى مقصراً فى عملى
- أنى لا أضمر إهمال مظلوم ولا إعانة ظالم، وكفى بالله شهيداً، وقد قل أعوان
الحق، وكاد أن تعدم منقبة الصدق، فلا رجل ولى عملاً الا ظلم وتجبر، ولا
مؤمن يركن إليه إلا خان وفجر، ولا جليس يستعان بنهائه إلا آثر دنياه، واتبع
هواه، لكن بالله أستعين فى جميع الأمور، وعليه سبحانه أتوكل وإن لم أوف
بحق التوكل فى الورود والصدور، ونسأله جل وعلا أن يلهمنا ما يقربنا منه، ولا
يجعلنا من المبعدين عنه.

وأسألك أنت بمن كانت هذه المكاتبة ابتغاء وجهه الكريم إلا ما اجتهدت لى
فى الدعاء فى غلس الأسحار، وأطراف النهار، أن يمكننى الله عز وجل نفسى
ويلهمنى رشدى، ويجعلنى من الناطقين بالحق، الفاصلين بالعدل، ويبلغنى تعالى
أملى فى جهاد الكافرين، وينيلنى قصدى فى حج بيت الله الكريم، وزيارة قبره
عليه أفضل الصلاة وأذكى التسليم، وأن يجعل ذريتى من عباده الصالحين ومن أهل
القرآن العظيم وزوار قبر نبيه، وأن يختم لى ولهم بالحسنى، ويبلغنا فى طاعته
جميع المنى، بفضلله وجوده.

وأنا قد انتفعت بكتابك، وأنتفع إن شاء الله بنصيحتك وأجد بركة
موعظتك، التى أردت بها وجه الله العظيم علام الغيوب فلا تخلنى بعد من
إشارتك. ولا من صالح دعواتك، ولا توحشنا من أنس جوارك، ولا تفقدنا من
صالح إيثارك. وإن كنت قد استغنيت عنا فإنى لا أستغنى عن مشاورتك الصالحة،
ومكاتبتك الرابعة. إن شاء الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يجزيكم أفضل الجزاء
ويهدينا إلى الطريقة المثلى والسلام عليكم ورحمة الله».

وذكر المترجم ابن الخطيب فى نفاضة الجراب وابن الخطيب القسطنطينى فى
رحلته ووصفه بأوصاف عالية منها: كثرة النفور من أصحاب الولاية فى الأعمال

قال: وخرجت على يده تلاميذ نجباء أخيار وطريقه أنه جعل إحياء علوم الدين نصب عينيه واتبع ما فيه بجد واجتهاد، وصدق وانقياد.

قال هو غيره: ولم يكن قوته إلا من نسخ «عمدة الأحكام» في الحديث وكان معجبا بهذا التأليف مؤثرا لحفظه وفهمه كثيرا ما يندب إخوانه لذلك، وكان يقوم على حفظه وربما أقرأه تفهما لكثير من أصحابه ينسخ منه ثلاث نسخ في السنة غالبا ويسفرها بيده، وربما صنع لها أغشية من جلد بيده ويبيعها من يعرف طيب كسبه بدينار من الذهب العين للنسخة ولا يأخذ إلا قيمتها.

ولم تزل حالته وبركته في زيادة إلى أن توفي قال ابن عرفة: ما في زماننا مبرز إلا هو وأبو الحسن المنتصر.

قال ابن عاشر الحافي في «تحفة الزائر»: رحل يعني المترجم له وحج ثم آب للمغرب فقدم فاسا المحروسة وأقام بها مدة ثم ارتحل إلى مكناسة. اهـ.

وفي «درة الحجال» رحل إلى مكناسة واستوطنها مدة وكانت بها إحدى أختيه والثانية بشمينة، وكان أبو عنان يجري على التي كانت بمكناسة جارية تعيش بها، ثم انتقل إلى سلا وقرأ القرآن والعلم ببلده شمينية، ثم انتقل منها إلى الجزيرة الخضراء وأقام بها زمانا مشغلا بتعليم كتاب الله ولقي الأكابر من أهل المقامات كمسعود الأبله - الرجل الصالح - قال وبإشارته خرج من الخضراء.

وفي تحفة الزائر أنه نزل برباط الفتح بعد انتقاله من مكناسة دهرا طويلا بزاوية الشيخ العظيم الشأن سيدي عبد الله الياهوري، ثم انتقل للعدوة الأخرى من سلا فنزل بها بزاوية الشيخ أبي زكرياء الكائنة بقرب الجامع الأعظم وبتدار المقدم عليها إذ ذاك أبي عبد الله محمد بن عيسى تلميذ أبي زكرياء المذكور، وكل ذلك بعد وفاة الشيخ الياهوري. اهـ.

الآخذون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله بن عباد شارح الحكم العطائية، وناهيك به وهو من اكابر أصحابه وخيارهم أقام معه سنين عديدة قال في رسائله: «كنت خرجت يوم مولده ﷺ صائما إلى ساحل البحر فوجدت هنالك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلون فأرادوا مني الأكل، فقلت: إني صائم، فنظر إلى السيد الحاج نظرة منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم كالعيد، فتأملت مقالته فوجدتها حقا وكأنه أيقظني من النوم».

وفاته: توفي سنة خمس وستين وسبعمائة وضريحه بسلا مزارة مشهورة يقصدها الزوار ويفد إليها ذوو العاهات فيكشف الله أوصابهم والأعمال بالنيات.

١٨- أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن عبد المنان أبو العباس الخزرجي.

أجرى ذكره تلميذه العلامة ابن جابر الغساني في شرحه على التلمسانية في الفرائض.

حاله: وصفه تلميذه المذكور بالشيخ الفقيه العلم رافع راية الشعر والأدب في عصره القدوة الأحفل، المتفنن الأكمل، كاتب الخلافة العلية، المخصوص لديها بالمزايا السنية، وأنشده لبعض المشاركة:

مفتاح رزقك تقوي الله فاتقه وليس مفتاحه حرصا ولا طلبا
والعلم أفضل ثوب أنت لا بسه فاجعل له علمين الدين والأدبا

وكان إنشاده إياه البيتين المذكورين برباط الفتحة من مدينة سلا أوائل عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة. اهـ.

١٨ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/ ٥٣.

وحكي أنه قدم مكناسة مع أبي العباس أحمد المريني بن أبي سالم ونزل في
مرستان مكناسة لكونه كان خاليا فكتب له السلطان المذكور هذه الأبيات:

يا شاعرا قد خبرناه ففاض لنا بالشعر والكتب من تلقاء نجران
نبئت أنك قد بدلت دارك في مكناسة فشجا من^(١) عندك ابنان
ما زال يتبعك الغاوون مذ زمن حتى لقد همت في وادي المرستان^(٢)
وأجابه أبو العباس المذكور بقوله:

لما بدا لي في حمي مكناسة مشوى الذين مضوا من الأتراب
أيقنت أنني لست ذا عقل بها أتبعث نفسي من هوي وتصابي
فتركت داري لم أعرج نحوها ورأيت مارستانها أولي بي^(٣)

و[قد]^(٤) تنسب له حكاية، وهي أنه كان ذات يوم في طريق مكناسة فيينما
هو في أثنائها إذ سمع هاتفا ولم ير شخصه وهو يقول:

أسرتم^(٥) السابح في لجة ولم تفلتوا ذوات الجناح
هذا وقد عرضتم للفنا فكيف لو خلدتم ياوقاح^(٦)
فأجابه ابن عبد المنان بقوله:

(١) رواية المطبوع: «مكناسة فجشا من عنك انبان» والمثبت رواية المكناسي في درة الحجال.

(٢) درة الحجال ٥٣/١.

(٣) درة الحجال ٥٣/١.

(٤) من درة الحجال.

(٥) في المطبوع: «أكلتم» والمثبت رواية درة الحجال.

(٦) درة الحجال ٥٤/١.

بالعقل قد فضلنا ربُّنا وسخر الفلك لنا والرياحُ
فالحوت والطير متاع لنا وما علينا فيهما من جناحُ
وإن غدونا عرضة للفنا فنقلتنا إلى دار الفلاح
فإنه يُفْضي إلى دعوة لدار خلد ليس عنها براح^(١)

قال في «درة الحجال» وهذه الحكاية حدثني بها أبو راشد عن شيخه ابن إقمار^(٢) وعن شيخه ابن غازي وأوردها في فهرسته هكذا منسوبة^(٣) له. وأوردها الصفدي ونسبها لغيره فانظره.

قال وذكرني عن ولد الكاتب المذكور وهو يحيى بن أحمد أنه دخل على مخدمه أحمد المريني بمساء فقال له: مولانا نعم صباحك، فأنكر السلطان ذلك منه وتوهمه ثملاً فتفطن الكاتب لما صدر منه فأنشأ يقول:

صباحته عند المساء فقال لي ماذا الكلام وظن ذاك مزاحاً
فأجبتة إشراق وجهك غرني حتى توهمت المساء صباحاً^(٤)
وعطس السلطان المذكور يوماً وكان ابن عبد المنان حاضراً فقال:

يرحمك الرحمن من عاطس وليهنك الحمد على عطستك
ويغفر الله لنا كلنا وليسبل الستر على حوبتك

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن جابر الغساني حسبما ذكره عن نفسه في شرحه على المنظومة التلمسانية وجماعة.

(١) درة الحجال ١/ ٥٤.

(٢) في المطبوع: «ابن أكار» والمثبت رواية درة الحجال.

(٣) درة الحجال ١/ ٥٤.

(٤) درة الحجال ١/ ٥٤.

وفاته: توفي سنة اثنين وتسعين - بتقديم المثناة - وسبعمائة - بتأخير الموحدة عن السين .

١٩ - أبو العباس أحمد بن سعيد القيجميسي - بفتح القاف والجيم بينهما ياء ساكنة مثناة تحية فميم مكسورة فياء ساكنة فسين بعدها ياء النسبة - المكناسي الورزيغي شهر الحباك .

حاله: كان فقيها علامة متصوفا شاعرا فصيحاً ظريفا آية من آيات الله في النيل والإدراك مع حظ وافر من الأدب^(١)، وله ذوق في التصوف تولي الخطابة في المسجد الأعظم من بلده مكناسة الزيتون مدة، ثم خطب بجامع القرويين بعد العبدوسي، ثم عاد لمكناسة فخطب بها، ثم عاد إلى فاس وعزل هو عن الخطابة، والفقيه القوري عن الفتوي، والقاضي الجنياري عن خطته في يوم واحد، ثم طلب للإمامة بجامع الأندلس فأبى، وقال: إن كان عزلي لجرحة فلا يحل تقديمي، وإن كان عن غير جرحة فقبولي من قلة الهمة، أي لأن منصب الخطابة في القرويين أشرف من منصب الإمامة في الأندلس، وقبول الانتقال من الأعلى للأدون انحطاط في الهمة والله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها وهذا ظاهر. وكان يدرس بالمدرسة المتوكلية المعروفة بأبي عنان، كان يسكن بورزيغة من مكناسة الزيتون ومنها ارتحل لفاس .

مشيخته: كان تلمذ وهو صغير لسليمان الذي قال فيه ابن عباد: ما أعلم أحداً في هذا الوقت أعلم منه بمواجيد القلوب، ولم يفارقه حتى توفي. وأخذ عن العلامة سيدي علي بن يشو التلاجدوتي المكناسي، وعن الشيخ الأستاذ

١٩ - من مصادر ترجمته: التوشيح رقم ١٣ جذوة الاقتباس ١/١٢٧: درة الحجال ١/٨٨، كفاية المحتاج ١/٦٢، نيل الابتهاج رقم ١١٨ .

(١) في المطبوع: «مع حفظ وافر في الأدب» والمثبت رواية القرافي في التوشيح.

ابن جابر الغساني المكناسي، والحافظ أبي القاسم التازغدوري، والحافظ المحدث أبي محمد العبدوسي وغيرهم.

تأليفه: منها نظم مسائل ابن جماعة في البيوع محررة بما وضع عليه الإمام القباب في رجز عذب بليغ أجاد فيه غاية قال ابن غازي: قرأته عليه وأصلح فيه بقراءتي أشياء وأجازنيه، وإنشاءاته وإفادته كثيرة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام ابن غازي حسبما أفصح بذلك عن نفسه في روضه، وحلاه بشيخنا الخطيب البليغ أبي العباس أحمد بن سعيد الغيميسي هـ من خطه.

وفيه الغيميسي^(١) - بالغين المعجمة بعدها ياء ثم جيم فميم مكسورة مشبعة ثم سين فياء نسب - فانظر مع ما نقلناه صدر ترجمته في النسبة وفق ما صرح به السوداني في تكميله وغيره، وكذا أخذ عنه من في طبقتة. شعره: من ذلك قوله:

حضرة ^(١) آس وجمع ناس	وصفوا راح فمن عذيري
راح لها في القلوب قدماً	محض سرور وفيض نور
من يد ساق وأي ساق	قدس في الحسن عن نظير
فأسكر القوم دون كاس	وكان سكري من المدير ^(٣)

وقوله:

بُلِّغْتَ آمالاً ونلت مقاصداً	وغدوت ترجي في الأنام وترهب
بهرت محاسنك الأنام فأصبحتُ	أخبار جودك عن سعود تُعرب

(١) الذي في المطبوع من الروض الهتون - ص ٥٦: «الغفجميسي».

(٢) في المطبوع: «خضرة» بالخاء المعجمة والمثبت رواية المكناسي في درة الحجال، وجذوة الاقتباس.

(٣) درة الحجال ٨٩/١.

برعت علاك وحزت كل فضيلة^(١) وطفقت من فلك المعالي تقرب
برقت عيون الحاسدين ونالهم من روع عـزك ذلة وتغلب^(٢)

ولادته: ولد بمكناسة أوائل القرن التاسع أعني سنة أربع وثمانمائة.

وفاته: توفي سنة سبعين وثمانمائة بفاس على ما في «جذوة الاقتباس» عن
نيف وستين سنة كما في «كناشة» سيدي أحمد زروق وفي «درة الحجال» توفي بعد
السبعين وثمانمائة^(٣).

٢٠ - أحمد بن سعيد المكناسي يكني أبا العباس.

حاله: فقيه خطيب. مصقع وجيه لبب. أريحي أريب. ذكره في «درة
الحجال».

وفاته: توفي في المحرم الذي هو من شهور سنة اثنين وسبعين وثمانمائة.

٢١ - أحمد بن محمد الحباك المكناسي.

ذكره في الدرة.

حاله: فقيه أستاذ نحوي كان قوالا بالحق، وكان آيه من آيات الله تعالى،
وكان لا تأخذه في الله لومة لائم.

مشيخته: أخذ عن سليمان الشهير ببوغريين^(٤) اليزناسني.

(١) في درة الحجال: «كريمة».

(٢) درة الحجال ٨٩/١.

(٣) درة الحجال ٨٩/١.

٢٠ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٨٩/١

٢١ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ٩٤/١، كفاية المحتاج ٧٣/١، نيل الابتهاج ١٤٩/١.

(٤) في المطبوع: «سليمان بن يومين» والمثبت من ترجمته لدى المكناسي في درة الحجال
٣١٢/٣.

وفاته: قال في درة الحجال: توفي مسموما فيما حدثني به شيخنا أبو راشد بعد رجوعه من حركة الصلح مع المريني. اهـ. وذلك سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة.

٢٢- أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي.

حاله: إمام علامة واعية مشارك، حلاه العلامة ابن فهد في اجازة له بالشيخ الإمام العلم الأوحـد. العلامة الأمجد.

مشيخته: منهم أبو فارس عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد وأجازه عامة كما رأيته بخطه.

وأخذ عن والده الإمام ابن غازي وأجازه أيضا عامة ودونك نص إجازته له نقلا عن خطه:

«أجزت لولدي أحمد ومحمد وللفقيه أبي محمد عبد الواحد نجل العالم المطلق أبي جعفر أحمد بن يحيى الونشريسي، وللفقيه أبي الحسن علي بن موسي ابن هارون المطغري، وللفقهاء الإخوة الجلة أبي عبد الله محمد، وأبي زيد عبد الرحمن، وأبي العباس أحمد أولاد الفقيه المحصل أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الدكالي، وللفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الغزال جميع ما اشتملت عليه فهرستي هذه وذيلها إجازة تامة، مطلقة عامة، بشروطها.

قاله وكتبه العبد الفقير المستغفر محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني، سمح الله تعالى له بمنه والحمد لله وكفي، وسلام على عباده الذين اصطفى».

كما أجازه عامة أيضا العلامة أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديمي المصري، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي، حسبما أفصح بذلك والده في فهرسته وذيلها.

فرع الشجرة الزكية الولي الكبير، العلم الشهير، البركة.

٢٣- سيدي أحمد الشبيه بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبي غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن حمود بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين. وحبيب رب العالمين، وآله الطيبين.

حاله: علامة نبيل، قدوة جليل، إمام حفيظ، شريف أصيل، صاحب قدم راسخ، وقدر شامخ، عارف ناسك، جهيد مشارك، لقب بالشبيه لما بدا من علامة جده فيه، وهي الخاتم بين كتفيه، وبها من مزية عظيمة، ومنقبة جسيمة، وقد أثنى عليه صاحب «الدرة الفاخرة» قائلاً:

ثم الإمام أحمد الشبيه	وهو الإمام العارف النبيه
كان به الشبه بالرسول	بخاتم في وضعها المنقول
وجده يحيى الشريف الجوطي	بنسب أفق العلاء منوط
آخر تاسع المئين ولدا	عن ابن يجبش الطريق أخذ
وهي تبلغ إلى الجيلاني	كان له بها علو الشان
مضي ثلاثة وأربعون	من بعد تسعمائة تعينا
قبره في مكناسة الزيتون	من باب عيسى جل في العيون

مشيخته: أخذ عن ولي الله تعالى سيدي محمد بن عبد الرحيم التازي المولود سنة أربعين وثمانمائة، وسيدي عبد الله الغزواني، والشيخ أبي عبد الله

محمد الزيتوني دفين المسيلة من بلاد الجريد المتوفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وعن الشيخ أبي محمد عبد العزيز القسطيني المتوفي سنة ثلاث عشرة وتسعمائة وغيرهم.

الآخذون عنه: منهم الولي المحبوب، أبو زيد عبد الرحمن المجذوب وجماعة كثيرة وطريقته رضي الله عنه جيلانية.

ولادته: ولد رضي الله عنه وعنا به آخر المائة التاسعة.

وفاته: توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ودفن بروضة سيدي عمرو الحصيني وقبره غير معروف لدينا اليوم قالوا إنما كان يعرفه الولي الشهير مولانا عبد القادر العلمي ويقال إن الدعاء عند قبره مستجاب.

٢٤- أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون المسطاسي المكناسي.

حاله: كان فقيها، فاضلا نبيها، وجيها نزيها، قاضيا بالحضرة الهاشمية المكناسية وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ خمس وتسعمائة محلي فيه بالفقيه القاضي بمدينة مكناسة ولم أدر وقت وفاته.

٢٥- قاضيهما أبو العباس أحمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن

القاضي الأعدل الخير الدين أبي العز بن أبي العافية المكناسي.

حاله: فقيه علامة نزيه أعدل قضاة زمانه له معرفة بالفقيه المالكي.

قال في ابتهاج القلوب «وبسبب قضاء أبي العز -يعني جد المترجم - جري عليهم لقب ابن القاضي فيما نطن».

والمترجم هو جد أبي العباس ابن القاضي مؤلف «الجدوة» و«الدرة» وغيرهما من التأليف المفيدة تولى خطة القضاء بمحروسة مكناسة الزيتون.

مشيخته: أخذ عن الإمام ابن غازي وغيره.

وفاته: توفي بفاس المحروسة سنة خمس وخمسين وتسعمائة ودفن بإزاء قبر الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن غازي رحم الله الجميع بمه.

٢٦- أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الله المنجور.

المكناسي النجار، الفاسي الدار والقرار، كذا نسبه غير واحد ممن ترجمه^(١).

حاله: إمام فقيه معقولي، محدث أصولي، آية من آيات الله في المعقول والمنقول وسعة العارضة والاطلاع والمهارة الكاملة في سائر الفنون، كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ والبيان والمنطق وغير ذلك وكانت له معرفة برجال الحديث شديد العناية بالتحصيل قوي التحقيق حسن الإلقاء والتقرير، معتنيا بالمطالعة والتقييد والإقراء، لا يكل ولا يمل، شعاره الإنصاف في البحث والمذاكرة، يميل مع الحق حيث كان، صافي الذهن حاد الإدراك، مصيب الفهم، ذا خط رائق، وأدب فائق، خدم العلم حتى ألفت إليه العويصات زمامها، وبرز على الأقران، وصار شيخ جماعة الأعلام في وقته، وكان يحض على تعلم سائر العلوم ويقول: إن العلوم كلها نافعة، وكان يبحث عنها ويتعلمها حتى إنه تعلم لعب الشطرنج فأثقنه ومهر فيه وصار المشار إليه بالبنان في معرفة دقائقه وتعلم تلاحين العود فكان يحرك بجسه أوتاره أفئدة العاشقين، جمال حضرة رب العالمين، أما العقائد فهو ابن بجدتها، وانفرد عن أهل زمانه بمعرفة تاريخ الملوك والسير والعلماء على طبقاتهم ومعرفة أيامهم وكانت معه حدة في بعض الأوقات تمنع المتعلم من مراجعته، والإكثار من مباحثه.

وكان مولعا بأمثلة العامة خصوصا عامة الأندلس يستحسن لغتهم ولكنهم

٢٦ - من مصادر ترجمته: درة الحجال ١/١٥٦، نيل الابتهاج ١/١٥٥.

ويثني عليهم وعلى بلادهم ويتشوق إليها وكان يقال فيه إن فهمه لا يقبل الخطأ وله صناعة في التدريس يجيد ترتيب النقول ويتأنق في كيفية الإلقاء، وكان من عباد الله الصالحين لا يفتر عن قراءة القرآن إلا في زمن المطالعة أو الإقراء أو ضروريات الإنسان، وكان أروع الناس في النقل، كاد أن لا يفارق لسانه لا أدري أو حتى أنظر أو كلام يقرب من هذا.

وكان دمث الأخلاق رقيق الحاشية متقشفا في الدنيا قانعا بما تيسر من المأكول والملبس لا يحسن تدبير الدنيا قال «في درة الحجال» صارت الدنيا تصغر بين عيني كلما ذكرت أكل التراب للسانه والدود لبنانه.

وفي «كفاية المحتاج» هو آخر فقهاء فاس لم يخلف بعده مثله، وأصله من مكناسة الزيتون كما صرح بذلك غير واحد ممن ترجمه.

مشيخته: أخذ عن اليسيتني وهو عمده، وسقين، وابن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، والزقاق وغيرهم ممن اشتملت عليه فهرسته.

الآخذون عنه: أخذ عنه الإمام المولي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني العلوي، وأبو المحاسن الفاسي، وأخوه العارف بالله، وولده أبو العباس أحمد، وأبو العباس ابن القاضي صاحب «درة الحجال» وغيرها. وأجازه عامة قال في درته لازمته كثيرا من سنة خمس وسبعين إلى وفاته وما فارقه إلا زمن رحلتي للمشرق أو زمن أسري فقط أو مرة أقمتها بمراكش في حياته رحمة الله عليه وأخذ عنه خلق عظيم.

مؤلفاته: منها شرح المنهج المنتخب على قواعد المذهب، وحاشية على كبري السنوسي في العقائد، وأخري صغيرة عليها أيضا، وشرحان على قصيدة ابن زكري في الكلام مطول ومختصر، وفهرستان كبري وصغري، ومراقبي المجد في

آيات السعد، والمختصر المذهب، من شرح المنهج المنتخب، وشرح المختصر. من ملتقط الدرر.

شعره: من ذلك قوله جوابا عن سؤال بعض السنوسيين سأل عنها قاضي الجماعة بفاس عبد الواحد الحميدي^(١):

جوابك في الأولى إباحة أكلها	ومستقذر كل يباح وَصَدَّقْ
وأنكر في التبويه نجل بشيرهم	إضافة ذا للمذهب افهم ودقق
وقد قيل في الأزواج يحرم أكلها	وذلك في الكافي ليوسف فارتق
وميت مجنون جري خلف حكمه	بِعِلْمِ كَلَامٍ لَا تَكُنْ غَيْرَ مَتَّقِ
وتحقيقه أن الجنون الذي طَرَأَ	يَصِيرُ كَمَوْتٍ فَصَلِّ الْحَقَّ تَعَبَّقِ
فأَوْنَةً بَعْدَ الْبُلُوغِ طُرُوهُ	وَحِينَا يُرَى قَبْلَ الْبُلُوغِ فَطَبِّقِ
وأَوْنَةً إِثْرَ الصَّلَاحِ وَقُوعِهِ	وَحِينَا لِعَصِيَّانٍ ^(٢) الْكَبِيرِ يَلْتَقِي
وَحِينَا يَدُومُ لِلْمَمَاتِ وَتَارَةُ	يُفِيقُ فَخُذْ حَكْمَ الْجَمِيعِ وَوَثِّقِ
ويندب للمسبوق دعوى تشهد	وِفَاقِ إِمَامٍ فِي الثَّلَاثَةِ فَارْتَقِ
وليس له فعل بحال واصله	بِكَسْرِ لِيَاءِ فَاكْسِرِ الْعَيْنَ تَرْتَقِي
وجمعك صاعا في القليل بأَصْوُعُ	وَسَوْغٍ لُضْمٍ ^(٣) الْوَاوِ نَهْجَا وَنَمَقِ
وإن شئت فاقبله فيرجع أَصْعَا	بِضَابِطٍ ^(٤) تَصْرِيفٍ فَلِلْعِلْمِ شَوْقِ

(١) الأبيات لدى المكناسي في درة الحجال ١/١٥٨، والتنبكتي في نيل الابتهاج ١/١٥٧.

(٢) في المطبوع: «بعصيان» والمثبت من درة الحجال.

(٣) في المطبوع: «لهمز» والمثبت من درة الحجال.

(٤) في المطبوع: «لضابط» والمثبت من درة الحجال.

وصاع كعام عينه فرع ضمة وتحريكه فتح فزَنُهُ وحقق
ومقصود من في العود بدء لغاية فإبليسُ مبدا العود عند الموقف
وجمع سواء فالذي منه جامد بأفعلة فاعلم يقاس ففرق
ومشتقه وزن الخطايا قياسه سوايا به نقل فبالمدح فانطق

يعني أن المشتق جمعه مسموع، وأما الجامد فلم يسمع له جمع لكن قياسه
أفعلة كأقبية، قال في نيل الابتهاج إثر نقله لهذا الأبيات ما نصه:

«وهذه الأبيات أرويهها عن صاحبنا قاضي تامسنا إبراهيم الشاوي عنه»^(١).

ولادته: ولد عام ستة وعشرين وتسعمائة.

وفاته: توفي يوم الاثنين سادس عشر القعدة الحرام سنة خمستسعين
وتسعمائة كذا في «الدرة» والذي في نيل البتهاج أنه توفي نصف ذي القعدة ليلة
الاثنين والخطب سهل.

٢٧- أبو العباس أحمد بن عمر الحارثي السفيناني.

نسبة لفخذ من قبيلة الغرب المشهور.

حاله: كان من أكابر الصالحين عارفا بالله تعالى رطب اللسان بذكره تعالى
لا يفتر لسانه عن ذكره وكان دأبه أن يخطط أطباق العزف والقفاف فلا يدخل الخيط
ويخرجه في كل مرة إلا بكلمة الهيلة شأنه مراقبة مولاه، في سره ونجواه،
والدلالة عليه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب
دلائل الخيرات.

(١) نيل الابتهاج ١/ ١٥٨.

٢٧ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر في موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٨١٤.

الآخذون عنه: منهم الشيخ الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسى السفيناني الأصل ثم المختاري شيخ الطائفة العيساوية، ومنهم السيد عمر بن مبارك الحصيني من قبيلة حصين - بالتصغير - دفين مكناسة الزيتون والسيد سعيد بن السايح المالكي من عرب بني مالك، وغيرهم.

وفاته: توفي في العشرة الأولى من القرن العاشر وقبره مشهور ببلدتنا المكناسية عليه مزاراة جليلة خارج باب السبية أحد أبواب المدينة.

٢٨- أحمد بن إبراهيم الأوسي الجنّان أبو جعفر.

من جملة شيوخ مكناسة الذين لقيهم ابن الخطيب عام إحدى وستين وسبعمائة حسبما ذكره في رحلته المسماة «بنفاضة الجراب».

حاله: كان فقيها عدلا اخباريا مشاركا من أهل الظرف والانطباع والفضيلة عاقدا ناظما ناثرا مشاركا في فنون من العلم.

مصنفاته: منها المنهل المورود في شرح المقصد المحمود، في ثلاثة أسفار شرح فيه وثائق ابن القاسم الجزيري فأربي على الإجابة، بيانا وإفادة، قال ابن الخطيب ناولني إياه وأذن في حمله عنه وأنشدني كثيرا من شعره.

شعره قال في صدر رسالة يهنئ بها ناقها من مرض^(١):

البس الصحة بُردا قشيبا	وارشف النعمة ثغرا شنيبا
واقطف الآمال زهرا نضيرا	واعطف الإقبال غصنا وطيبا ^(٢)
إن يكن ساءك وعكُ تقضي	تجد الأجر عظيمًا رحيبا
فانتعش دهرك ذا في سرور	يصبح الحاسد منه كئيبا

٢٨ - من مصادر ترجمته: نفاضة الجراب - ص ٣٧٦.

(٢) نفاضة الجراب - ص ٣٧٦.

(٣) في المطبوع: «رطيبا» بالراء، والمثبت من النفاضة.

ومنه أيضا ما رقم في الدور الخشبي الذي بالدار التي كان نزل بها ابن الخطيب عند حلوله بالديار المكناسية وهو قوله^(١):

انظر إلى منزل إذا نَظَرْتُ	عينك يعجبك كل ما فيه
ينبيء عن رفعة لما لكه	وعن ذكاء الحجا لبانيه
يناسب الوشي في أسافله	ما يرقم النقش في أعاليه
كأنه روضة مُدَبَّجَة ^(٢)	جاد لها وابل بما فيه
فأظهرت للعيون زخرفها	وأوقفتها على تحليه
فهو على بهجته تلوح به	ورونق للجمال يبيديه
يشهد للساكنين أن لهم	من جنة الخلد ما يحاكيه
في أبيات آخر.	

قال ابن الطيب: وفاتحته محركا قريحته ومستثيرا ما عنده بقولي:

إن كانت الآداب أضحت جنة	فلقد غدا جنانها الجنان ^(٣)
أقلامه القضب اللدان بدوحها	والزهر ما رَقَمْتَه منه بنان
قال فراجعني الجنان بما نصه:	
يا خاطب الآداب مهلا فقد	ردك عن خطبتها ابن الخطيب ^(٤)
هل غيره في الأرض كفؤ لها	وشرطها الكفاة قول مصيب

(١) نفاضة الجراب - ص ٣٧٦.

(٢) في المطبوع: «مدلجة» والمثبت رواية النفاضة.

(٣) نفاضة الجراب - ص ٣٧٧.

(٤) نفاضة الجراب - ص ٣٧٧.

أصبح للشرط بها معرسا فاستفت في الفسخ فهل من مجيب؟

نثره: قال يخاطب ابن الخطيب: «أيها السيد الذي يتنافس في لقائه ويتغالي. ويصادم بولائه صرف الزمان ويتعالى^(١)، وتستنتج نتائج الشرف بمقدمات عرفانه، وتقتنص شوارد العلوم برواية كلامه، فكيف بمدانة عيانه، جلوت على من بنات فكرك عقائل نواهد، وأقمت بها على معارفك الجمّة دلائل وشواهد، واقتنصت بِشْرَكَ^(٢) بديهتك من المعاني^(٣) أوابد شوارد، وفَجَرْتَ من بلاغتك وبراعتك حياضا عذبة الموارد، ثم كلفتني من إجراء ظالعي^(٤) في ميدان ضليعها، مقابلة الشمس النيرة بسراج عند طلوعها، فأخلدت إخلاء مهيض^(٥) الجناح، وفرت فرار الأعزل عن شاكي السلاح، وعلمت أنني إن أخذت نفسي بالمقابلة، وأدليت دلو قريحتي للمساجلة، كنت كمن كلف الأيام رجوع أمسها، أو طلب ممن علتها السماء محاولة لمسها، وإن رضيت من القريحة بسجيته^(٦) وأظهرت القدر الذي كنت امتحت^(٧) من ركبته. أصبحت مسخرة للراوين^(٨) والسامعين، ونبت عن أسمى دواوينهم كما تنبو عن الأشيب عيون العين ثم إن أمرك يا سيدي لا يحلُّ وثيق مبرمه، ولا يحل نسخ محكمه، فامتثلته^(٩) امثال من لم يجد في

(١) في المطبوع: «ويعالي» والمثبت رواية نفاضة الجراب.

(٢) في المطبوع: «بشرارد» والمثبت رواية النفاضة.

(٣) في المطبوع: «المعالي» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٤) في المطبوع: «طالعني» والمثبت رواية ابن الخطيب، وبهامشه: «الظالع الذي أصابه الظلع وهو شبه العرج».

(٥) في المطبوع: «قبيض» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٦) في المطبوع: «بسيمته» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٧) في المطبوع: «استمحت» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٨) في المطبوع: «للراءين» والمثبت رواية ابن الخطيب.

(٩) في المطبوع: «فامتثلت» والمثبت رواية ابن الخطيب.

نفسه حرجا من قضائك، ورجوت حسن تجاوزك وإغضائك، أبقاك الله قطبا لفلك المكارم والمآثر، وفصا لخاتم المحامد والمفاخر والسلام^(١)».

٢٩- أبو العباس أحمد بن سعيد المجلدي^(٢).

حاله: شيخ الجماعة في إقراء المختصر الخليلي محصل لمنطوقه ومفهومه، كثير الممارسة له، يختمه كل سنة، مستحضر للنوازل، عارف بإدراج الجزئيات تحت الكليات، ماهر في ذلك، حسن الأخلاق، لين العريكة، منصف متواضع، له إشراف تام على السير، ومشاركة وافرة في فنون عديدة نفع الله بعلمه جما غفيرا من الأعيان.

ولي قضاء فاس الجديد أزيد من أربعين سنة، فحمدت سيرته، ولم يحفظ عنه ما يشين عرضه ولا ما يغض من جلالته منصبه.

وولي قضاء مكناسة الزيتون بعد عزل القاضي أبي مدين عنها، وذلك أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف كما أفصح بذلك الضعيف في «تاريخه» وقد وقفت على عدة خطابات له تدل على ذلك.

مصنفاته: منها اختصار المعيار في مجلد ضخيم، وشرح على المختصر الخليلي سماه أم الحواشي يبين فيه الصورة أو لا بما فهمه ثم ينقل ما يناسبه من كلام الأئمة، ثم ينقل سائر لفظ الحواشي السابقة عليه، ومؤلف في الحسبة سماه «التيسير في أحكام التسعير» وقفت عليه في نحو الكراسة.

مشيخته: أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وأبي سالم العياشي وأجازاه الأخير عامة كما أخذ عن غيرهما.

(١) الخبر بطوله لدى ابن الخطيب في نفاضة الجراب - ص ٣٧٧.

(٢) في المطبوع: «المجلدي» والمثبت في نشر المثاني.

٢٩ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ٤/ ١٦٦٧ في موسوعة أعلام المغرب.

الآخذون عنه: منهم أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي كما في «نشر المثنائي» وناهيك به. قال اليوسي في «فهرسته» أخذت عنه رسالة الأسطربلاب، وشيئا من الحباكية وشيئا من القلصادي، وحضرت عنده خليلا وأثني عليه رحم الله الجميع.

وفاته: قبضه الله إليه مغرب يوم الاثنين خامس عشري صفر عام أربعة وتسعين وألف ودفن ظهر الغد خارج باب محروق أحد أبواب فاس.

٣٠- أبو العباس أحمد الغماز أستاذها.

حاله: كان شديد الحفظ للقرآن العزيز يسأل عما قبل الآية فيجيب مسرعا وكان أستاذ الإقراء، وأستاذ الغناء، وكان له تلامذة يحسنون الصنعتين.

٣١- الشاب أبو العباس أحمد بن عمر بن مبارك الحصيني المكناسي.

حاله: فقيه من أعيان أهل مكناسة ذكره الغزال في تأليفه الذي تعرض فيه لترجمة الشيخ الكامل السيد محمد بن عيسى دفين خارج بابي السبية والبراذعيين من مكناسة الزيتون قائلًا فيما حكاه عن السيد محمد بن عمر بن داود المختاري أحد تلاميذ الشيخ المذكور، من أنه كان يوما بين يدي شيخه ابن عيسى إذ جاء الشيخ شاب فقيه من أهل مكناسة ومن أعيانها وعليه أثر الغبار، فجلس أمام الشيخ وصار يبكي بكاءً شديداً، فقال له الشيخ: ما يبكيك يا فقيه؟ فأخبره عن والده أنه سار إلى رحمة الله وله مدة يسيرة وأنه رآه الليلة في النوم وذكر له أنه يعذب في قبره، وأنه أمره بالتوجه إليه لعله أن يدعو الله له أن يخفف عنه العذاب، فقال له الشيخ: نعم، وبسط كفيه وقال: اللهم بجاه سيدنا ومولانا محمد صاحب الجاه العظيم عندك خفف عن والده العذاب، وأمتنا نحن على دعائه، ثم إن الشاب قبل يد الشيخ وقام وهو مسرور وأيقن بالفرج لما يتحقق من إجابة دعائه رضي الله عنه.

ثم بعد ثلاثة أيام أقبل المترجم على الشيخ عند صلاة الصبح فصلاها خلفه وعليه آثار الفرح والسرور، ثم بعد الفراغ قام وجلس أمام الشيخ وقبل يده وقال: يا سيدي، رأيت البارحة والدي وهو في غاية السرور، وعليه عباءة خضراء، وقال: يا ولدي قد رفع الله عنى العذاب ببركة دعاء الشيخ، فعليك يا بنى باتباعه وصحبته، ثم دخل الشاب المترجم في عهده وصحبته وصار من المفتوح عليهم. قال: وهذا الشاب الفقيه هو الشيخ سيدي أحمد بن عمر بن المبارك الحصيني رضي الله عنه.

مشيخته: أخذ عن الشيخ ابن عيسى وغيره.

٣٢- أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد المكناسي الزناتي الشهير بابن القاضي.

من نسل موسى بن أبي العافية.

صرح هو بذلك في كتابه جذوة الاقتباس.

ورفع نسبه فيه إليه، ثم إلى مكناس بن وصطيف، ثم تبرأ من فعل جده ابن أبي العافية مع أهل البيت وهو ممن شمله عموم قول ابن غازي في "روضه" لدي تعداده علماء مدينة مكناسة الزيتون، إذ قال: ومنهم بنو العافية.

حاله: كان فقيها مشاركا مؤرخا ضابطا نقادا مطلعاً ثبّتا وجيها متقنا حيسوبيا فرضيا له معرفه بالتاريخ والفقه والفرائض والحساب والهندسة وتولي القضاء بسلا فحسنت سيرته وحمدت.

مشيخته: أخذ عن عدة شيوخ في المغرب، منهم: أبو القاسم المنجور، ومفتي مراكش أبو محمد عبد الواحد السجلماسي الحسني العلوي، وأبو زكرياء يحيي السراج، وأبو عبد الله بن جلال، وابن مجبر المساري، والشيخ القصار، والشيخ أحمد بابا السوداني. ثم رحل إلى المشرق فأخذ به عن عدة شيوخ أيضا، وكان يتردد إلى الشيخ أبي المحاسن الفاسي ويحضر مجالسه.

٣٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ١٢٢٩/٣ في موسوعة أعلام المغرب.

تأليفه: منها جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ومنها درة الحجال في أسماء الرجال. والمنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور، ولفظ الفرائد من لفاظة حلو الفوائد، وله نظم ذيل به رقم الحل لابن الخطيب، وغنية الفرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض، والمدخل في الهندسة، ونظم تلخيص ابن البناء، وكتاب نيل الأمل فيما بين المالكية جري العمل، وفهرسته المسماة بزائد الصلاح، وله كلام على جداول الحوفي وتقاييد.

محتته: كان في رحلته إلى الحج ركب البحر فأسر بيد النصاري وأذاقوه النكال الأليم والبلاء العظيم، من الجوع والضرب والتكليف بما لا يطاق، وقد كان المنصور - رحمه الله - كتب في شأنه لقواد الثغور بالبحث عن مستقره في أي موضع من بلاد النصاري لتعلق همته العلية بإخراجه من ربقة الأسر تعظيما لقدره حسبما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه المنتقى.

وكان أسره في يوم الخميس رابع عشري شعبان عام أربعة وتسعين، فتكون مدة أسره نحو أحد عشر شهرا، افتداه المنصور بما يعدل عشرين ألف أوقية من الذهب، بعد أن كان النصاري إنما طلبوا فداءه بكلب تعتنا.

شعره: من ذلك قوله مستعظفا ومستصرخا المنصور الذهبي لفدائه من الأسر:

تجلت عن المعاني الأسير المكبل	هموم سرت في الجسم في كل مفصل ^(١)
بذكر الإمام الهاشمي الذي سما	بسيمة خير الخلق في كل محفل
إمام العلا المنصور فخر أئمة	به قد تحلي كل جيد معطل
به راق وجه الأرض وافتتر ثغره	وحلي جيد منه بالدر والحلي
إمام همام همه طول همه	ظبي ماله ^(٢) عين المعالي بصيقل

(١) نشر الثاني - ص ١٢٣١ في موسوعة أعلام المغرب.

(٢) في المطبوع: «بانه» والمثبت من نشر الثاني.

فكم تضحك الخيرات في بطن كفه
وكم جاوز الغايات حتى لو أنه
فَعُرُّ^(٢) الليالي من سنه توقدت
زكيّ زهيّ للسماح سماؤه
إمام الهدى بحر الندي قسور الردى
بحق الذي ولاك^(٣) ملكا فنجني
وكن يا إمام العدل في عون حائر
لقد مزقت أيدي الزمان وريده
وأخني عليه الدهر من كل وجهة
فعافاك رب العرش يا ملك العلا
ولا زلت حج المعتفين وكعبة
ولادته: ولد عام ستين وتسعمائة.

وفاته: توفي عام ألف وخمسين وعشرين وقدر المكلا تي لوفاته بحروف
(وهو شهاب) في قوله:

وخر شهاب الدين أحمد من به (وهو شهاب) ظلمة الليل تنجلي

(١) في المطبوع: «وتبكي» والمثبت رواية نشر المثاني.

(٢) في المطبوع: «فعر» بالعين المهملة والزاي، والمثبت رواية نشر المثاني.

(٣) في المطبوع: «أولاك» والمثبت من نشر المثاني.

٣٣- الولي الشهير. المجذوب الكبير. سيدي أحمد بن بلعيد المدعو ابن خضراء.

من بهاليل مكناسة الزيتون.

حاله: كانت حالته حالة الغائبين المحبوبين له كرامات كثيرة. وأخبار بالمغيبات شهيرة. قال في «نشر المثاني» يتحققون ذلك أهل بلده ويتحدثون عنه بعجائب.

مشيخته: أخذ عن سيدي محمد الشرقي، قال في النشر: والتاريخ يقبله، إذ كان لصاحب الترجمة علو في سنّه، لأنه تقدم أن وفاة سيدي محمد الشرقي في العام العاشر بعد الألف وتوفي صاحب الترجمة عام خمسة وسبعين بموحدة وألف، فبين وفاتيهما نحو خمس وستين [سنة، وعمر صاحب الترجمة قرب المائة] (٢).

والذي في لوح خشب منقوش مبني عليه صدر جدار المباح يمين الداخل لضريح المترجم أنه أخذ عن سيدي عبد السلام الشرقي، وهو أخذ عن والده سيدي محمد فيكون أخذ عن سيدي محمد بواسطة والده سيدي عبد السلام، وقد رفع سنده في ذلك اللوح إلى النبي ﷺ وعلى آله وصحبه.

وفاته: توفي عن سن عالية في منتصف رجب الفرد عام خمسة وسبعين بموحدة وألف، وضريحه بمكناسة شهير من المشاهد المتبرك بها رحمه الله ورضي عنه.

٣٤- أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسي بن الشيخ سيدي محمد بن مبارك التاستاوتي (٣).

٣٣ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ١٥٢٧/٤ في موسوعة أعلام المغرب.

(٢) نشر المثاني - ص ١٥٢٧ - ١٥٢٨ في موسوعة أعلام المغرب، وما بين حاصرتين منه.

٣٤ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ١٩٥٤ / ٥ في موسوعة أعلام المغرب.

(٣) في المطبوع: «التستوتي» والمثبت من نشر المثاني.

الولي الصالح العارف الشهير من حفدة الشيخ أبي عبد الله محمد بن مبارك الزعري .

حاله : كان عالما عاملا ، عارفا كاملا ، ممتع المجالسة آية في نيل الفضائل . ومعرفة حقوق الأفاضل ، فمن ذلك أنه كانت وقعت وحشة بينه وبين الشيخ الكامل ، العارف الواصل ، سيدي أحمد بن ناصر ، فبقي مرة يترضاه ، ويستنزل بمحاسن أدبه رضاه . إلى أن لبي مناديه ، فدعا لتلقي تلك المنة نادية ، واستدعي الناس لحضور ذلك المهرجان الدعاء العام ، وذبح كل ما ملكت يمينه من الأنعام ، وأوقد لقراءة كتاب الشيخ الشموع بالنهار ، وكاد أن يجري لكثرة ما ذبح من الدماء الأثهار ، وأخرج من الفرش المرفوعة ما قدر عليه ، وقام عاري الرأس حافي القدمين لقبض الكتاب الكريم الذي ألقى إليه .

وإذا لم يكن من الذل بد فالتق بالذل إن لقيت الكبارا

ليس إجلالك الكبار بذل إنما الذل أن تجل الصغارا

ومن ذلك أنه وفد على صاحب الترجمة فتية من أولاد الشيخ أبي يعزي في خروجهم لصيد فأكرمهم وطعموا وشربوا وحين خرج ليشيعهم وجد كلابا بالباب أعدوها لصيدهم ، فقال : لمن هذه ؟ فقالوا : لنا ، فعاتبهم حيث لم يخبروه بها ، قائلا : أليس بعار أن تكون هذه الكلاب تصطاد لكم وتنزهكم ثم تدخلون وتتركونها ولا تخبرونني بمكانها ! ما هذا شأن صحبة الكرام ، ثم أقسم أن لا ينصرفوا حتى يصنع للكلاب طعاما وأخذ في مداعبتهم ومحادثتهم ومؤانستهم حتى حضر طعام الكلاب ، فوضعه بين يديها ووقف عليها بنفسه حتى أكلت فودعهم وانصرفوا شاكرين .

قال أبو القاسم العميري: دخلت عليه في يوم الذي توفي فيه فوجدته جالسا على صندوق مرتفع عن الأرض، فقال: لي: إنما جلست هنا لأنني صليت عليه هذه الصلاة يعني الظهر ويشق على إن نزلت أن أصعد للصلاة العصر فمات قبل العصر أو بعده.

ذكر لي يوما باءته وأن من قوته فيها أنه إذا كان في داره لا يصلي صلاة من الصلوات إلا بغسل من جنباته، وكان إذ ذاك متسع الحال في المناكح والسراري، وتأتي له من ذلك ما لم يتأت لمثله، وكان له حسن بداهة في النظم حتى إنه قد يكتب الكتاب وحامله حاضر ينتظره له كأنه يحفظه.

مؤلفاته: منها نظم ممتع الأسماع وشرحه، ونظم رجال التشوف وشرحه، ونظم رجال القشيرية وشرحه، وله كتاب النزهة ضمنه رسائله في جزئين، وله ديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام وقفت على جزء منها في القالب الكبير، وله أسئلة فقهية لعلماء وقته، وتقاييد مفيدة تدل على تضلعه واقتداره وشفوف مكانته وعلو همته وتفوقه على أترابه.

شعره: من ذلك قصيدته الدالية في مدح خير البرية، عارض بها دالية الشيخ اليوسي في مدح شيخ السنة وإمام الحقيقة سيدي محمد بن ناصر الدرعي ومطلعها.

عرج بأطلال الأحبة واقصد	آثارهم يوما لعلك تهتدي
وأجز إذا جئت الديار بمنزل	قد ضم أجداث العشير الهمد
ولهيب قلبك إن أردت شفاء	فأت الربوع تريح قلب الأكمد

إلى أن قال :

لولا النوى ما أقبلت من مغرب
فوق المطايا عاشقون لأحمد
صلى عليه الله ما هبت صبا
وبكي لرؤية وجهه ذو أكمـد
بادر لزورته إذا ما اشتقته
واذهب على الوجنات غير منكـد
ودع المطي بأرجل تشم الحصي
وسمن بالأخفاف خد الأجلـد
وسمن كل مخيل من بارق
وسمن بالركبات كل مبلـد
يعطش بالفلوات مثل ضبابها
ولهن سبج في سراب صيهد
وهي طويلة تنيف على الستمائة بيت وكان إنشاؤه لهذه القصيدة سنة خمس
وعشرين ومائة وألف .

ومن ذلك قوله في ثاني ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وألف :

عظمت نعمة الإله علينا
واستزادت فما لها من نفاد
كل يوم نري من الله فضلا
وامتنانا ورحمة في أيادي
لـو نجازي على ذنوب جنينا
ها نزلنا منازل الإبعـاد
فعفا رحمة ومنا علينا
واهتمدينا بنور أشرف هادي
أحمد المصطفي الذي من سنـاه
زان ما في الأغوار والأنجاد
واهتمدي كل سالك طرق الإـر
وارتدي كل رائد منها التـو
إلى أن قال :

عجبا كيف يدرك المرء هون
والنبي الكريم رحب النـادي

لذ به متوسلا تبلغ المأ

مول في القرب من رحيم جواد

وقوله في سنة ست ومائة وألف:

أراعك أن شمت الطلول الدوارسا
كأن لم تري فيها البدور الأوانسا
وهل هاج منك الدمع لما رأيتهما
تذكر ظبي كان قبل مؤانسا
نعم رحل الأحباب منها وأودعوا
جوي للحشا في كل وقت ملابسا
بكيت فلم تطف المدامع لوعتي
وأصبحت من شوق من الصبر آيسا
وما كنت أدري البين حتى تحملوا
ولا كنت من قبل التفرق عابسا
ولما استقلوا ظاعنين وخيموا
بسلىع أراني بعد ذلك ناكسا
كأنني من شجو فقدت ابن ناصر
ولم أر شيئا شامخ المجد رائسا

وقوله من قصيدة:

إذا أنا باينت البلاد وأهلها
وفارقت أهلي وابتعدت عن الولد
ومت على دين النبي محمد
فقد نلت آمالي وما خفت من كمد

نشره: من ذلك قوله في طالعة الجزء الثالث من ديوانه الشعري ولفظه:
«الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب الشامخ المقدار، في ذكر ما فتح الله به علينا
من مستملحات الأشعار، وهو باب اتسعت دائرته، وقويت عارضته، وجمع من
رقيق المعاني، ودقيق البيان اللساني ما فيه مستراح للالباب، وارتاح للأحباب، فما
شئت من جد مفروغ في قالب الهزل منسوج على منوال الجذ الرفيع، فروضته
الغناء لا تنفد أزهارها، ولا تفرغ من الثمار أشجارها، دانية المرام، غير مستصعبة
على الأفهام، وقد رأيت أن أبديته بقصائد نبويات وأخري بذكرى الصالحين
مشرفات، ثم أسكبه سكبا، وأذكره فاكهة وأبا، متاعا لكم ولأنعامكم، ونزهة
لأرواحكم وأجسامكم، والله المستعان، وعليه التكلان.

مشيخته: منهم السيد عبد الكريم الجزيري أخذ عنه سند المصافحة، وهو عن سعيد قدورة، عن سعيد المقرئ، عن أحمد حجي، عن محمد الوهراني، عن إبراهيم التازي، عن صالح الزواوي، عن محمد الشريف الفاسي نزيل الجزيرة، عن والده عبد الرحمن وعاش أربعين ومائة سنة، عن أحمد بن عبد القادر القوسي، عن أبي العباس المثلث وهو صافح المعمر وهو صافح رسول الله ﷺ.

وله سند في المصافحة عن سيدي عبد القادر الفاسي وأجازه، وقال له: صافحتك بما صافحني به الأشياخ إلى أنس بن مالك قال: صافحني رسول الله ﷺ فلم أر خزا ولا قزا كان ألين من كف رسول الله ﷺ الحديث فيه روايات.

قال صاحب الترجمة في كتابه «نزهة الناظر» وصافحني أيضا سيدي محمد ابن ناصر الدرعي، وأجازني عن أشياخه الذين صافحوه إلى النبي ﷺ. اهـ. بنقل صاحب الأزهار النادية ومن معتمد إمام السنة، وأعظمهم عليه منة، شيخ الشريعة والحقيقة سيدي محمد بن ناصر الدرعي وعلى يديه فتح له.

الأخذون عنه: أخذ عنه العلامة الطيب السيد عبد القادر بن العربي بن شقرون المكناسي، وأحمد بن أبي عسرية بن أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي في خلق.

محنته: سجن سنة أربع ومائة وألف بحبس فاس الجديد، لوشاية بعض أقاربه به للسلطان الأعظم سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل ثم سرحه وحمله ذلك على استيطان مكناسة الزيتون فرحل إليها، ولم يزل بها إلى أن توفي بها.

وفاته: توفي رحمه الله ليلة الأربعاء فاتح رجب سنة سبع وعشرين ومائة وألف، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن حمد خارج باب البراذعين، وقبره هنالك مزارة شهيرة عليه بناء لأباس به، وله عقب ببلاد زعير يقال لهم القادريون.

٣٥- أبو العباس أحمد الخضر بن أبي عبد الله محمد بن أبي محمد عبد القادر زغبوش المكناسي النشأة والدار.

حاله: فقيه عدل ثقة مبرز وقور، صالح فالح بار مشكور، محمود الغريزة والطبع، معدود فيمن يترقب به للمعضلات الدفع، نبیه العقل وجیه في عهد الفضل، نجدة في الفهم، عمدة فيما يلم، منظور إليه من الجلالة السلطانية الإسماعيلية بعين الإكبار، مسبول عليه من لدنها رداء الوقار والفخار، وناهيك بمن يبجله ذلك الإمام، وأعظم بمن كان له منه ذمام.

فقد وقفت على ظهير إسماعيلي يبرهن عما للمترجم من شفاف المكانة لدي سيدنا الجلد المذكور ودونك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وسلم تسليماً، من الأمر العلى الإمامي المؤيد المنصور الإسماعيلي أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الشريف الحسني، وبداخل طابعه إسماعيل بن الشريف الحسني الله له صدر هذا الظهير الزعيم، والأمر المطاع الجسيم، وهو الذي أعلن لماسكه بالرتبة المخصوصة بالتنويه، وشيد للمعتمد على الله وعليه مباني الاجتباء والتنويه، من الاعتناء الإمامي السلطاني الإسماعيلي الشريف أكرم الله معاقده، وأجمل من إحسانه الجميل مساعيه ومقاصده، آمين يا رب العالمين.

يستقر بحول الله وقوته بيد الأرضي الأحظي المرضي الأبر الأجل الأنبل خديم الجناح الأسمى، والملاذ الأحمي، أبي العباس أحمد الخضر نجل الفقيه العدل أبي عبد الله محمد نجل الفقيه العدل أحمد بن عبد القادر دعي بزغبوش، حفيد الولي الصالح الزاهد الناسك قطب المشايخ الأعلام، وتاج الأولياء الصالحين الكرام، سيدي مغيث نفعا الله ببركاته، وأفاض علينا وعلى بنيه من أسراره ونفحاته، اقتضى له ما يتوخي به الولاء الصريح، والصفاء الصحيح، من تكريم واضح الرسوم والإيثار، وتتميم لمواهب الاستصفاء الآمنة من الإبتار، اعتناء بقدرة الذي سمت به رياسة أسلافه في أعلى المظاهر، وامت بطرق العلم والعمل والمحبة

في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر، فاتخذ حفظه الله هذا الأمر الكريم راية يتناولها باليمين، لا يعترىها بحول الله ومنه الانفصام إلى يوم الدين، إنعاماً عليه بالعناية والتوقير الذي لا ينسخ حكمه، ولا يبید بحول الله وقوته على تعاقب الأيام رسمه، رعيًا لما له من الخدمة والسبقية والنصيحة التي لاحت غرراً في وجه الزمان البهيم، والأمور التي توصل بها أدام الله عليه نعمته في الحديث والقديم، ومن كثرة الاعتناء بشأنه والتنويه بمقدار حكمه.

وقع له أيده الله بعد صلاة الجمعة من تاريخه بمحضر العلماء الجللة وفقهاء الملة والأشراف والكتاب والحجاب وأعيان القواد، المتصرفين تصرف الحق في البلاد، أن لا حكم عليه لأحد مدة حياته، فبينه وبين مولانا الإمام فيما ذا عسي أن يكون من تصرفاته، ولا كلام له مع أحد من القواد ولا من العمال والولاة بوجه من الوجوه، اللهم إلا إذا كانت بينه وبين أحد من الناس دعوي شرعية فأحكام الشرع العزيز تجري على كل مسلم بمقتضاها، ولا سبيل لمؤمن موحد أن يتعداها أو يتخطاها، بهذا قضي وأمر صاحب الأمر المطاع وألزم أن يخط هذا في الدواوين والرقاع حكماً التزمه أيده الله بروراً بخديمه المذكور، فلا سبيل لمن يتعقبه على مر الليالي والدهور، والواقف يعمل به والسلام وكتب في العشر من رمضان عام ثلاثة ومائة وألف.

ومن عظيم منزلة المترجم لدى السلطان المذكور، وكمال رفعه على ألوية البرور، أن كتب له كتاباً بخط يمينه أعرب له فيه، عما له من شرف المكانة لديه، مما هو فوق مناه حسبما وقفت على ذلك فتدبر تدبر الخبير، وأنقد نقد الذكي البصير، لما لهذا الإمام العظيم الشأن من إنزال الناس منازلهم وإعطاء كل مستحق ما استحق مما هو الأولى به والأحق.

وعلى نهجه وطريقه في اعتبار المترجم والتنويه بقدره، وإشادة منار فخره، نهج ولده وخليفته سيدنا الجد مولانا زيدان فقد وقفت على كتاب حافل له أصدره بتقرير ظهير والده والأمر بالوقوف عند حدّ أوامره المطاعة بالله بتاريخ عشرين قعدة

الحرام، عام أربعة ومائة وألف، تركت نصه اختصارا ووقفت على تحليلته في بعض العقود الحبسية بأوصاف عالية غالية.

٣٦- أبو العباس أحمد بن محمد بصري.

حاله: فاضل محلي بالأحظي الأجل، الأئوه الفقيه النبيه الأمثل، كان بقيد الحياة في العصر الإسماعيلي حسبما يظهر من ظهير إسماعيلي منوه فيه بقدر بيتهم الفخيم بتاريخ ربيع النبوي عام اثني عشر ومائة وألف، محلي فيه المترجم بالأوصاف المذكورة وسيأتي نص الظهير في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بصري خاتمة الحفاظ والقراء من حرف الميم بحول الله.

٣٧- القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السجلماسي الأصل المكناسي

الوفاة والإقبار.

حاله: فقيه علامة محقق مشاور، معظم للعلم وذويه، ذو جاه ووجاهة، وعلو مكانة، ونفوذ كلمة عند سائر الطبقات، ولي قضاء فاس وعزل عنه وكان يتعاقبه مع القاضي أبي عبد الله بردلة، وقد كان أواخر القرن الحادي عشر تولي قضاء الرباط، وسلا، ثم قضاء فاس، ثم قضاء مكناسة. وقفت على عدة رسوم بخطاباته والتسجيل عليه محلي فيها بأوصاف عالية.

ووقع في أيام قضائه أن اليهود جاءوا إليه بنسخة رسم وأدلو بها لديه، ينتهزون الفرصة فيه بخطابه عليه. ويتعززون بما وصلوا منه إليه، وحين صدروا عنه ثار في أثرهم بالطلب، فأخذوا واستخرج منهم الرسم المجتلب، وانتهى الخبر لمولانا إسماعيل فنالت عقوبته جميع من بإياله من اليهود. وأغرمهم عليه أموالا بوظيف غير معهود، ونص ما في تلك النسخة بعد البسملة والصلاة:

«هذا ما عهد به مولانا محمد رسول الله ﷺ لموسى بن حيي بن أخطب وأهل بيت صفية زوج النبي ﷺ، لهم أمن الله عز وجل وأمن رسوله لشاهدتهم

٣٧ - من مصادر ترجمته: نشر المثاني ١٩٤٣ في موسوعة أعلام المغرب.

وغائبهم وذامهم لا يحصرون ولا يغزون، ولا يطاء أرضهم جيش، ليس عليهم نزل ولا ربط ولا كسح، وعلى من أحب رسول الله أن يؤمنهم لزمة الله وذمة رسوله، ولهم ربط العمائم وأمر على اليهود، ثم لهم بعد هذا ما افترض رسول الله ﷺ أربعة دراهم في الشهر إن كان عليهم مقدرة فمن خالف كتابنا هذا الذي كتبناه لهم، وعهدنا الذي عاهدناهم، فذمتي منه برية وأنا بريء منهم، وأنا خصيمهم يوم القيامة فمن خاصمني خاصمته، ومن خاصمته كان في النار وكتب علي بن أبي طالب ورسول الله ﷺ «في جلد أحمر طوله ثلاثون إصبعا وعرضه عشرون وعدد أسطره عشرون».

ومما فيه «شهد الله على ذلك وعتيق ابن أبي قحافة وعبد الرحمن بن عوف والأقرع بن حابس، وكتب معاوية بن أبي سفيان شهادتهم في ذي قعدة سنة تسع من الهجرة والسلام على من اتبع الهدى»

وبعده مقابلات بأصولها على اختلاف الأزمنة المارة بشهادة من باشر ذلك وخطابات من أئمة أعلام باستقلالات إلى سنة اثنتين وأربعين وألف.

وقد أبطل أعيان علماء الوقت هذا الرسم منهم الإمام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي قائلا إنه مخالف لأسلوب السلف وفصاحتهم، ولنهج ذوي التوثيق من المتأخرين وصناعتهم، ومصادم للإجماع، ولما عليه العمل في سائر الأزمنة والبقاع، فإنه ﷺ أوصى بإخراج اليهود من جزيرة العرب من غير استثناء فأجلاهم الفاروق من غير تخصيص، وضربت الجزية عليهم زمن الخلفاء الراشدين كذلك، ولا يجوز اتفاقهم على تضييع حق ولا تهاونهم بتنفيذ عهد عهده رسول الله ﷺ، خصوصا وقد أشهد عليهم الخليفين أبا بكر وعليهما ومن معهما ولا اتفاق أئمة الأعصار، وعلماء الأمصار، بعدهم على عهد ذلك وعدم نقله حتى ينقله إلينا بعد ما نيف على ألف ومائة سنة اليهود، إخوان القروء، وأيضا أحكام أهل الزمة معروفة ملحوظة، والشروط التي عليهم محفوظة منها أن لا يتشبهوا بلباس المسلمين في العمائم ونحوها، وأن يشدوا الزنانير كما ذلك مبسوط في شروط الفاروق رضى الله عنه على نصارى الشام حين صالحهم.

روى ذلك ابن حبان وغيره، وعليها اعتمد سائر أئمة المذاهب الإسلامية في أحكام أهل الذمة وأجمعوا على ذلك، نقله ابن حزم الذي إجماعاته أصح الإجماعات، وكذا نقل الماوردي الإجماع على أن يهود خيبر كغيرهم في الجزية وأيضا تاريخ ذلك الرسم بتسع من الهجرة مخالف للمعروف من أن التاريخ بها إنما حدث في خلافة الفاروق وسائر كتبه عليه السلام المنقولة في السير فإنها خالية عن التاريخ إلى غير هذا من دلائل الكذب التي احتفت بالرسم المذكور ويطول تتبعها ملخصا. اهـ. وقد عضد هذا الجواب وصححه سيدي محمد القسطنطيني وغيره من أهل تلك الطبقة، انظر فهرسة أبي القاسم العميري ونوازل الشريف العلمي.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الحافي السلوي.

وفاته: مات بمكناسة الزيتون عام اثنين وعشرين ومائة وألف ودفن بضريح السيدة عائشة العدوية المتبرك بها حية وميتة

٣٨ - أبو العباس أحمد بن محمد العربي بن محمد الكومي عرف بالغماري.

أورد ذكره أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في مؤلفه الموسوم بالإعلام بمن مضى وغبر في القرن الحادي عشر من الأعلام.

حاله: حلاه أبو محمد عبد الله في كتابه المذكور بالفقيه الأصولي وقال: كان فقيها مدرسا ولي قضاء مكناسة فحمدت سيرته.

مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله الهواري، وأبي عبد الله بن عبد الحليم وغيرهما

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي حسبما أفصح بذلك صاحب الإعلام المنقول عنه قائلا: قال خال الوالد الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي الفاسي: قرأت على صاحب الترجمة الرسالة ومختصر خليل، فكان ينقل

٣٨ - من مصادر ترجمته: الإعلام بمن غبر ١٤٥٥/٤ في موسوعة أعلان المغرب.

على الرسالة شرح ابن عمر، وابن ناجي، وعلى المختصر شرح بهرام الأوسط،
وشفاء العليل لابن غازي كل ذلك باللفظ هـ.

وفاته: توفي سنة ثلاث وستين وألف كما قاله في الإعلام

٣٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الوالائي - بفتح
الواو وتشديد اللام دفين مكناس .

حاله ونسبه: فقيه نبيه، علامة وجيه نزيه، قدوة مشارك، دراية فهامة
ناسك، أحد الأعلام علما وعملا ومتانة دين، واتباعا لسنة سيد المرسلين، كان
يدرس بقصبة الحضرة السلطانية الإسماعيلية من مكناسة الزيتون، وكان يجيد
التعير عن كل ما يريد متبحرا في العلوم عقليها ونقلها محققا لها .

نسب نفسه في كتابه «مباحث الأنوار» فقال «قبيلة بني ولّال هم قومنا الذين
نشأ أجدادنا منهم، وأسلهم من بني عطّاء، قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال
ملوية، وفيهم إخوة قبيلتنا يسمون لديهم ببني ولّال أيضا، وبنو عطّاء مشددا بوزن
فعّال - أصلهم من العرب كما تقرر ذلك في كتاب أنساب القبائل الموجودة بأيدي
الفقراء أهل الصومعة، بل أخبرني بعضهم أن بني عطّاء أصلهم من أخص العرب
وهم قریش، وكل ذلك لا بعد فيه لتبدل أحوال القبائل العربية وتنقلها من أرض
إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتتبدل الألسن بتبدل البلد» انتهى بنصه^(١).

مشيخته: تفقه بالزاوية البكرية واتصل بالولي العارف سيدي محمد بن عبد
الله السوسي وانتفع به، وصحب العارفين سيدي أحمد اليماني وسيدي أحمد بن
عبد الله معن وتردد إليهما، وأخذ عن الإمام اليوسي الحسن بن مسعود المنطق
ومنظومة الأخضر في البيان

٣٩ - من مصادر ترجمة: نشر الثاني ١٩٥٦/٥ في موسوعة أعلام المغرب .

(١) نشر الثاني - ص ١٩٥٦ .

الآخذون عنه: منهم أبو القاسم بن سعيد العميري، والعلامة الطيب السيد عبد القادر بن العربي بن شقرون المكناسي، وناهيك بهما أخذ الأول عنه منظومته في علم الكلام وغيرها.

مؤلفاته: منها شرحه العجيب على مختصر المنطق للشيخ السنوسي، ومنها شرحه المعروف على منظومة الأخضري المعروفة بالسلم، وشرحه على جمل الخونجي، وشرح رسالة السيد الجرجاني، وشرح تلخيص المفتاح صدره بشرح خطبة مختصر السعد، وشرح علي لامية الأفعال، وحاشية على المحلي، وشرح على روضة الأزهار للجادري في التوقيت، ومباحث الأنوار في سلسلة الأخيار.

وفاته: توفي ثاني رجب عام ثمانية وعشرين ومائة وألف ودفن بمكناسة الزيتون رحمه الله وفسح له في عدنه.

٤٠ - أبو العباس أحمد بن أبي يعزى الأودي قاضيهـا.

حاله: فقيه جليل كان متوليا خطة القضاء بهذه الحضرة المولوية الإمامية بتاريخ ثامن شعبان عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، وقفت على ظهير شريف، مولوي منيف، يتضمن الأمر لناظر الوقت الحاج الطيب المسطاسي بتنفيذ إعانة له على القضاء من أحباس المسجد الأعظم قدرها ثلاثون أوقية بالتاريخ المذكور.

٤١ - أبو العباس أحمد الصيقال المكناسي

حاله: قال في حقه عصريه أبو العباس أحمد المنجور لدى تعرضه لذكره في ترجمة شيخه ابن هارون من فهرسته: الشيخ المسند أحد عدول مكناسة.

٤٢ - أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشدادى الشريف الحسنى الإدريسي العمراني.

حاله: كان مفتي الأنام، وأعدل قضاة الزمان، ووحيد عصره وأوانه

وأفضلهم وأزكاهم، وأجلهم وأسماهم، علامة متبحراً في الفقه والنحو والحديث والتفسير صدر المحافل، في جمع الفضائل، مرجوعاً له في النوازل، محتجاً بما يقوله إذا خفيت الدلائل، له نظر في الفقه لا يجارى، ولإدراكه في حقائق مشكلاته الشأو الذي لا يدرك فلا يبارى، مجالسه العلمية نزهة الأفكار، لا يقع من أهل النجاة إلا عليها الاختيار، تصدى للتدريس بفاس وغيرها من حواضر المغرب وبواديه، وأسدى من وافر تحقيقه على الطالبين ففازوا بسابغ أياديه، تولى أولاً الفتوى بمكناسة وأقام فيها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء الجماعة بفاس الإدريسية وفاس المرينية مع الإمامة والخطابة بالقرويين، ثم آخر عن قضاء فاس خاصة، ثم عن قضاء فاس الجديد لغير رتبة، ثم بعد مدة ولي القضاء والإمامة والخطابة بزواوية زرهون إلى أن توفي.

مشيخته: أخذ عن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي علي اليوسي، وأبي عبد الله المسناوي، وأبي العباس ابن الحاج، وأبي عبد الله محمد العربي بردلة، وأبي عبد الله القسطيني وغيرهم.

الآخذون عنه: جماعة منهم القاضي أبو القاسم العميري لازمه مدة إقامته بمكناسة الزيتون، ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة المري قرأ عليه المختصر من البيوع إلى الوديعة والعارية، وسمع عليه بعض التفسير من أوله إلى سورة النساء، وغيرهما من فحول أئمة العلم.

مؤلفاته: له فتاوى لم تجمع ولو جمعت لأفادت ولالة الأحكام، وغازت متعصبة الأحكام، وشرح على لامية الزقاق، وتقييد على ابن عاصم، وتقييد على العمل الفاسي - قال في نشر المثاني: فمن تلك الأبحاث استفاد أهل عصرنا وشرحوا الأنظام التي ذكرنا فهو بسبق حائز تفضيلاً.

قلت: المعروف له والموجود بأيدي الناس هو حاشية شرح ميارة على الزقاق ولا يعرف له شرح مستقل لها أعني الزقاقية.

وفاته: توفي على ما في «فهرسة القاضي العميري» و«الروضة المقصودة في الزاوية الزرهونية الإدريسية». قال في الروضة خامس عشر جمادى الثانية سنة ست وأربعين ومائة وألف. والذي في نشر المثاني أنه توفي بفاس ودفن خارج باب المحروق بين المدينتين، وبني أهله عليه قبة وبلغنا أن له عقبا بطنجة. انتهى.

قال شيخنا الكتاني في «سلوة الأنفاس» ويشكل عليه ما تقدم من أنه توفي بالزاوية الزرهونية إلا أن يقال بنقله بعد الموت منها إلى هذه الحضرة ودفنه بها، ويكون قوله في النشر: توفي بفاس غلطا نشأ له من عدم التحقيق لوفاته، بدليل أنه لم يعينها بسنة والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

قلت. ولا يعرف له قبر بالزاوية المذكورة وذلك مما يؤكد كونه مدفونا بفاس.

٤٣- الفقيه سيدي أحمد بن عزو.

٤٤- الفقيه سيدي أحمد الحزميري.

٤٥- الفقيه سيدي أحمد بن سعيد السوسي.

٤٦- الفقيه السيد أحمد بن مومو.

٤٧- الفقيه السيد أحمد بن مسطار.

كل هؤلاء الشيوخ الأعلام الخمسة كانوا بقاء الحياة في حدود الخمسين ومائة وألف بحاضرتنا المكناسية حسبما وقفت على ذلك في زمام مرتب العلماء الشهري وأسمائهم مسطرة فيه بالتاريخ المذكور، ولم أقف لواحد منهم على ترجمة بعد البحث الشديد.

٤٨- السيد أحمد بن عبد الرحمن زغبوش الفقيه النبيه العدل الرضي الثقة.

٤٩- أبو العباس أحمد بن العباس النسب السيد الأتقى، الزكي الأنقى.

٥٠- أبو العباس أحمد بن عبد القادر النسب الفقيه المعظم. المرتضى المحترم. التقي الأصعد، الزكي الأسعد.

٥١- أبو العباس أحمد بن الولي الصالح سيدي مغيث زغبوش القرشي الفقيه المرتضى الزكي الأحظى.

أما أحمد بن عبد الرحمن زغبوش أول الأربعة فهو من أهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر.

وأما الثلاثة بعده ففيما بين ذلك وبين الألف فيما يظهر من ذكرهم في عمود نسب بصادق مؤرخ بأواخر رجب عام تسعة وثمانين ومائة وألف وتحليتهم فيه بما ذكر.

٥٢- أبو العباس أحمد بن سعيد العميري.

حاله: من أعيان علماء الدولة الإسماعيلية، وحاملي لواء التدريس وبث العلم في صدور الرجال بها، وهو أحد الأعلام الذين شهدوا في عقد توثيق عرى الإخاء الصادر بين الأخوين الأكملين مولانا أحمد المدعو الذهبي وسيدنا الجد مولانا زيدان ابني الأمير الذي طار صيته في بقاع المعمور سيدنا الجد الأكبر، مولانا إسماعيل بندب والدهما لهما لذلك، وهذا العقد بعينه تحت يدي تاريخه منتصف رمضان عام سبعة وثلاثين ومائة وألف شهد فيه على إسهاد سيدنا الجد الأكبر بذلك وهو على كرسي مملكته بمكناس جمع وافر من العدول والفقهاء والقضاة منهم المترجم.

مشيخته: منهم والده، وأبو علي بن رحال، ومن في طبقتهما من المعاصرين لهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصري المكناسي المتوفي يوم السبت خامس شعبان عام ستة وثمانين ومائة وألف كما ثبت ولده «إتحاف أهل الهداية».

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بيد أنه كان ب قيد الحياة سنة سبع وثلاثين ومائة وألف.

٥٣- أحمد بن عبد الرحمن المجاصي الشهير بالمكناسي الشيخ الأستاذ المقرئ الصالح.

حاله: كان أستاذاً صالحاً مقرئاً فقهياً أديباً نحوياً.

الآخذون عنه: أخذ عنه ابن عباد القرآن العظيم بحرف نافع، وتفقه عليه في كثير من الجمل لأبي القاسم الزجاج وفي كتاب التسهيل لابن مالك وغير ذلك ذكره مسند فاس أبو زكريا يحيى بن أحمد السراج في ترجمة ابن عباد من «فهرسته» ولم يذكر له وفاتا.

٥٤- أبو العباس أحمد بن عبد الملك^(١) البوعصامي.

حاله: مجذوب غائب غيبة اتصال من صغره ساكت لا يتكلم مع أحد إلا ما قل، وكان بعد موت أبيه تارة يكون بمكناسة التي هي مقر والده وتارة يذهب لفاس ثم في آخر عمره بنحو العامين استقر بفاس بحومة السياج منها حتى توفي هنالك.

وفاته: توفي ليلة الخميس حادي وعشري ربيع الأول عام تسعة ومائتين وألف.

٥٤ - من مصادر ترجمة: إتحاف المطالع - ص ٢٤٥٣ من موسوعة أعلام المغرب.

(١) تحذف في المطبوع إلى: «عبد المالك» وصوابه من إتحاف المطالع.

٥٥- الشريف أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن علي بن طاهر بن مولانا الحسن الحسني العلوي.

حاله: له معرفة بالعلوم وبالأخص الفقه والنحو نشأ بالصحراء ببلد أسلافه الكرام، ورحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة جده عليه من ربه أزكى الصلاة والسلام، ثم ارتحل لمكناسة الزيتون واستوطنها وصاهره السلطان بنت السلطان مولانا سليمان تعرض لذكره صاحب «الشجرة الزكية» وقال إنه حي بمكناسة في عصر تأليفه المذكور وهو من علماء الدولة العبد الرحمانية.

٥٦- أبو العباس أحمد بن أحمد الحَكَمي الأصل الرباطي النشأة والدار المكناسي الوظيفة.

حاله: حامل لواء التحقيق في زمانه، جبهة المعقول والمنقول، المرجوع إليه في الأدب والفروع والأصول، حلو النسيب بديع الترسيل إذا نظم سحر الألباب، وإذا نشر استولى على الأرواح بخالص اللباب، بديع الإنشاء سيال القريحة بارع في الإملاء، مع شجاعة وإقدام. وتقدم في الرماية والسباحة والمسابقة، يشهد له بذلك الخاص والعام، كثير العبادة والتلاوة والتهجد بالأسحار، معمر أوقاته بالدروس العلمية مع كثرة الأذكار، والصلاة على النبي المختار، واثق بربه محسن ظنه فيه لا يهتم لنائبة ولا يضجر لها، يتلقى ما تبرزه الأقدار بقلب سليم.

رحل لفاس، وأخذ عن جلة أئمتها الأكياس، ثم رجع لبلده فأكب على التدريس، وأفادته الناس بإبراز كل نفيس، ثم أسند له قضاء العدوتين: سلا، والرباط، وذلك عام أربعة عشر ومائتين وألف ومكث في ولايته هذه نحو الخمس سنين، ثم أعفي عشية يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام تسعة

٥٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع - ص ٢٤٨٥ في موسوعة أعلام المغرب.

عشر ومائتين وألف وولي مكانه العلامة سيدي الطيب بسير - آتي الترجمة في حرف الطاء - بحول الله ثم خوطب بالقضاء مرة ثانية فامتنع من القبول فألزمه الكبراء أن يقبل فامتنع واعتذر عن ذلك بأنه كان يفاوض في القضاء الأول الفقيهين: الغربي والمير، وقد ماتا معا رحمهما الله كذا في «تعطير البساط».

ووقفت في بعض مقيدات مؤرخ سلا السيد محمد بن علي الدكالي الأصل السلاوي النشأة والدار نقلا عن أحد نبغاء تلاميذه السيد محمد بن التهامي بن عمرو الرباطي، أن المترجم ولي قضاء مكناس ولفظه لدى تعرضه لترجمة القاضي بسير: وقال معاصره الأديب ابن عمرو الرباطي إنه أخذ عن قاضي العدوتين ومكناسة الفقيه المشارك السيد أحمد الحكمي الرباطي رحمه الله وانتفع به نفعا بيناه. انتهى. من خطه وانظر إن صح ذلك هل كان قبل ولايته بالعدوتين أو بعدها أجرى ذكره العلامة أبو إسحاق التادلي في تاليفه «أغاني السقا في علم الموسيقى» وأفاد أنه كانت له مشاركة حتى في علم الأغاني والألحان ونوبات الموسيقى وذكر له فوائد علمية، في خلال. مؤلفاته الأدبية وذكره الزباني في فهرسة أبي الربيع السلطان مولانا سليمان وغيرها.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بناني مُحَشِّي الزرقاني وأجازه عامة، وعن الشيخ محمد الشيطمي ومن في طبقتهم.

الآخذون عنه: منهم نجله السيد صالح والسيد الطيب بسير، والسيد محمد ابن عمرو، والسيد محمد بن عبد الرحمن الشرشالي، والقاضي ابن جلون وغيرهم من عيون أعيان العلماء.

شعره: من ذلك قوله يمدح العلامة أبا حفص سيدي عمر بن محمد المكي بن الشيخ المعطي الشرقي:

للبن ما بين أفلاذ الحشا أثر وللمشوق إلى نحو الحمي نظر

وآية الصدق في دعوى المحبة أن يرى المشوق وفي عبراته عبر
ومن يكن يرتجي يوما يسر به فوصلكم منتهي الآمال يا عمر
ومن ذلك ما رآه صديقنا ابن علي السلاوي منسوبا إلى المترجم يمدح النبي
ﷺ به :

دعني فتاة الحي بادية نحرا هلم إلى نحو السعادة في الأخرى
فلبيتها والدمع يهمني وأضلعي يفتتها بعد المزار بمن أخرى
فقلت وقد ماطت عن الوجه برقعا على حسنا إن شئت^(١) ...
ألا تقدم يا أخا العشق إنني أنا كعبة العشاق مرضية الذكرى
فإن شئت أن تهوى جمالي فلا تعد بعيدي إلى ليلي ولا تذكر الزهرا
وكن خاليا عما سواي وعندما توفي بشرط الحسن أمنحك البشرى
ومنها في التخلص لمدح رسول الله ﷺ .

فقلت وقد حان الرضا وتبسمت عليك بمن أسرى إلى مانح الاسرى
ومن ذلك قوله في المنام حسبما رأيت ذلك بخط بلديه تلميذه العلامة السيد
محمد بن التهامي ابن عمرو في كناشة له منها نقلت :

شم بارقا سحرا بالجو قد لاحا واشرب عليه من الأفراح أقداحا
وقد أمر تلميذه المذكور بالزيادة عليه فخمسه بقوله :

نفديك أهلا وأموالا وأرواحا يا من بسر علوم الشرع قد باحا
بشراك قدرن طير السعد إفصاحا

(١) كذا في المطبوع .

«شم بارقا سحرًا بالجو قد لاحا واشرب عليه من الأفراح أقداحا»

وعش برياً من الأكدار في سعة لدى رياض عن الأسوا ممنعة

تري الأعادي بأشلاء ممزعة

«واهنأ بأمن مع الإقبال في دعة وارقب لما أثلت الأيام إصلاحا»

وقوله مخاطباً العلامة الأديب سيدي سليمان بن محمد الخوات وطالبا منه قراءة الخزرجية معه كما وجد ذلك بخط المطلوب منه ومن خطه نقلت:

كم ذا نعاني وفرط الشوق أفنانا وطالما بت أرعى النجم يقظانا

أكفكف الدمع حيناً ثم أرسله جمراً على الخد يصلي القلب أحياناً

ذا لوعة برماح الحب طاعنة أسي ولم أر مثل الحب مطعانا

وفكرة بسهام الحب راشقة وحيرة وزفير ليس ينسانا

ولي إذا ما أناجي الربع عن شحط أنين صب يوارى الحب كتماناً

تلك الديار وما شوقي لساحتها إلا لألقي مني قلبي سليماناً

بدر المعالي رياض الأئس لا برحت أخلاقه تشتهي حسناً وإحساناً

بحر طما فصفا للفكر مشربه وعاد بالعلم فياضاً وملاًنا

يزري بنظم اللاّلي نظمته وكذا نثاره لم يزل بالحسن فتاناً

ليهن مولاي ما أولاه خالقه من الفتوحات ما لم يعط إنساناً

طابت بمدحك يا ابن المجد أنفسنا وإن نواف قبولا منك أغناناً

ومتتهى السؤل أن تسمح لناظمها بيت علم غدا للشعر ميزاناً

أزكى السلام على عليك ما سجعت ورق تردد فوق الغصن ألحاناً

وما ترنم حادي العيس ينشدها كم ذا نعاني وفرط الشوق أفناناً

وفاته: توفي بعد طلوع الفجر من يوم الثلاثاء تاسع عشر رمضان عام ستة وعشرين ومائتين وألف ورثاه ولده القاضي صالح بقصيدة مطولة لكنها دون الأولى، كما رثاه تلميذه ابن عمرو، ومطلع الأولى:

عز المصاب وسله وانهض إلى ما أحتاج للتأنيس والإكرام
ومطلع الثانية لابن عمرو:

كفى الرزء خطبا أن يحل عرى الصبر ويرخص من دمع الوري غالي التبر
٥٧ - أبو العباس أحمد العمراني الفقيه الشريف.

حاله: فقيه جليل وجيه تولى الخطابة بالمسجد الجامع الإدريسي بعد وفاة خطيبه سيدي الفاطمي بن عبد القادر، وتولى نيابة القضاء بالزاوية الإدريسية.
٥٨ - أبو العباس أحمد المكناسي.

الشيخ الصالح الشهير شيخ الغماري الذي أخذ عنه والد صاحب «أنس الفقير وعز الحقير» رواية نافع في القراءة وحديثه برجز ابن بري عن مؤلفه ووالد صاحب الأنس المذكور هو القاضي أبو العباس أحمد بن الخطيب القسطيني.
٥٩ - مولاي أحمد بن عبد المالك العلوي.

قاضي الجماعة بالحضرتين فاس ومكناس.
حاله: له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة والتاريخ والأدب والتوثيق والمعرفة الكاملة بصناعة الأحكام، حلاه ابن عبد السلام الناصري: سيدنا الشريف الأجل، العلامة الأفضل، نور النبراس، سيدنا ومولانا أبي العباس، وقال في حقه تلميذه العلامة الثبت صاحب الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير

٥٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/٢٥٢٣ في موسوعة أعلام المغرب.

الأشراف، ما لفظه: قاضي الجماعة بالحضرتين الإدريسية والمولوية شيخنا أبو العباس مولانا أحمد بن عبد المالك، له مشاركة في الفقه والتصريف واللغة مع المعرفة التامة بصناعة القضاء والوثائق واستحضار نصوص المختصر وقضايا التاريخ والأدب. انتهى.

وكان متوليا خطة العدالة بهذه الحضرة المكناسية، ثم ولاه السلطان أبو الربيع مولانا سليمان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف ورشحه لخطة جامع قصبته المولوية أوائل محرم فاتح سبعة - بموحدة - وثلاثين ومائتين وألف، حسبما وقفت على تاريخ التوليتين بخط يده ومنه نقلت، وقد كان قبل ذلك من عدول مكناسة المبرزين، متصدرا للشهادة وقفت على عدة رسوم بخطه وشهادته وكثير من خطاباته والتسجيل عليه.

وكانت توليته لقضاء فاس البالي وتأخيره عن قضاء مكناس فاتح شعبان عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف حسبما ذلك بظهير السلطان أبي الربيع مولانا سليمان الصادر لولده خليفته مولاي الحسن، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة.

«ولدنا مولاي الحسن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فنأمر أن توجه لحضرتنا العالية بالله قاضي مكناسة ولد عمنا مولاي أحمد بن عبد المالك بمجرد وصول كتابنا هذا إليك فوراً ليلاً أو نهاراً مع جروان أو مجاط، ومن أتى معه من البربر فقد سامحناه وأمناه وأهل مكناسة يجتمعون ويتفقون على رجل يرضونه لأنفسهم منهم أو من غيرهم، ويولونه عليهم، وأما مولاي أحمد فقد وليناه أمر القضاء بفاس البالي، وفي ثالث شعبان عام سبع وثلاثين ومائتين وألف».

ولم يزل على خطته بفاس إلى أن بويع المولى عبد الرحمن بن هشام ثم رجع لمكناس ناجياً بنفسه من أذى غوغاء أهل فاس كذا في بعض التقايد الموثوق بصحتها.

مشيخته: أخذ عن عمه المولى عبد القادر بن محمد بن عبد المالك «شارح الهمزية» و«العاصمية» وأجاز له ابن عبد السلام الناصري في الطريقة الناصرية في رابع رمضان عام تسعة ومائتين وألف، وأخذ عن سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وعن غيرهم من شيوخ فاس.

الآخذون عنه: منهم المؤرخ النسابة القاضي أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون بن الحاج السلمي الفاسي صاحب «حواشي المرشد المعين» وغيرها من التأليف المتوفى بعد عصر يوم الجمعة سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف بفاس، وشيخ الجماعة بمكناس الحاج مبارك بن عبد الله الفيضي.

مؤلفاته: له «تأليف في تحريم السكر» ويقال: إنه كان لا يقبل شهادة من يشربه لأن ما جهل حكمه يجب التوقف عنه حتى يعلم حكم الله فيه وقد حكي الغزالي في «الإحياء» والشافعي في «رسالته» الإجماع على أن المكلف لا يجوز له أن يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله تعالى فيه هذا ملحظ المترجم، وإن كان التعويل على خلافه، وله أيضا «مجموعة خطب» و«تقييد على الخطبة» التي أملاها السلطان العادل مولانا سليمان لما كان بهذه الحضرة المكناسية عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف لما طلب منه أولاد الشيخ الكامل محمد بن عيسى دفين خارج باب السبية من مكناس إقامة الموسم على المؤلف عندهم حسبما وقفت على هذا التعليق مع مجموعة الخطب بخط يده في مبيضته وسنورد الإملاء المقيد عليه بحول الله في محله.

نثره: من ذلك قوله في بعض خطبه التي أنشأها «الحمد لله الجزيل الفضل، العظيم البذل، الحكم العدل، الذي لا يسأل عما يفعل، ومن سواه عن أفعاله يسأل، نحمده تعالى على ما أولانا من النعم، ونشكره جل وعز على ما زوى عنا من النقم، ونستعينه ونستغفره من جميع الذنوب، التي أورثتنا الأحزان والكروب،

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده بالهدي ودين الحق أرسله، صلى الله عليه وعلى جميع الصحابة والآل، ومن لهم بإحسان تال، صلاة تقينا جميع البلايا، وتكفر عنا جميع الخطايا، من يطع الله ورسوله فقد سعدو فاز، ومن يعص الله ورسوله فما له في عرصات القيامة من مفاز... إلخ».

ومن خطبة أخرى قال: «الحمد لله المجيب من دعاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن احتوى به حماه، ومن التجأ إليه آواه، نحمده حمدا من غير عدو لا تناه، ونشكره على ما أنعم به وأولاه، ونستعينه ونستغفره من كل ما جنيناه، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ومصطفاه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه ذوي الثناء والجاه، وعلى كل منيب أواه، صلاة تملأ أرجاء العرش وما حواه، وتحول بها بيننا وبين الشر ومن نواه، من يطع الله ورسوله فيأسعده، ومن يعص الله ورسوله فيا ويلاه، نسأله تعالى أن يجعلنا ممن لطاعته اجتباه... إلخ».

ومن صدر خطبة أخرى «الحمد لله الملك المعبود، المقر بوحدانيته أهل الإيمان والجحود، نحمده تعالى ونثني عليه بما أثنى عليه أحب خلقه إليه، اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ونشكره شكرا نستوجب من فضله المزيد، ونستعينه ونستغفره من كل ذنب به الكاتب علينا شهيد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الحميد المجيد. صلى الله عليه وعلى من تبعه فيما أُوحي إليه صلاة نستوجب بها من الله تعالى رضاه، ويلطف بنا بها فيما قدره وقضاه، من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما، ومن يعص الله ورسوله فقد ساق إلى نفسه عذابا أليما... إلخ».

وفاته: مات بمكناس لعشر ليال خلت من رجب سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين ودفن بروضة سيدي عبد الله القصري الولي الشهير.

تم أرادت زوجته أن تدفن بنتها معه فوقع بينها وبين أرباب الروضة شيء فأخذته ودفنته في دارها ودفنت البنت في محله، ثم بلغ الخبر لأمير الوقت جدنا من قبل الأم المولى عبد الرحمن بن هشام فقال: القبر حبس على صاحبه وأمر برده لمحله المذكور وإخراج البنت منه، أخبر من حضر من أهل الروضة أن البنت لما أُخرجت من القبر كان الناس يسدون أنوفهم من شدة النتن، وأما هو فلم يوجد له شيء من ذلك لا أولاً ولا ثانياً، وجسده لم يتغير ووضع يده على الكفن فوجده كالعنكبوت. وقبره في الروضة المذكورة معروف أخبرني بذلك شيخنا العرائشي.

٦٠ - أبو العباس أحمد بن الرضي بن عثمان المكناسي.

حاله: نابغة زمانه، علامة مشارك محدث نقاد فصيح بليغ، ذو ملكة واقتدار، ناظم ناثر، محاضر مجبر نحير، وجيه نزيه، استكتبه السلطان الأعظم سيدي محمد ابن عبد الله في بساط ملكه وقدره وأُسبل عليه أردية الإجلال والإكبار.

ذكره أبو القاسم الزياني في خاتمة «يستانه» من جملة كتاب الحضرة السلطانية المحمدية ووصفه بالمشاركة، وحلاه النسابة الثبت المطلع سيدي سليمان الحوات: بالأديب البليغ الهمام فيما وقفت عليه بخط يده وذكر له أشعاراً رائعة فائقة تدل على مهارة الرجل ومكانته في العلم والأدب والتفنن في أفانين البلاغة وحسن الصياغة.

وهو من جملة العلماء المحدثين الذين نقلهم السلطان المذكور لمراكش وفرقهم على مساجدها بقصد تدريس العلم بها، وبثه في صدور رجالها، والذين يحضرون مجالس دروسه الحديثية وغيرها كما في «الترجمة الكبرى» وناهيك بمن رشحه ذلك السلطان الطائر الصيت في المشارق والمغارب المتضلع في سائر الفنون المقتدر الريان.

مشيخته: أخذ عن أبي حفص الفاسي المتوفي منسلخ رجب عام ثمان
وثمانين ومائة وألف المدفون بزوايته بالمخفية من مدينة فاس، والشيخ أبي عبد الله
محمد التاودي ابن سودة، وأبي عبد الله محمد بن الحسن بناني المتوفي سنة أربع
وتسعين ومائة وألف وغيرهم، ممن هو في طبقتهم من أعلام عصره.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا شيخه أبا عبد الله محمد بن الحسن بناني:

أبدرا لاح بين الشهب بدرا	فنارت منه نيرة الشمس
وروضا فاح مندله سحيرا	فأحيا نشره ميت النفوس
وبحرا خاض بحر العلم حتى	انثني بالجوهر الصدفى النفس
بمالك من طريق الفخر شنف	مسامعنا بمختصر السنوسي
وألبس عاري الطلاب مما	به حشيتته أسنى لبوس
وبرد غلة الصادي بأحلى	مذاقا من معتقة الكئوس
ولا تردد يد الأبيات صفرا	وجد بمني ولو يوم الخميس
بقيت لفك مشكل كل فن	ففتحك في المجالس والطروس
ولا تنفك بين الناس تاجا	أبا عبد الإله على الرؤوس

وقوله:

وأشنب أبدى الحسن فيه بدائعا	أزاهرها تجلى على غصن القد
ترى العود إن جستته منه أنامل	كغيداء قد تاهت فرنت من الوجد
على أنه مهما ترنم منشدا	أراك حلول الروح في الحجر الصلد
فديتك بدرا في سما الحسن كاملا	به بين أرباب النهى وريت زندي

وقوله مخاطبا بعض بطارقة الملك وخاصته، وواسطة عقد جهابذ الوزراء من دولته، على لسان بعض من لا يصل لمحتاجه من الأمير، إلا بواسطة هذا الوزير، وقد بلغ به الاحتياج الغاية، والإملاق فوق النهاية:

عماد الملك ما أعلى منارك	وما أجرى من الجدوى بحارك
بك القلم استطال علي رماح	فلا لسن يشق له غبارك
وصرت من المكارم في مقام	تخذت به ذرى الجوزا وجارك
فكم طوقت من در الأمانى	مخائق عاطل أضحى جوارك
وإني مزقت ثوبي الليالى	وأودت في نوائبها تدارك
فلا زالت تخاطبك المعالى	هلم معظما يا بن المبارك

وقوله يرثي شيخه أبا حفص الفاسي:

الدمع يروي عن فؤاد الأكمد	بمسلسل وبمرسل وبمسند
فاجعل حديث الدمع عندك حجة	واطرح مقالة جاهل لم يرشد
وابك العلوم أصولها وفروعها	وابك الدروس ولا تكن كالجلمد
وابك السماحة والصباحة والفصاحة	والبراعة واليراعة تهتدي
وابك المجادة والجلالة والمكانة	والمهابة والنزاهة تسعد
وابك المآثر والمفاخر والعلا	وابك المواهب والمناقب تحمد
أو ما فقدت الدين والدنيا معا	لما فقدت حياة أفضل سيد
عظم المصاب بفقد من ساد الألى	قد أحرزوا رتب العلا والسود
بحر المعارف والعوارف والهدى	كهف المرید السالك المسترشد

نور العلوم وتاجها وبهاؤها
العالم العلامة الفهامة
عمر أخو التحقيق والتدقيق
من معشر فوق السماك منارهم
ورث التقى والعلم ليس كلاله
لله يوم فيه غابت شمسه
المسلمون جميعهم بنفوسهم
ما شاء الرحمن كان وإن ما
يأليت شعري من أرجي بعده
أم من يزيج جهالتي وضالتي
أم من يفرج كربتي أم من يؤ
أم من يزيل تولهي وتلهفي
بخل الزمان بمثله هيهات لا
أسفا لأيام مضت في سلوة
ولألفة ومودة ومواصلات
ومجالس قد أشرقت أنوارها
يا جملة الإخوان صبرا إنه
والله يسقيه سحائب رحمة
وينيلنا ذاك المقر تفضلا

وضياؤها قطب الشيوخ الرشد
النسابة الأسمى الولي المهتدي
والتحرير سبط العارفين الزهد
شم الأنوف من الطراز الجيد
بل سيداً عن سيد عن سيد
يوم يشيب الطفل قبل الموعد
وبمالهم يفدونه أن لو فدي
لم يقضه في خلقه لم يوجد
أم من به أجلو ظما قلبي الصدي
وكآبتي عند اشتباه المقصد
نس وحشتي في غربتي وتفردني
وتفجعي وتوجعي وتنهدي
يسخو به طول المدى والمسند
ومسرة أوصافها لم تنفذ
عذبة في كل وقت مسعد
وتلألأت فيها وفي كم مشهد
من لم يذق ما ذاقه فكأن قد
ويتيححه الفردوس دار الخلد
معه وينعم بالنعيم السرمدي

فالمرء مع محبوبه هذا الذي
صلى عليه الله خير صلاته
وقوله:

شعر نظامك أم رياض الآس
فكأنما ألفاظه نشر الصبا
لولاك ما حط القريض لثامه
لازلت موفور المجادة والسنا

يروى حديثا للنبي محمد
والحمد للباقي العلي الأوحـد

متهذب الأخلاق والأنفاس
أم كالمدامة طرسه كالـكاس
عن ثغره متبسما للناس
طودا على متن المكارم راس

وقوله مادحا مخدومه السلطان العظيم المقدار سيدي محمد بن عبد الله برد
الله ضريحه:

غرام لا يحيط به بيان
وقلب لا يزايله اضطراب
لحي الله المتيم لا يبالي
أطارحه الهوى آثار قوم
تقروا مسلكا صعبا تساوى
ولكن لو لناظرهم تبدى
ملك في بساط الحسن شدت
بطاعته قـضوا لما رأوها
وقلبهم رأينا الشمس تعنو
تقبل أخمصيه لدى شروق

وشوق ليس يشرحه لسان
عظيم كيف يمسه العنان
بما يلقي وإن عظم الهوان
عليها الحصر يقصر والبيان
به البطل المسود والجبان
سنا الملك المؤيد ما استكانوا
مناطقها لخدمته الحسان
سيلا فيه رشدهم استبانوا
له وبذا لعمرك ما تهان
وإن غربت كما شهد العيان

بديع الحسن من لحظيك هل لي
أعارت أعينا حورا وثارت
فكم مثلي صريع هوى لديها
أُخِدتُ ما أرى أم غض ورد
كأن سناه بالآجال يقضي
تعالى الله حتى البرق يهدي
يؤمل أن يخادعه عسى أن
ولو أبدى قوامك بعض لين
بلى في كل عضو منك معنى
وما ظني (وبعض الظن إثم)
متى يأمن أنال البدر حسنا
رعاك الله من زمن تقضى
بربع كنت آلفه رياضا
فلا صحبت رياح اليمن ركبا
أما علموا بأن الدهر حق
مطايا الشوق أتبعهم كأي
لمن أشكو ضني يعتاد جسمي
معاذ الله أن أسلو بشيء
فكم أودعته صدرا فسيحا

إذا سددت أسهمها أمان
بصارمها يحدده سنان
طريحا لا يطاوعه بنان
وثغرك ما تنظم أم جمان
لبارق مبسميك به اقتران
لمكر لا تُماكره القيان
بضوء من ثنياه يعان
لسارع بالسجود إليه بان
تنزه أن يكفّيه لسان
على الدنيا تجود بك الجنان
بقرب منك يسعدني الزمان
وغصن الوصل توجه افتنان
وبعدك ما به قمري يزان
بنور سناك عن عيني ران
عليه كما يدين فتى يدان
أسايرهم بذاتي حيث كانوا
ولا أشكو إذا ناب امتحان
سواك ولا تنسيه دنان
عسى أن لا يبين له عيان

قسمت العمر أجزاء لعلي على حمل الغرام به أعان
أرجي الوصل أحيانا وحيناً أشخصه فيعروني افتنان
ولو أهل الصليب رأوه يوماً على قدر بدين هداه دانوا
وقوله مخاطبا بعض الأدباء وهو مريض:

أحبنا حتى الحروف تحرفت وحتى يراع السلم قد حارب الحيرا
فأصبح معمور الرسائل منكم مهامه لا تنفك موحشة فقرا
وعذبتُمونا بالجفا دون زلة كأنا جنينا الود في دينكم وزرا
وقوله:

ذوو الذوق إذ كانوا بروضهم مكثا بأجمعهم قالوا فجئت به بشا
إذا موهت أقلام ذي أدب فمن خشونة طبع المرء يستعمل البحثا
وليس كلام الشاعرين بعمدة يحث على تحقيقه ذو النهى حثا
مغالطة حيناً وحيناً خطابة وحيناً وحيناً فهو لم يستدم مكثا
وقد عده أهل اللطافة ورده تشم فإن تضمم تكسبها رثا
فكن ناهقا إن لم تذق ذوقهم ولا تحث علينا من فوبهك الروثا

وقوله مخاطبا شيخه أبا عبد الله التاودي ابن سودة:

إن أكن في العلوم روضا نضيرا فلقد كنت ثم لازلت مائي
أو أكن هاديا فعلمك نور أو أكن نجماً^(١) فأنت سمائي

(١) في متن المطبوع: «قمرا» وبهامشه «كذا» وما أثبتته مناسب عروضيا. ولعله مناسب للسياق. والبيتان من المديد.

وقوله :

ومن ظن فيك العلم في الناس جهلا
ولا خير في علم من أسفل أذخلا

ملئت بجهل جاهل قد جهلته
وهب عندك العلم الذي أنت تدعي

وقوله وقد أبدع :

فأكسبت البحر المحيط وجوما
فأطلعها ليل الحداد نجوما
وتحرق سراق القريض رجوما

أهذي سطور أم بحور تدفقت
أهذي معان أم غوان ترقرت
فتشرق نورا يهتدي بسنائه

وقوله :

وأنت على رغم الأنوف أمير
وأنت بما في الحاليتين خبير
وقد نمت في جنح السقام يسير

رويدا فما قول الوشاة يضير
ولا يوجب الهجران والعذر بين
فما لك يا بدر الجمال تركتنا

وقوله متغزلا :

قضيتها تحت وريف الظلال
ذ أو بين أنهار جرت بالزلال
وجامات الراح براح الغزال
وأثرت رقتها في الشمال
وطعمها المرشف عند النوال
فكيف أقوي سكر بنت الدوال
من وجنتيه رشقتني النبال

لهفي على تلك العشايا التي
ما بين أزهار زهت بالرضا
والورق في الأوراق راقصة
قد أودعت في خده لونها
وأكسبت ألحاظه فعلها
لازلت في سكر لواحظه
وكلما رمت اقتطاف جنى

فإن رجعت القَهْقَرَى لدغت عقارب الصدغين مني القذال
وإن أحم حول حمى ثغره تلسعني النحل فضاق المجال
من منقذي من أسر طلعتة من عاذري في حب بدر الكمال
ولم أقف على تاريخ وفاته .

٦١ - أبو العباس أحمد بن علي العلوي .
نزىل زَرْهُون .

حاله : فقيه معدل موقت فاضل جليل نزيه .
مشيخته : أخذ عن السلطان الأعدل مولانا سليمان كما للزياني في «جمهرة
التيجان» .

٦٢ - أبو العباس أحمد بن المجذوب ابن عزوز المكناسي .
قاضيا الأعدل .

حاله : فقيه جليل عالم فاضل تولى الأحكام الشرعية ، بهذه الحضرة المرعية ،
المولوية السلطانية مدينة مكناس ، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ متم سنة
سبع وثلاثين ومائتين وألف ، وغالب الظن أنه هو الذي تولى الخطبة بعد المترجم
قبل الذي يليه ، لأن آخر تسجيل وقفت عليه للمتقدم في أول سنة سبع وثلاثين
وأول تسجيل للمترجم متم السنة المذكورة .

٦٣ - أبو العباس الحاج أحمد بن محمد المعروف بالمزيان .

ابن عامل سَلَا ، والرباط القائد بناصر الصفار الفاسي الأصل المكناسي
الولادة والمدفن .

حاله : فقيه بركة ذاكر معمر صالح متبرك به رحالة مشغول الوقت بالذكر

والعبادة، حج ثلاث حجج، الأولى عام ثلاثة عشر ومائتين وألف، ودخل مصر وبغداد، ولقي أهل الفضل واستفاد وأفاد، ورجع لمسقط رأسه وأقبل على عبادة ربه وإفادة خلقه، اعتقده عوام الناس وخواصهم وكان السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام يحبه ويحله ويذهب لزيارته في منزله.

مشيخته: أخذ بالمشرق عن الشيخ إبراهيم شهاب الدين العباسي الإسكندري عن الشيخ مرتضى، وبالمغرب عن سيدي العربي بن المعطي الشرقي، وسيدي محمد بن أحمد المنوني من ذرية سيدي علي بن منون، وعن مولاي عبد الرحمن الإمام عن أبي العباس أحمد الحبيب، عن شمهروش الجنيني، وعن أبي محمد ابن عبد الله بن بوبكر عن التونسي العوني الفرجي، عن شمهروش وعن غير هؤلاء من فحول النقاد، وسراة المشايخ الأمجاد.

الآخذون عنه: منهم السلطان الأعظم مولانا عبد الرحمن بن هشام وأفاده وأجاز به قراءة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم إلى العالمين [الآيتان ٥١، ٥٢ من سورة القلم] وقال له: انو بها إصلاح أولادك ورعيتك وانضمام ملكك وانقياد العالم لك، يذكرها دبر كل صلاة سبع مرات كما وجد ذلك بخط نجل السلطان المذكور مولاي العباس ومن خطه نقلت، ومنهم قاضي مكناسة السيد العباس ابن كيران، ومولاي المهدي بن عبد المالك، والسيد عبد الكبير بن المجذوب الفاسي دفين شالة، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير الكتاني، ومولانا العباس بن عبد الرحمن بن هشام وغيرهم.

وفاته: توفي عام ثمانية وسبعين ومائتين وألف ودفن بداره بأقصى درب قبالة ضريح سيدي عبد الواحد الأشقر بالحومة المعروفة قديما بالقطانين بالبيت المقابل للمداخل بالركن الأيمن منه.

٦٤ - السيد أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الطيب بصري.

المكناسي النشأة والدار، الولهاصي الأصل شيخ أشياخ شيوخنا.

حاله: بيته بيت علم وإجلال وإكبار، وحسب ومروءة ووقار، ملحوظة بعين الاعتبار، كان ذا حظ وافر من النحو والفقه، بارع الخط له همة عالية، وزهد وورع يعلم الصبيان، وتخرج على يده عدة من حملة القرآن، ومنه فشا بارع الخط بالحضرة المكناسية حتى كان يضرب بجودته المثل واستكتب آخر عمره مع بعض قواد مجاط.

وفاته: توفي في بلاد زعير بالوباء العام عام خمسة وثمانين ومائتين وألف ولم يعقب رحمه الله.

٦٥ - أبو العباس أحمد بن علي السوسي.

العلامة المشارك النفاة.

حاله: علامة مشارك نقاد مدرس نفاة، أخبرني ابن حفيده شيخنا محمد السوسي أنه حدثه غير واحد من ذويه وقربته أن المترجم كانت له يد طولى في علم الأوفاق وسر الحرف، وأنه رحل إلى الحج، وأن قدومه من بلاده الساقية الحمراء كان في دولة السلطان أبي الربيع مولانا سليمان، وأن السلطان المذكور هو الراغب في مقدمه عليه، وأنه وجه من طرفه من يأتيه به من مسقط رأسه، ولما ورد وجد السلطان بالحضرة المكناسية فأكرم مثواه ونزله وأنزله بمدرسة الجامع الأزهر المعروف اليوم بجامع الأروى بطلب من المترجم، وأنه لما سمع بمقدمه العارف بالله مولاي عبد القادر العلمي توجه إليه بقصد زيارته على عادته رضى الله عنه مع فضلاء وقته المشار إليهم بالخير والصلاح، فلما اجتمعا سأل كل منهما صاحبه عن اسمه ونسبه عملا بسنة خير الأنام في ذلك.

٦٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٢٦٣٩/٧ في موسوعة أعلام المغرب.

وأخذ سيدي عبد القادر العلمي عن المترجم سر أسماء الله الحسنى كما أخذ هو عن العارف العلمي المذكور، قال حفيد المترجم العلامة السيد المفضل بن المكي ابن أحمد المترجم: ولم أقدر أن أسأله يعني العارف العلمي عما أخذه الجد المذكور عنه أهابك إجلالا... إلخ.

وبعدما طالت مدة إقامته طلب من الأمير المذكور أن يرده لمحله ومسقط رأسه فامتنع من ذلك كليا، وزوجه بشريفة توفيت في الحين ثم بأخرى رجراجية. الأخذون عنه: منهم ولده العلامة المشارك السيد المكي أما وفاته فلم تحفظ.

قلت: ولا يعرف له خبر ولا أثر من غير هذه الطريق بعد البحث الشديد وقرب العهد وبقاء غير واحد ممن عاصر المولى عبد القادر العلمي وضبط من أخذ عنهم ومن أخذوا عنه ومن تدبج معهم، وأعرب من هذا وأعجب كون المترجم بهذه المثابة القعساء وما مات حتى خلف ولده من أعيان علماء وقته وعدولهم المبرزين وهو لا يضبط زمن وفاة والده ولا تعيين قبره بل ولا في أي روضة دفن.

٦٦ - الأستاذ السيد أحمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد الكبير ابن الشيخ محمد - فتحا - الناصري.

حاله: كان فقيها علامة مشاركا متفنا ذا سمت حسن، وهدى مستحسن، لسانه رطب بذكر الله.

وفاته: توفي سنة أربع وثمانين ومائتين وألف.

٦٧ - السيد أحمد بن عبد الله الناصري: المقرئ من ذرية سيدي محمد الصغير ابن الشيخ سيدي محمد.

حاله: كان أستاذا مقرئا فقيها متضلعا خيرا دينا مشاورا في علم القراءات يقصده الناس للأخذ عنه والاستفادة منه كثير التلاوة والأذكار، لم يتخلف عن

دروس مشايخه العلمية، إلى أن اخترمته المنية، وكان متخذاً دكاناً بالصباغين يجلس فيه لإفادة الناس، وكانوا ينسلون إليه من كل حذب لأخذ علم القراءة وغيره عليه، وكان مقتصرًا في إقراءه على المنطوق والمفهوم وتقيد ما يحتاج للتقيد انتفع به خلق كثير من المقرئين وغيرهم.

مشيخته: أخذ القراءات عن الأستاذ الزموري، والأستاذ عياد البخاري والعلوم النقلية والعقلية عن ابن الجيلاني السقاط، وهو عمدته وعمن في طبقة من الأعلام.

٦٨ - أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الطاهر بن محمد فتحا ابن أحمد الكنكسي الشهير بالجبلي.

الأغزاوي أصلاً المكناسي منشأ واستيطاناً كذا قال عن نفسه.

حاله: فقيه وجيه ميقاتي ماهر له معرفة بالفقه والنحو والتوقيت والتعديل وما يرجع لذلك، وأُسند إليه ذلك في غير محل حسبما صرح بذلك في عدة تقاييد له وقفت عليها بخطه، ولي التوقيت بمنار أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْنَرَّائِي^(١) دفين خارج باب وجه عروس من مكناسة، كما ولي توقيت منار مولانا إدريس الأكبر بزواوية زرهون.

ومما وقفت عليه من فوائده صدر مؤلف له في المولد النبوي قوله:

لما أن من الله علينا وألهمنا إلى الاشتغال بجمع ما قد قيل وصنف في المولد الشريف وذلك من أفضل الأعمال، والاشتغال به من أنجح الأفعال، وقد ورد في فضله ما يفوق أوقار الجمال، وقد وجب على كل مسلم أن يعرف نسب رسول الله ﷺ ويعلمه لأهله وأولاده ويحفظه عن ظهر قلبه إن أمكنه ذلك، وإلا نظراً أو

٦٨ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧ / ٢٥٤٨ في موسوعة أعلام المغرب.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «المشترائي» وصوابه من دوحة الناشر في الموسوعة ٢ / ٨٨٠.

كيفما أمكن، ولا يهمله إلا من لا خير فيه أو ممن حجب عن الله فكما يجب على المسلم معرفة الله عز وجل بحفظ الستة والستين عقيدة فكذلك يجب عليه أن يعرف مولد رسول الله ﷺ ورضاعه وبعثه للناس وجهاده وما وقع من يوم مولده إلى يوم موته باختصار من القول، هذا للأُمِّيِّ، وأما القارئ فيتعين عليه البحث على ذلك والإطناب فيه فليس بعد قراءة كتاب الله شيء أفضل من قراءة شمائله وأيام مولده ورضاعه. انتهى الغرض، ومن خطه نقلت.

مشيخته: أخذ عن أبي عبد الله بن حلام إمام مسجد أبي العباس أحمد الشبلي المترجم فيما مر، والحمادي، وخميش، والشيخ أبي الفتح حمدون ابن الحاج السلمي، كذا قال عن نفسه فيما نقلته من خط يده.

مؤلفاته: منها «النفحات الوردية والمطيبات الطبيعية في تاريخ مكناسة الزيتون المولوية» لكنه لم يكمل، وقفت على الموجود منه في ورقات بكناش لبعض أصدقائي الأعلام. «وروض الورد والزهر في مولد المصطفى خير البشر» وقفت على بعضه بخطه. وغير ذلك.

وفاته: توفي أواسط القرن الثالث عشر وقد كان حيا تاريخ ثمانية وأربعين ومائتين وألف.

٦٩ - أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الكريم بن علي ابن طاهر بن مولانا الحسن الحسيني العلوي.

قاضي مكناسة الشريف الأصيل.

حاله: كان إماما عادلا له همة عالية، ونفس أبية، حسن السيرة صلبا في أحكامه محدثا مسندا راوية ممتازا بين أئمة التحرير، بالإتقان والنقد بدون نكير، خطيب بليغ مصقع، رحل إلى الحج وزيارة جده خير الأنام وكان متصدرا لخطه

الشهادة بسماط عدول هذه العاصمة العلوية، ثم رشح لخطة القضاء، وقفت على تحليلته في رسم مسجل عليه بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف بما لفظه:

الفقيه الأجل، العلامة الأفاضل، الحافظ الحجة الأكمل، المدرس القدوة البركة الأمثل، الشريف المنيف العلوي المبجل، قاضي الجماعة بالحضرة الهاشمية الإمامية مدينة مكناسة الزيتون وهو أحمد بن علي الحسني. انتهى.

وآخر مسجل عليه أيضا بتاريخ واحد ومائتين وألف وآخر بتاريخ ستة عشر ومائتين وألف، وآخر بتاريخ ثمانية عشر ذكره في «الشجرة الزكية» وغيرها.

شعره: من ذلك قوله مرتجزا:

يا ربنا مبلغ الآمال	ودافع الكروب والأهوال
يا ذا العطا والجود والإحسان	يا واسع الفضل والامتنان
إنا فقيرون إلى رحماك	وأنت أولى من حبا بذاكا
ونحن في غم شديد وحزن	مما أصابنا بهذه الفتن
قد عمنا جزع من قد نزلا	من الطغاة فوقنا وأسفلا
وبلغت قلوبنا الحناجرا	كما ترى يا ربنا كن ناصرا
كادت قلوب ضعفا النساء	تذوب مما حل من بلاء
يرق من حالتهم الحجر	ودمعهن لؤلؤ منتثر
وبلغ السبل الزبي والوادي طم	على قَرِيٍّ وذا الخطب أدلهم
وقد علمنا أن ما حل بنا	فإنما أصابنا من كسبنا
لكن عفوك الجميل أوسع	والرحمة العظمى لكل تسع
فلا تؤاخذنا بذنب إنّا	عليك يا رب قد اعتمدنا

ليس لنا مال ولا من نلجأ إليه غيرك فأنت الملجأ
فبدلن ما نخاف أمنا وكف كف الظالمين عنا
وشتن شملهم تشتيتا ولتكفناهم بما قد شئت
بجاء مولانا رسول الله محمد كهف الوري الأواه
صل عليه ربنا وسلم وآله مع الصحاب الأنجم
والتابعين لهم بإحسان ومن على نهجهم من إنسان

وفاته: توفي ليلة الأربعاء ثالث ربيع النبوي عام أربعة وعشرين ومائتين
وألف بالحضرة، ودفن بضريح سيدي بو كتيب برد الله ثرى الجميع بفضلهم آمين.

٧٠ - أبو العباس أحمد بن مبارك.

وزير السلطان الأعدل مولانا سليمان وأحد مواليه الذين نشئوا في خدمته
من نعومة الأظافر إلى زمن المشيب.

حاله: رجل صالح، تقي نقي فالح، لا يعرف لهواً ولا لعباً، كان أوحد
زمانه صدقاً وأمانة ونصيحاً وإخلاصاً لمخدومه، مع متانة دين ولين جانب،
وتواضع للفقير والضعيف، ورفق وحنان على الضعاف والأيتام والأرامل، محافظ
على الصلوات جماعة في أوقاتها لا تستفزه الدنيا بزهرتها، ولا يكبر في عينه
شيء من زخرفها الفاني مقبل على شأنه قائم بأعباء مأموريته أحسن قيام، مواظب
على قراءة دلائل الخيرات في سائر أوقات فراغه عالي المكانة تام النفوذ مسموع
الكلمة مطاعها في سائر المملكة المغربية.

ومع ذلك خرج من الدنيا كيوم ولدته أمه قال في «الجيش العرمم»: حدثنا
السلطان العادل يعني المولى سليمان وقد ذكره يعني المترجم يوماً وأكثر من الشناء

عليه حتى قال: والله لولا أنني كفتته وجهازته ما وجد ما يكفن به فإننا وجدنا في صندوقه الذي وجدنا مفتاحه معلقا عليه ستمائة مثقال، ووجدنا زماما بخطه عليه من الدين ستمائة مثقال فقضينا ذلك الدين بتلك الدراهم فخرج من الدنيا كيوم وضعته أمه مع ما ظفر به من الشهادة. انتهى.

قال فمن سمع هذا وتحققه فليعلم أن من سبقت له السعادة لا يضره شيء، فهذا رجل قد خاض في غمرات الدنيا وقام في مقام مجموع الفتن وقرعة المظالم والسيئات التي تستفز الرجال، وتهذ الجبال، ووقف مع الذين قيل إنهم دعاة على أبواب جهنم، فلم يتعلق به من تلك الأدناس شيء وأدرك الفوز الذي وقف دونه أطماع السابقين فسبحان المتفضل الكريم، الواسع العليم، ومن تشوق إلى البرهان، على ما ذكرناه يقال له طلبك البرهان على مثل هذا مما لا تقول به أولو العقول والأذهان، فهل رأيت هذا الرجل شيد القصور أو غرس البساتين أو تأصل الأصول أو ادخر الذخائر أو استعد للنوائب كما يفعله من عمر دنياه.

ولم يبال بما تخرب من أخراه، عافانا الله بفضله آمين. انتهى.

وقال: ما نقلت عنه قط مظلمة ارتكبتها ولا موبقة تعمدها ولا مسألة خان فيها مخدومه أو لبس عليه فيها أو مضرة كتمها عنه اتباعا لهواه أو موبقة لغيره، كان سلطانه العادل يذكر ذلك عنه ويمدحه به في كثير من المقامات وكانت وزارته ممتدة بطول ولاية سيده نحوا من ثلاثين سنة ولا أظنه فاتته صلاة في جماعة حضراً وسفراً ولا يفارقة دلائل الخيرات في قبه كلما وجد فسحة من الأشغال أخرجه وقرأ ما تيسر منه مع ملازمة أوراده وإقامة الرواتب المشروعة هكذا رأيناه.

وأما مباشرته للناس وملاقة الضعفاء وذوي الحاجات والضرورات فكان أرحم وأرفق بهم من الوالدة بولدها ولا يخاطبهم إلا بالسيادة والتبجيل، وأما أن يقهر أحدا أو يسبه فإنه في البعد الأبعد عن ذلك.

وكان هو ووالده وإخوته مماليك لمولانا السلطان العادل رحمه الله أعطاهم له والده سيدنا محمد رحمه الله فنشأ الوزير المترجم في كفالتة، وتخلق بأخلاقه من زمن الصبا إلى مماته، وكانت حياته مقرونة بسعادة السلطان العادل، فإنه من يوم قتل رحمه الله انتشر نظام مملكته واختلت أسبابها فلم تزل في اضمحلال حتى انطفأ سراجها.

وكان قتله عيب البخاري ظلما وعدوانا بعد رجوع السلطان من وقعة زيان. وكان السلطان بعد قتله يقول في كثير من الأمور: لو كان أحمد حيا ما وقع هذا ولكان هذا. انتهى الغرض. وبالجمل فترجمة الرجل طويلة الذيل، ومحامده بعيدة النيل.

وفاته: توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف ضربه عبيد البخاري برصاصة بغابة حمرية ودفن يمين الخارج على باب أبي العمائر، ولا زال على قبره إلى الآن بناء كان أحدثه بعض حفدته رحمه الله.

٧١ - أبو العباس أحمد بن الطاهر بادو.

المكناسي النشأة والدار والوفاة.

حاله: صالح فاضل صوفي سني ناسك ذاكر متبتل منحاش لأهل الله محب في الصالحين، معتقد في أهل الفضل والدين، لا تأخذه في الله لومة لائم، كانت له وجاهة ومكانة قعساء عند سيدنا الجد السلطان أبي زيد بن هشام محمول لديه على الصدق والأمانة، يرشحه للمهمات ويفوض له في الأمور ذات البال وبالأخص فيما يرجع للأعباس.

وقفت في الحوالة الحبسية على عدة ظهائر من السلطان المذكور بالموافقة على ما وافق عليه المترجم وإمضاء ما أمضاه، وإيجاب العمل بمقتضاه، من ذلك ظهير

مثبت أصله بصحيفتي ٧٦ و ٧٧ من حوالة الزاوية العلمية بتاريخ ٢٢ حجة عام ١٢٨٦.

ولي ببلده خطة الحسبة وقام بوظيفها فوق ما يطلب منه جهده وطاقته، وقفت على جواب عن مكتوب له لقاضي مكناس أبي عيسى المهدي ابن سودة بخطه حلاه فيه: بالفقيه الفاضل الصوفي بتاريخ فاتح جمادى الأولى عام سبعة وسبعين ومائتين وألف، وقد كان له جاه واحترام عند الخاصة والعامة من أهل بلده وغيرهم وينتمي نسب قبيلهم للعارف بالله أبي عبد الله محمد بن مبارك التستائوتي على ما في بعض العقود الحسبية القديمة.

٧٢ - أبو العباس أحمد بن عمر بن العربي بن عمر.

أصله من أولاد غدو، فرقة من صنهاجة، قدم جده الأعلى عمر المذكور من الجبل واستوطن قصبة هدراش وتولى إمامه وخطبة مسجدها، وكان معتقدا عند أهلها معظما ملحوظا بعين الإجلال والاعتبار.

حاله: كان فقيها زاهدا ناسكا ذا جد واجتهاد، وكانت فيه دعاية، وله مكاشفات، وأحوال خارقات، ظهرت على يديه كرامات، حدثني بها غير واحد من مشايخي الجلة الذين وقعت لهم معه وشاهدوها منه المرة بعد المرة، وكان حسن الصوت مجوداً لكتاب الله حلو التلاوة. أخبرني صاحبنا الفقيه أبو العباس الناصري قاضي الأحواز المكناسية أنه حدثه أن من جملة أوراده اللازمة كل يوم ذكر ثلاثين ألفا من اسمه تعالى الحي القيوم، واسمه تعالى اللطيف أربعة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خمسمائة مرة وعلى رأس كل مائة يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين وربما كرر الاسم اللطيف العدد المذكور سبع أو ثمانى مرات في بعض الأيام.

ولادته: ولد بمكناسة ولازم ضريح الشيخ محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية حتى أُسند إليه التقديم عليه وقام بخدمته أتم قيام وأحسنه، ثم لما تفاحت البدع من أهل النسبة العيساوية وتكرر نهيه لهم وهم يستعبرون له أذناه صماء، وعينا عمياء، وبالأخص في تماديهم على اللحن الفاحش في حزبهم المعروف لديهم بـ «سبحان الدائم» تنازل عن ذلك التقديم ولازم داره وصار لا يخرج إلا للجمعة، وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين، وكان يشار إليه بالمهارة الكاملة في علم الأسماء والأوفاق واستخدام الجان تقصده الزوار من الجهات القريبة والبعيدة.

مشيخته: أخذ الكتاب العزيز عن الفقيه البوسدراوي، والشريف سيدي محمد ابن إدريس البوعناني، والفقه عن العلامة الشيخ الحاج مبارك الفيلاي، وحصل ما قسم له من المعلومات وأخذ الطريقة العيساوية عمن تصدر لتلقينها إذ ذاك من مشاهير مقدميها.

الآخذون عنه: أخذ عنه ابن عمنا العلامة النقاد، المتأني الذي له كل صعب انقاد، سيدي محمد بن أحمد العلوي قاضي زَرْهُون سابقا قراءة آية الكرسي عند النوم إحدى عشرة مرة حسبما أخبرني بذلك مشافهة ومكاتبه، وشيخنا العلامة المشارك المطلع أبو العباس أحمد بن المأمون البلغيثي قاضي مكناسة الحالي أخذ عنه الصلاة المشهورة وهي: اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم حسبما شافهني بذلك وبما وقع له معه من المكاشفات مرارا، وحدثني عنه أنه نعي له نفسه وذلك أنه ودعه ذات يوم عام ١٣٠٩ فأنشده المترجم:

يا مزمعا بالرحيل عنا كان لك الله خير واق

أسعدك الله في ارتحالك أمّنك الله في المهالك

فائدة: من خط بعض العلماء ما صورته: وحكي عن بعض التابعين أنه كان إذا ودع مسافرا أنشده هذين البيتين. انتهى.

وقال بعض العلماء هذان البيتان ما أنشدا قط على أحد يريد سفراً إلا رأى في سفره نجاحاً. انتهى.

وحدثني شيخنا البلغيثي أيضاً أنه زار هو وشريف من سكان فاس المترجم يوماً من الأيام، وكان ذلك الشريف من خاصة أصحاب البركة الأشهر سيدي محمد الغياثي وبمجرد ما وقع بصر المترجم عليه سأل عن حال شيخه الغياثي قائلاً في سؤاله له هل لازال سيدي محمد الغياثي منفرداً في داره لا يقبل دخول أحد عليه فيها؟ فأجابه بنعم وكوْهَرَةً، فقال المترجم: الله الله يهديه أنا والله لا أحب إلا أن تكون الخودات معي واحدة تعضني وواحدة تنشدني وقلبي مع الله، ثم اتفق اجتماع شيخنا البلغيثي بعد ذلك بمدة مع الغياثي فجرى ذكر المترجم فأثنى الغياثي خيراً، ثم سأل شيخنا المذكور هل له به معرفة؟ فقال: أعرفه في عالم الأرواح.

وفاته: توفي في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الاثنين فاتح جمادى الثانية عام أحد عشر وثلاثمائة وألف ودفن بزاوية المولى التهامي بالبیت المقابل للداخل بإزاء قبر الشريف المتبرك به حيا وميتا سيدي محمد العربي الوزاني رضي الله عنه.

٧٣ - الوزير الأعظم أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك.

الوزير ابن الوزير ابن الوزير.

ولادته: ولد سنة سبع وخمسين ومائتين وألف.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول السوسي، والحاج محمد جنون وغيرهما

من فحول أهل العلم بفاس ومكناس وغيرهما من البلاد، وكان جل أخذه على طريق المذاكرة والمباحثة.

حاله: كان شعلة ذكاء ونباهة فقيها حازما ضابطا عفيف الأزار، طاهر الذيل، سياسيا آية في الدهاء وحسن التدبير كثير الصمت، محافظا على الطهارة والصلاة في أوقاتها مع الجماعة، صلبا في دينه، كثير الأذكار، حريصا على التعرف بالأخيار، طلق الوجه ظاهر البشر متواضعا بشوشا، ذا مكاييد وحيل، مستبدا بالأمور، لا يشاور إلا فيما تتوقف الأنظار فيه على الأخذ برأي غيره ذا حزم وعزم وثبات، مَجَالِسُهُ لا تخلو من العلماء ومذاكرتهم.

حجابه: تولي الحجابة عن الخليفة السلطاني بفاس المولى إسماعيل أخ السلطان المولى الحسن، ثم الحجابة لدى الجلالة المملوكية الحسنية، وفيها تدرب على الخدمة المملوكية وحنكته التجاريب وعلم من أين تُؤكل الكتف.

إسقاطه وزارة الجامعيين وسبب ذلك:

ثم صار وزيراً صدرًا في الدولة العزيزية وفيها علا كعبه وارتفع صيته، وأوقع بأعدائه أولاد الجامعي واستنزّهم من وظائفهم، وذلك بعد أن قاسى أهوايا وشدائد قيد حياة مخدومه الأعظم السلطان مولانا الحسن، كان اتهمهما بأنهما اللذان سعيًا في إفساد ذات البين بينه وبين السلطان المذكور حتى انحرف عنه، وهم بالإيقاع به لولا أن المنية حالت بينه وبين ذلك والواقع خلاف ذلك كله.

وحقيقة الأمر أن السلطان مولاي الحسن لما ولى الحاج المعطي منصب الوزارة العظمى أنف المترجم من ذلك، إذ كان يرى أنه ليس بكفء لذلك المنصب وقد تحقق السلطان باستياء المترجم وإطلاقه لسانه بالطعن والتنقيص، وأنه قال: إن هذا الرجل فقد عقله يعني السلطان فأسرّها في نفسه ولم يبدها له، وصار يحض الحاج

المعطي ويوصيه بمخالفة المترجم والغض منه والتضييق به وعدم المبالاة فأظهر له من الغلظة والجفاء امتثالاً لما أُمر به ما زاده حنقا، وأخذ لنفسه بالأحوط، فكان كلما ازداد الوزير غلظة وجفاء للمترجم زاد في إظهار اللين وخفض الجناح والخضوع والانحياش له ولأخيه السيد محمد الصغير وزير الحرية وهو يتربص بهم الدوائر وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن زمام الأمر بيدهما وأن الجو خلا لهما حتى صمم السيد محمد الصغير المذكور على القبض عليه بالرياط فمنعه من ذلك أخوه الصدر الحاج المعطي، وقال لا يسمع علينا أننا عقب موت السلطان فتحنا باب الشهوات والتوصل إلى الأغراض الشخصية، على أنه لا شيء بيننا وبين هذا الرجل والسلطان الذي كان يأمرنا بمضادته وعدم اعتباره قد لبي داعي مولاه.

هذا والمترجم يدبر لهما الحيل ونصب شبك المكاييد القاضية عليهما بالقاضية، فنسب لهما الخوض فيما لا تحمده عقباه.

من ذلك أنه لما لبي السلطان مولانا الحسن داعي مولاه وبويع لولده المولى عبد العزيز بالمحل المعروف بالبروج من قبيلة بني مسكين استبد بالرأي دونهم، وصار يتداخل فيما هو خارج عن خطته اعتمادا على ما يعلمه من اختصاصه بالسلطان المولى عبد العزيز وتيقّنه بعدم خروجه عن أمره، وأنه لا يركن لأحد سواه، وكان يعلم ذلك كل من له أدنى مسكة من بقية الوزراء، ولذلك تسارعوا لمحالفته، وتعاهدوا على تعزيزه ونصرته، والتزم هو لهم ببقاء كل واحد منهم بمحله وعلى وظيفه ما عدا الحاج المعطي الصدر و محمد الصغير وزير الحرية، فإنهما كانا على خط مستقيم في مخالفته ومضادته، فأشاع عليهما أنهما يرغبان الناس في نقض بيعة السلطان المولى عبد العزيز المذكور وهما في سكرتهم يعمهون، لا يعلمان أن المترجم لهما بالمرصاد يترقب انتهاز الفرصة في المكر بهما ولا يصدّه عن ذلك إذ ذاك إلا خوف انتشار الفتنة لقوة حزبهما من جيش شراكة وأولاد جامع والقوة الحرية كلها تحت سيطرتهم.

ولما فشا ما رماههما به من خلع السلطان استفتى العلماء في شأنهما وقرر لهم أن مرادهما شق العصار وافتراق كلمة الجماعة، فأفتى البعض بالقتل والبعض بالتخليد في السجن وأسر ذلك في نفسه ولم ييده لهما ورأى أنه لا يتم له مراده فيهما إلا بعد حلول السلطان عاصمة سلفه المكناسية.

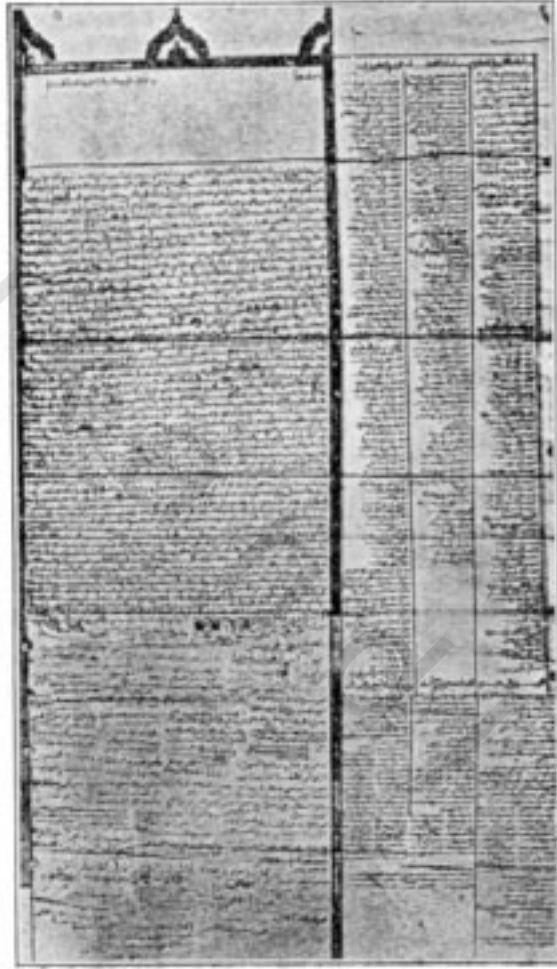
ولما نهض السلطان من الرباط صمم أولاد الجامعي على التوجه لفاس وقالوا: إنها قاعدة المغرب، وصمم المترجم على التوجه لمكناس، وقال: إن العادة قاضية بالمرور بها لكونها دار الملك ومقر الجيوش ووسيلة لزيارة مولانا إدريس الأكبر، فجنح السلطان لما صمم عليه صاحب الترجمة وزيف قول غيره.

ثم لما حل السلطان بعاصمة سلفه المكناسية، دخل عليه وهو على أريكة ملكه الوزير الصدر الحاج المعطي المذكور بصكوك الأوامر السلطانية على عادة الوزراء في تقديم المكاتب للتوقيع عليها، فأمره السلطان بدفعها للمترجم فامتنع وأبى، وطلب الأمير بالتمشي معه على العرف المألوف الذي كان يتمشى معه عليه والده السلطان المقدس، فقال السلطان مجيباً له: افعل ما أمرك به فغضب وترك الصكوك مطروحة بإزائه وخرج، فعند ذلك تم للمترجم ما أراد فأمر الأمير قائد مشوره وهو إذ ذاك إدريس بن العلام البخاري بأن يأمر الوزير الجامعي بالانسلاخ عن كل ما يرجع لوظيفته ولزوم داره هو وأخوه، وذلك أمرٌ دُبِّرَ بليلاً.

وكان من جملة ما خاطبهم به رئيس المشور المذكور، على لسان السلطان المنصور، قوله: لقد طغيتم في البلاد وكفرتُم نِعَمَ ما أسداه لكم مولانا المقدس من النعم، وارتكبتم بدل المجازاة بالإحسان العقوق، وقد بلغ سيدنا أيده الله ما صمتم عليه من شق عصا الطاعة وإيقاد نار الفتن، ولولا رعاية محبة سيدنا المقدس فيكم وقرابتكم منه لأذاقكم سيدنا شديد النكال وأليم العذاب، قوما اذهبوا لحال سبيلكما، فلم يسعهما إلا الانصراف ولزوم محلهم، واتفق أن كان يوم طردهما عن شريف الأعتاب يوم الثلاثاء.



السلطان السابق مولانا عبد العزيز



بيعة أهل فاس للسلطان مولاي عبد العزيز

ثم بعد ذلك أمر باشا مكناس حم بن الجيلاني بن حم البخاري بإلقاء القبض عليهما، وذلك صبيحة يوم الجمعة ثم على صهرهما العربي الزبدي واستئصال أموالهما وأثاثهما، وبيعت تركتهما في العواصم المغربية، وبعد إلقاء القبض عليهم بذل المترجم العطاء للوفود وأسدى للضعفاء والمساكين بكل ناحية ولاسيما مكناسة وفاس ووجهه بالمقبوضين مقيدين لسجن ثغر تطاوين، إلا الأخير فنقل لآسفي سجينا.

وبسجن تطاوين مات الحاج المعطي وكانت مدة اعتقاله ثلاثة وثلاثين شهرا، ومن عجيب الاتفاق أن مدة وزارته كانت كذلك ثلاثة وثلاثين شهرا.

وبقي به أخوه محمد الصغير إلى أن سرح أواخر الدولة العزيرية، ونقل لطنجة وبقي في حكم الثفاف بها في أعس عيش، إلى أن اخترمته المنية.

وأما الزبدي فقد سرح بعد وفاة المترجم بأيام قلائل ولحق بالسلطان المولي عبد العزيز بمراكش، فأكرم وفادته ورد له لوظيفته السابق، وأنزله بعرضة مولاي علي الشهيرة بحومة الكتبية ولم يزل على وظيفه إلى أن بارح السلطان مراكش ووجهته محروسة فاس، وذلك في شعبان عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف فكلف بإتمام حساب ما بيع من متخلف المترجم وحساب بناءاته التي كان السيد محمد بن عبد الهادي زنير مكلفا بها وتصفية ذلك أمر كله، فلم يزل في مأموريته هذه إلى متم عام ١٣٢٠، فأصدر له الأمر السلطاني بالقدوم لفاس، ولما لحق بالجلالة طلب الخدمة بوطنه رباط الفتح فأُسعفت رغبته وعين أمينا على الديوانة والمستفاد وخليفة مستقلا عن عامل الثغر الرباطي، وبقي على وظائفه المذكورة إلى أن حل الركاب السلطاني بالثغر المذكور عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف، فأمر عندئذ بالطلوع لمحل خدمته بالبساط الملوكي، وأقر زيادة على ذلك علي أمانة المستفاد وأذن له في جعل ولده نائبا عنه.

ولما جاءت الدولة الحفيفية عينته لوظيف الحسبة ببلده الرباط والخلافة
الباشوية وأمانة الديوانة بها، ثم أعفي في عام ١٣٣١، ثم عين للأمانة بديوانة
أسفي عام ١٣٣٢.

ثم طلب الانتقال فنقل لديوانة القنيطرة إلى سنة ١٣٤٢، ولم يزل على
وظيفه هذا إلى أن لقي ربه عام ستة وأربعين.

وزارته وصدارته العظمى:

هذا وبالقبض على أولاد الجامعي استقام أمر الملك لصاحب الترجمة وصفا
له الجو وطأطأت له الرؤوس ولم يبق له منازع في الوزارة العظمى، واستبد بأمر
الملك كله وجعل أخاه السعيد وزيرا للحريية وأخاه إدريس حاجبا، ولم يترك معه
وزيرا أجنبيا إلا الفقيه السيد محمد المفضل غريط كان أبقاه على وزارة الخارجية،
وأبا الحسن على المسفيوي أبقاه على وظيفه وزارة المظالم، وقد كان يجامله
ويحترمه.

ولم يزل على وظيفه إلى أن لبي داعي مولاه، وإلا صديقه الحميم المخلص
السيد عبد السلام بن محمد التازي الرباطي فإنه بقي في وظيفه أمانة الأمناء (وزارة
المالية) كما كان قلده مولاي الحسن إياه بفاس في رمضان عام ١٣٠٧ إثر وفاة أخيه
السيد محمد التازي الرباطي الشهير المترجم في الاستقصا [٤ : ٢٥٦]، وقد كان
المترجم يركن له ركونا خاصا مشهورا سيما في الخارجية إلى وفاة المترجم التي
صادفته مريضا بمراكش فاستعفى بعده.

وذهب للحج وأكرمه السلطان وأعانه على رحلته الحجازية، ثم ألقى عصا
تسياره بالرباط إلى أن استدعاه السلطان مولاي عبد العزيز إلى فاس في العشرة
الأخيرة من جمادى الأولى سنة ١٣٢٢ وقلده أمر النيابة بطنجة عوض النائب



وزير خارجية الدولة الحسنية والصدر الأعظم سابقا
السيد محمد المفضل بن محمد غريط

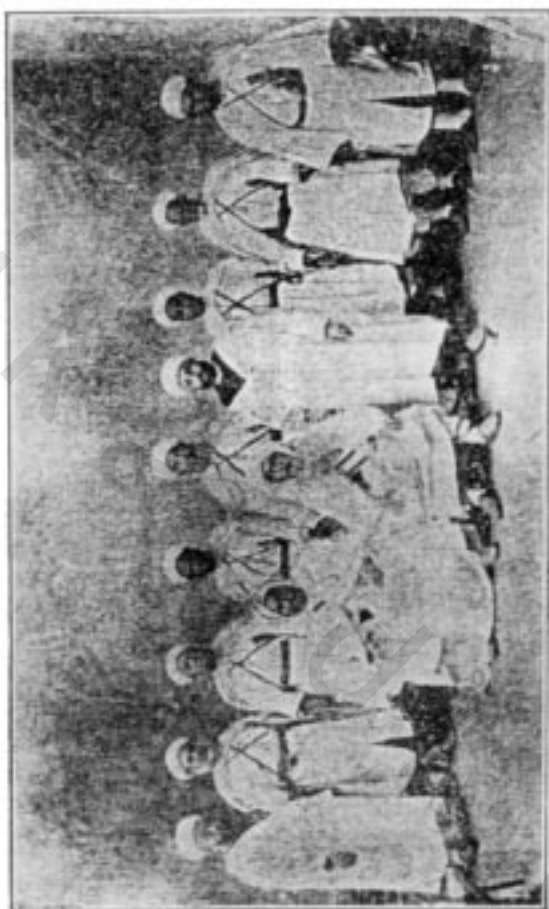
الحاج محمد الطريس، على أن خليفته قائد سلا الشهير السيد عبد الله بن سعيد ورجع للرباط لتهيئة الأسباب ومعه المكاتب السلطانية لعمال المغرب وولاته باعتماد أوامره في مأموريته، فدخله يوم الأحد ٢٧ شعبان عامه في يوم مشهود، وجمع محشود، حيته فيه أبراج العدوتين وحُصُونهما بالمدافع الرسمية.

ثم توالى الأحداث التي اقتضت تأخير ذاك وتتابعت تترى، فاستدعى السيد عبد الله ابن سعيد المذكور إلى طنجة آخر رمضان منه، وصعدت السفارة الفرنسية لفاس في شوال منه ثم استدعيت وفود مدن المغرب ومراسيه إلى فاس وأواخر القعدة منه للذاكرة في مطالب السفارة، ثم قدم غليوم إمبراطور الألمان إلى طنجة يوم الجمعة ٢٤ محرم ١٣٢٣ لمعاوضة السلطان ومعارضة السفارة الفرنسية، فقابله ابن سعيد المذكور إذ كان الطريس بفاس، ثم عقد المؤتمر الدولي بالجزيرة الخضراء في شوال منه ورئيس الوفد المغربي الطريس، وما يتبع ذلك من الحوادث فبقي التنازي المذكور بالرباط إلى أن لقي ربه ليلة الخميس ٢٧ صفر عام ١٣٢٥ محمود المساعي مشكور الأعمال «والذكر للإنسان عمر ثاني».

ولما نهض السلطان من مكناش لفاس أعفى الوزير غريط وولى مكانه عبد الكريم بن سليمان وكان كغيره لا يقطع أمراً دونه قلّ أو جلّ، وأضاف عمالة فاس لإدريس بن العلام قائد المشور السلطاني، حيث إنه كان عوناً له على الإيقاع بأولاد الجامعي زيادة على وظيفة.

بعثة السفارة لأسبانيا وما حصل لها:

وفي تاسع عشري رجب عام ١٣١٢ موافق ٢٦ يناير سنة ١٨٩٥ وجه الوجه الحاج عبد الكريم بن محمد المدعور بريشة التطواني سفيراً لدولة الإسبان لإدخال إصلاحات وتعديلات على الوفاق الممضي بمراكش بين جلالة السلطان المقدس مولانا الحسن والجنرال (مرطيس كبو) النائب عن دولته المذكورة فيما يتعلق



سفارة الحاج عبد الكريم بريشة وابن سليمان لدى دولة اصبانيا

بحرب مليلية، وعززه بالسيد عبد الكريم بن سليمان، ولما وصلا لمديريهما اقتبلتهما الدوائر الرسمية أحسن مقابلة وأكرمت وفادتهما واعتنت بشأنهما غاية الاعتناء رغما عن كون الشعب ينظر لهم شزرا، وأفكاره لا ترضى بمطالبهم.

ولما حل وقت الملاقاة الرسمية مع الملكة وخرج السفير من محل نزوله للركوب في العربة المعدة له بقصد ما ذكر، اعترضه رجل إسباني بلباس مدني ولطمه على جيده على حين غفلة لطمه كادت تذهب ببصره فرجع السفير من طريقه وامتنع من الملاقاة مع الملكة التي كانت في انتظاره، ووقع القبض على المتعدي وبعد البحث عنه أُلقي جنرالاً متقاعدًا مختل العقل اسمه (يكل فونتيس) وفي الحين حكم عليه من المحكمة ببقائه طول حياته محجرا في المارستان.

ثم قدم على السفير كثير من المستعطفين ما بين وزراء وكبراء وألح عليه في الاستعطاف غاية طيب السلطان المقدس مولانا الحسن (رويلو) والترجمان بسفارة إسبانيا بطنجة (منويل سييدرا) واعتذروا له وأظهروا تحسرهم على ذلك الواقع الفظيع، ولم يزالوا معه حتى لان وتوجه معهم للقصر الملوكي.

ولما وصله أبي أن يدخل لملاقاة الملكة حالة كون شرفه ممسوسا فخرج إليه صديق وداده رئيس الوزارة الصنيور (ساقاسطا) والجنرال (مارتينس) وأقنعوه بما يرضي دولته ويحفظ شرفه فساعدهم إذ ذاك على ذلك، وتقدم لغرفة استقبال الملكة ولما دخلها أجملت الملكة استقباله فوق العادة جبراً لخاطره، ومن غريب ما يذكر في ملاقاته هذه أن الملكة نزلت عن كرسيها وصافحته وهي قائلة: (يا سعادة السفير أتأسف من صميم فؤادي على التعدي الذي وقع عليك وإني أشعر بألم تلك اللطمة داخل قلبي).

ولما تم الاقبال على أحسن حال ورجع السفير لمحل نزوله تواردت عليه الوفود من المجامع وإدارات الجرائد وزاره كل الوزراء مطييين لخاطره ورجع الذين

كانوا ينظرونه شزراً من أخص المتأسفين، وقامت جملة الجرائد وأندية الشعب والأحزاب الساسية ومجلس الأمة ضد ما وقع من التعدي الشنيع فلم يسع السفير المذكور إلا أن أبرقَ إلى جلالة السلطان مرسله بواسطة النائب أبي عبد الله محمد الطريس بما لفظه: إن ما يصلكم من التعدي علي هو شيء لا أهمية له ولا يمس عاطفة الوداد الإسباني المغربي، ولا يرى جنابكم العالي إلا ما يسره فتقرر بمجلس النواب وشورى الوزراء أنه من شرف إسبانيا واللائق بنخوتها جبر خاطر السفير والاحتفال به كما يجب، وهكذا انقلبت لهجة الأمة كلها فكان لهذه الحادثة أثر عظيم في تعديل العقد المراكشي الممضي من الدولتين في ٢٤ أفريل ومن أهم تعديلاته إسقاط ٤٠٠، ٤٠٠، ١ ريال (دوروس) من ٣٠٠، ٣٠٠، ٢ التي كانت مقررة به، وبعد أن كان سيدفع بكيفية خاصة تعدل دفع المقدار في ستة أشهر الموالية للتعديل وعلى ما قرره مؤرخو الإسبان وصرحوا به في عدة مواضع أن دولة المغرب نجحت في هذه السفارة نجاحاً لم يتقدم له مثيل.

ثم بعد هذا عينت له بأخرة خصوصية تحمله لطنجة زيادة في إرضائه وتكرمه، ولما وصل طنجة ورجعت الباخرة غرقت بما فيها على مقربة من طنجة.

ولما رجع من مدريد رفع نتائج أعماله للمترجم فاستحسنها واستعظمها وأجازه باسم السلطان بخمسين ألف ريال (خمسمائة ألف فرنك) وسماه نائباً في جمعية السفراء بطنجة لسن قوانين إدخال الإصلاحات للمملكة، ولم يزل على وظيفه هذا إلى أن ختمت أنفاسه يوم الجمعة عاشر محرم عام ١٣١٥ الموافق يوليو سنة ١٨٧٨.

استخلاصه طرفاية من الإنجليز: وفي ثاني وعشري قعدة العام أوفد عن إذن السلطان لطرفاية صاحبنا الفقيه الميقاتي الحيسوبي السيد العلمي بن أحمد بن رحال بصفة كونه ميقاتياً والحسين بن خلوق الأودي بصفة كونه مهندساً، وإدريس بن

عبد الجليل خليفة باشا فاس إذ ذاك بصفة كونه أميناً، والعدل السيد العباس التطواني آل أبي عبد الله ابن مرزوق دفين أصيلاً، والنجار الطالب الحسين المباركى، والبناء الحاج موسى مارسيل الرباطي، والحاج محمد زبير السلوي الطنجي، والرئيس البحري وخمسة وعشرين عسكرياً بقصد حيازة المرسى التي كان أحدثها الإنجليز بطرفاية افتياتاً وتمكينه مما كان صرفه على بناء ذلك المحل.

وذلك دار بوسط البحر محمولة على الأزهرية وهي على هيئة فندق بالفوقى والسفلى وبها هريان عظيمان لخزن البارود والقرطوس، وبسطح الدارسة مدافع وقصبة مربعة بها دور ثلاث إحداها كبيرة شبيهة بالمرسى المذكورة معدة لسكني رئيس تلك المرسى، والثانية صغيرة كان يسكنها البشير بن بيروك الودنوني، والثالثة يعمرها العسكر على هيئة قشلة إلا أنها بدون فوقى وبوسط القصبة خيام بعض العرب يدعون الأفيكات.

والسبب الوحيد في مد أعناق الأجانب للبناء بذلك الشاطئ هو بيروك الودنوني التكني والد البشير المذكور، وكان ذلك في دولة سيدنا الجد السلطان أبي زيد عبد الرحمن بن هشام حسبما وقفت على التصريح بذلك في ظهير أصدره السلطان سيدي محمد لصنوه المولى العباس ودونك لفظه:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً ثم الطابع الفخم بداخله محمد بن عبد الرحمن الله وليه.

«أخانا الأعز الأَرْضَى مولاي العباس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإن بيروك التكني كان على عهد سيدنا ومولانا قدسه الله تواطأ مع بعض النصارى على البناء بشاطئ أرضهم، فبلغ خبره لمولانا فوجه له نور الله ضريحه من ذكره وحلفه في المصحف الكريم على أن لا يعود لذلك. ولا يسلك مع الكفار تلك المسالك، وظهر منه من التوبة ما أوجب اعتباره ومراعاته

عند سيدنا ونفذ له دارا بالصويرة، وكان محررا من الإعطاء على سلعه التي ترد على الثغر الصوري تأليفا له، وبقي على ذلك إلى أن لقي الله تعالى.

ثم خلفه من أولاده خلف أضاعوا تلك الوصايا، وأرادوا أن يعرضوا بلاد المسلمين للرزايا، ويبيعوا دينهم بدنياههم، فتواطئوا مع النصارى جنس الصبليون على البناء هنالك، فسمعت تلك القبائل المجاورة لهم بذلك واتفقت على قتالهم إن لم يرجعوا عن غيهم.

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الفتن والأهوال واتساع دائرة القتال، وعليه فيتعين الكلام مع الصبليول في هذا الأمر الذي يجبر إلى ما لا يليق ليرجعوا عنه إن بدءوك بالكلام فيه وإلا فلا، ومن المعلوم أن أهل تلك البلاد من جملة رعيتنا وإيالتنا، فليس لأحد منهم أن يفعل في شبر منها ما شاء ولا تسلمها تلك القبائل ولو أفناهم القتال عن آخرهم، ومرادنا أن تبقي هذا الأمر مكتوما حتى يبدأك به الصبليول، فإن بدءوك به فتجد عندك ما تقول لهم وتردهم به، وها كتاب المرباط السيد الحسين الأليغي يصلك فطالعه لتعلم ما ذكر فيه، وإن ذكروا لك أن أهل تلك الجهة هم الطالبون لذلك والراغبون فيه فأجبههم بأن الأمر بخلاف ذلك وبأن قبائل تلك النواحي رمت ولد بيروك عن قوس واحدة، وليس معه أحد فيما رام فعله، واذكر لهم في ذلك ما يليق أن يذكر، وإن لم يذكروا لك شيئا فلا تذكر لهم شيئا، ونسأل الله أن يرد كيده في نحره وقد أخبر خدينا الطالب عبد الله أبهي بمثل ما أخبر به المرباط المذكور، ونسأل الله أن يعجل بهلاكه آمين والسلام في ١١ من ربيع الأول عام ١٢٧٨ هـ. من أصله بلفظه.

وأدى السلطان في استرجاع ذلك ابرات ٥٠٠٠٠ خمسين ألف حيزت من طنجة بعد أن كانوا طلبوا ريال ١٠٠٠٠ عشرة آلاف وقديما قيل إن للتأخير آفة ووقع الاتفاق على ذلك بشروط نصها:

«الحمد لله وقع الاتفاق بين الواضعين اسمهما عقب تاريخه وهما الفقيه الوزير الأعظم الأجل المجل السيد أحمد بن الفقيه الوزير المنعم السيد موسى بن أحمد والكبير المنيسطر (ارنيط ماسن ساطوا) على الشروط الخمسة التي ستذكر أسفله في شأن شراء المخزن لزينة البناء الذي للكبانية النجلزية المسماه (نرف وست افرك) بالمحل المعروف بالطرفايا الكائن ببلاد قبيلة تكنة .

(الشرط الأول) إذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة لا يبقى كلام لأحد في الأراضي التي من وادي درعة إلى رأس بوخادورا المعروف بالطرفايا المذكورة، وكذلك فيما فوق هذا المحل من الأراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغرب .

(الشرط الثاني) المخزن يعطي الكلمة لمخزن النجليز أنه لا يعطي شيئا من الأراضي المذكورة أعلاه لأجنبي إلا بموافقة مخزن النجليز .

(الشرط الثالث) إذا اشترى المخزن زينة البناء الذي بالمحل المذكور أعلاه من الكبانية المذكورة أعلاه يكون شراؤه لذلك عاما شاملا لزينة البناء حجراً أو خشبا الذي بالبحر والذي بالبر، كما يكون شاملا أيضا شراء المخزن لذلك لجميع ما اشتمل عليه جميع البناء المذكور الذي في البر والذي في البحر من مدافع وغيرها، ولا يبقى كلام لأحد في ذلك ولا في تلك الأراضي، والتمن الذي يعطيه المخزن في ذلك للكبانية المذكورة قدره خمسون ألف ابره نصفها معجلا عند عقد هذه الشروط، والنصف الآخر مؤجلا عند حيازة المخزن للمحل المذكور من الكبانية المذكورة .

(الشرط الرابع) مخزن المغرب إذا حاز المحل المذكور من الكبانية المذكورة بالشراء يبقيه مفتوحا للبيع والشراء والمخزن لا يبني فيه من بيت ماله دورا ولا خزائن للتجار لسكناهم ولوضع سلعهم، ولا يجعل فيه فلائك للوسق والوضع إلا

إذا اقتضى نظره الشريف جعل ذلك وقت ما شاء، وتكون أعشار السلع الداخلة له والخارجة منه مثل أعشارها بمراسي الكوشطة.

(الشرط الخامس) من أراد من التجار الإتيان بسلعته للمحل المذكور وأتي بكتاب من باشدور جنسه يعطيه المخزن طرفا من الأرض بذلك المحل بالكراء عن مدة من عشرين عاما وحيث تنصرم يصير للمخزن».

وكتب وزير الخارجية قبل ذلك لباشدور النجليز بما لفظه:

«الحمد لله: لمحل العاقل الناصح الساعي في الخير بين الدولتين المحبتين منيسطر دولة (كرت ابريطن وانبريز) الهند الفخيمة الكبليز فلان، بعد مزيد السلام فقد انهينا لحضرة سيدنا العالية بالله ما تطلبه الكبانية الإنجليزية من أداء خمسين ألف ابرة في الخسارة الواقعة لها في تعاطيها التجارة بالطرفايا بسبب تعرض ولاية المخزن لها في تجارتها، ووقوع التعطيل لها فأمرتني الحضرة الشريفة أن نجيبك بأنها قبلت أداء الخمسين ألف ابرة المذكورة للكبانية من قبل ذلك مقسطة على خمس سنين، بحيث تدفع للكبانية خمس العدد المذكور كل سنة وهو عشرة آلاف ابرة وتبقى قصبة نزول الكبانية بالطرفايا موقوفة كما كانت قبل وختم في ١٠ رجب عام ١٣٠٨ محمد بن محمد غريط لطف الله به.

ثم كتب تحت الشروط المذكورة يطلب من الباشدور المذكور ما لفظه:

«وبعد فقد أطلعت الشريف علم مولانا نصره الله بالشروط الخمسة المرقومة أعلاه الواقع الاتفاق بيننا وبينك عليها في شأن حضرته الشريفة زينة المحل المذكور أعلاه، فسلمها أيده الله وأمضاها كما سلم أيضا شراء تلك الزينة لحضرته العالية بالله من الكبانية المذكورة أعلاه، بالخمسين ألف ابرة نصفها معجلا ونصفها عند حيازة المخزن للمحل المذكور، وذلك بعد مضي ستة أشهر أولها شهر شوال

وآخرها شهر ربيع الأول الآتيان، وأمرني نصره الله بالكتابة لك بهذا وبأن المخزن له أن يوجه للمحل المذكور من الآن قبل أن يحوزه أناسا من قبله وحيث يريد توجيههم يعلمك لتمكنهم من كتابك لمن هناك من النجليزيين بقبولهم وختم في ١٦ من رمضان عام ١٣١٢».

وكان ذهاب هذا الوفد المذكورة أفراده في البابور المسمى بـ «التريكي» الذي كان اشتراه السلطان مولاي عبد العزيز ونفذت للوفد الكساوي بالصويرة.

وكان وصولهم لطرفاية زوال يوم ١٠ محرم فاتح ١٣١٣ فوجدوا الباخرة الإنجليزية في انتظارهم حاملة سائر ما كان لهم من القوة بتلك المرسى، وبمجرد ما أرسى البابور في المرسى جاءتهم الساندة حاملة كبراء تلك المرسى الذين بيدهم الحل والربط من الدولة الإنجليزية فيما يرجع لذلك ثم توجهوا بالمكلفين الذين جاءوا من قبل السلطان للمرسى المذكورة بقصد تسليم البناء المحدث جميعه ودفع مفاتيحه، ولم يتركوا لهم من الشئون الحربية عدا المدافع والبارود والقرطوس ومركبا دقاوء، أي كبيرا وبعض المؤن وسافروا حيناً لبلادهم.

وبقي الوفد المخزني بتلك المرسى ومكثوا هنالك نحو السنة وكانت المثونة تأتيهم من الصويرة على رأس كل ثلاثة أشهر.

ولما استقر بهم النوى وجه لهم الشيخ ماء العينين ولده أبا عبد الله السيادة وهو أكبر أولاده إذ ذاك وفي معيته صهره على ابنته الشيخ الأمجد وحفيده السيد المحفوظ في لفيف من الأتباع يهنيهم بسلامة القدوم ويستقدمهم عليه ووجه إبلات تحملهم إليه.

وكان وصول هذا الوفد إليهم صبيحة الاثنين ٢٢ محرم وأقام مع الوفد السلطاني أياما خمسة ثم لبوا دعوته، وكان نهوضهم يوم السبت ٢٧ محرم، ووصلوا لحيام الشيخ المذكور يوم الجمعة ثالث صفر وكانت المسافة التي قطعوها في

الوصول إليه ستة أيام كاملة، ومحل نزوله يسمى ذي النبط من ناحية الساقية الحمراء، فأكرم وفادتهم ونحر لهم ناقة هائلة على عادة الكرام، وكان جل ما يقدمه إليهم من الطعام النوع المعروف بالشعرية، وحضروا صلاة العصر مع الشيخ، ولما فرغوا من الصلاة قام بعض تلامذة الشيخ وهو العلامة الأديب السيد إبراهيم بن محمد البواري حول زرب المسجد وأنشد:

أهلا بهم من خمسة أعلام	بل خمسة كقواعد الإسلام
رسل الأمير ابن الأمير إمامنا	عبد العزيز ابن العزيز الإمام
من خصه المولى بأعلى رتبة	تلك الخلافة رحمة الأنام
لازال مخصوصا بكل فضيلة	إذ خصنا بأئمة الأقسام
هم خنصر مع بنصر وسطاهم	سبابة كبراهم الإبهام
يده إلينا مدها مبسوطة	بمواهب مشكورة الإنعام
لا تنس أن تذكرهم وسراتهم	أعني ثلاثة سادة خدام
ولأنتم من عند شيخ فاضل	ماء العيون المصطفى بمقام
ساقى الورى ساقية الحمرا متى	عز الورى أسقاء ضيف ظام

وكانت مبارحتهم لمحل الشيخ يوم الثلاثاء سابع عشر الشهر المذكور على غير الطريق الذي ذهبوا عليها، حيث إن الشيخ أخبرهم أنه مأذون من قبل الأمير بذلك والبلاد كلها رمال تجد اليوم جبالا منها فإذا هبت الريح نسفتها نسفا ونقلتها لموضع آخر.

وطرفاية هذه هي آخر حجرة المغرب، وسميت طرفاية بذلك لوجود أشجار ثلاثة من الطرفاء بها وهي بلسان الروم (دكاب جوبي) عرضها ٢٨ وطولها ١٢

ودقائق ٥٢ على ما حرره رئيس تلك المرسى، وطرفاية معتدلة في سائر الفصول ومهما بعد الإنسان عنها بنحو نصف ساعة يجد حرارة عظيمة.

أخبرني صاحبنا ابن رحال أنه كان مسافرا في بعض الأيام وهو راكب جملا فصارت تنزل عليه نقط في غاية الحر فإذا هي دموع الإبل تحملها الرياح وتلقيها عليهم.

وليس بها ماء عداً بئر ملح تأتي للسقي منه القوافل ليلا وتساfer به لخيامها، أما الوفد السلطاني فإنه كان يأتيه الماء الكافي من الصويرة، وأهل طرفاية يتخذون أحجارا مثل القصع يملأونها من ذلك الماء الملح فوق آنية أخرى فينزل الماء من تلك الأحجار للآنية فيستحيل عذبا.

وكان في نية السلطان أن تبقي تلك المرسى مفتوحة يعمرها التجار وغيرهم وفق ما قترح الإنجليز، ولذلك وجه النجار والبناء والمهندس ولكن أمر ذلك لم يتم.

ثورة الرحمانية بزعامة مبارك ابن سليمان:

وفي أواخر ربيع الأول من السنة المذكورة، نهض من فاس لتمهيد نواحي مراكش الذي أضرم نيرانها فساد تلك القبائل على ما يأتي بيانه، ورتب قواد قبائل الحوز بعد أن نظم جيشا عرمرما رأس عليه الشريف سيدي محمد الأمراني المترجم فيما يأتي بحول الله، ومعه عمال دكالة وباقي عمال الحوز، وخيموا على الرحامنة وندبهم للصلح وحذروهم وأنذروهم عقوبة المخزن واشتداد شوكته وخوفهم سطوته، فلم تنفع تلك المساعي ولم يرفعوا لمقامهم رأسا واستعظموا عصبيتهم وتمادوا على عيثهم وتمردهم، ولما قربت الجنود المولوية من مراكش اختل أمر تلك الجموع الزائغة وانهزمت، وقد كان السلطان حشد الجيوش والقبائل المغربية برابر وأعربا بخيلهم ورجلهم وأصحابهم معه.

ولما خيم على الرحامنة بوادي أم الربيع وأحاطت بهم الجيوش السلطانية المشار لها، بعد أن قسمها سبعة ملاحم، عقد عليها للشرفاء وكبراء الجيش كأعمام والد الجلالة العزيزية المولى الأمين، والمولى عبد القادر، والمولى عبد المالك فأوقعوا بالخارجين وقعة شنيعة وجاسوا خلال ديارهم ولم يسعهم غير الرضوخ للطاعة، والدخول فيما دخلت فيه الجماعة، وأدوا المغارم ذات البال، وأسلموا عددا كثيرا من رؤسائهم أسرى وجه بهم في السلاسل والأغلال للحضرة المكناسية، ورجع عليهم العمال الذين نزعتهم الغوغاء عصبية مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحمانى - وكان عاملا للسلطان مولاي الحسن علي درعة وأعمالها - الذي سعي في الأرض الفساد وخرب مدينة دمنات وغيرها، وشن الغارات على مدينة مراكش وهم غير مرة باقتحامها عنوة، ولولا قيام عاملها القائد (ودة) قيام الأبطال المخلصين ومبالغته في الدفاع عنها جهده وطاقته لخربت وديست سراتها وذوو الحشيات فيها بالأقدام.

وأُتي بركن الفساد الزعيم المذكور من زاوية سيدي علي بن إبراهيم بتادلا وذلك في رمضان عام ١٣١٣ ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف وفي معيته ولده الفاطمي وأخوه سليمان فجعل في قفص من حديد وأُحْدق به مع حزبه وكاهنهم مَهْمَر - بفتح الميم وكسر الهاء مشبعة بعدها ميم مفتوحة فراء ساكنة - الحرس المخزني المسمى بالمسخرين، وبسبب ذلك انطفأت نيران البغي والفساد، وانكسرت شوكة أهل العتو والإلحاد، ووظفت عليهم أموال طائلة وعدد عديد من الخيل والسلاح، ودفعوا ذلك عن يد وهم صاغرون، وكان الرجل منهم يأتي بفرسه ومكحله ويسلم كلا للمكلف بحوزة من قبل المخزن، ويأتي الرجل بنفسه ويسلمها للسجان فيدخله السجن إلى أن ضاق بهم، ففرقوا في سائر السجون المغربية وأكثر ما كانوا بسجن الصويرة.

وقد كتب المترجم نبأ هذا الفتح الباهر لسائر الأمصار والأقطار وكان من



الخليفة مولاي الأمين في قضية غوغاء الرحامنة

جملة من كتب له بذلك ابن عمنا النقيب قبلي مولاي زيدان ودونك لفظ الكتاب بعد الحمدلة والصلاة:

محبتنا الأعز الأرضي نقيب الشرقاء ، مولاي زيدان ، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله ، وبعد : فموجه إعلامكم بأن سيدنا المنصور بالله لما نهض من الرباط ، في عز وظفر وانبساط ، مر بمحلته المنصورة السعيدة في جيوشه وعساكره الموفرة ذات الأعداد العديدة ، على قبيلة الشاوية فوجدهم بفضل الله على غاية من الاستقامة مبتهجين بطلعته السعيدة ومن ببلادهم في عز كامل ، وحفظ شامل ، إلى أن خيم بعين كيسر من بلاد أولاد ابن داود وأقام هنالك مدة في استنشاق أخبار فساد الرحامنة ورئيسهم النحيس بن النجس ، فلم تكن إلا مدة سيرة حتى صار قوادهم القدماء يأتون للحضرة الشريفة ويتلاحق بهم أهل الصلاح الباطني منهم متبرئين من سعيهم في الفساد ومصرحين بأنهم كانوا مجبورين عليه من الفاسد الكبير وشيعته ، ومعلنين بالتوبة والإنابة .

وهنالك كانت الأخبار تتوارد بأن المرجفين لا زالوا يستحيلون قدوم الجناح الشريف للحوز وينكرون ذلك ويحسبون عظيمًا وهو عند الله هين ، ويأثر ذلك نهض أعزه الله في جيوشه السعيدة ونزل بمحلته المنصورة على ضفة وادي أم الربيع ، في زي بديع ، ومكث هنالك أيامًا قلائل وأذن للمحلة في العبور وبقي هو دام علاه في الساقية إلى أن تكامل العبور ، وعبر هو بعدهم في جنده الداخلي وخيم على الضفة الأخرى بتراب الرحامنة ، فغشيه من اليم ما غشيه ، وسقط في يدهم ما كانوا يدبرونه ، ولم يسعهم إلا إعطاء يد الانقياد والقدوم للمحلة السعيدة خاضعين متذللين تائبين مصحوبين بالمشايخ والمتجالات والذبايح والعارات ، ملتزمين بكل ما يؤمرون به ويشترط عليهم ، ولا غرض لهم إلا في الإبقاء على أنفسهم ، فوظف عليهم نصره الله أربعمائة ألف ريال وعشرين ألف

ريال وألفا من الخيل بسروجها وعدتها وألفين من العسكر، فالتزموا ذلك وشرعوا حيناً في الدفع، ولم تكن إلا مدة يسيرة حتى أكملوا الخيل والعسكر وجل المال، ولم يبق منه إلا البعض ولا زالوا يدفعون، وفي أثناء هذه الإقامة أمكن الله من الفاسد الغوات الدمناطي الذي كان حامل راية فساد النحيس بن النجس وأُتي به فطيف به في المحلة السعيدة على حمار وصفد وسجن.

وبعده أُتي بسالم الرحمانى كاتب الفاسد المذكور فألحق بالغوات في السجن، وكانا كالبشيرين بحصول رفيقهما الفاسد الكبير، فلم تكن إلا مدة يسيرة حتى أمكن الله منه كذلك، وأُتي به للمحلة السعيدة مصفدا ذليلاً حقيراً، فعاينه سيدنا المنصور بالله، وجمع عليه كبراء الجيوش والعساكر السعيدة وأعيان الحضرة وقواد القبائل، فعاينوه على هذه الحالة المقررة، ثم أُركب على جمل أعرج وطيف به في المحلة السعيدة عاري الرأس والصفع في قفاه وسخط الله ينزل عليه من كل ناحية حتى كاد أن يموت من العذاب، ثم صفد من يده ورجله وعنقه وسجن في قفص من حديد كالخنزير أو الكلب العقور.

ولا زال أيده الله ينظر في أمره بعد أن جمع القضاة والعلماء على نازلته وحكموا عليه بما حكم به الشرع في المحاربين، وسجلوا الحكم ولم يبق من فضل الله وسعادة مولانا المنصور بالله من يشار إليه بفساد في الحوز أصلاً فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، وحتى رفيقهم دحان الصنهاجي السرغيني الذي كان معهم على الضلال ساقته العناية قبلهم في خفارة ولد سيدي ابن داود تائباً خاضعاً متذللاً، فاقتضت المصلحة تأمينه لظهور أدلة صدق توبته، وولاه سيدنا نصره الله على إخوانه، وهو الآن على غاية من الاستقامة، وأعلمناكم بهذا على سبيل الإجمال والتعجيل، ريثما ترد المكاتب الشريفة بتفصيله لما نعلمه من تشوفكم لأخبار ذلك، ولتسروا بحقيقة الواقع، ولم يبق إن شاء الله

إلا دخول سيدنا أعزه الله لحضرته الشريفة المراكشية رافلا في حلل العز والسعادة والإقبال، بمنة الله الكبير المتعال، وهو المسئول سبحانه أن يحسن في الباقي كالماضي ويجزي الأحوال على ما يراد ويرضى، وعلي المحبة والسلام في ١٨ شعبان الأبرك عام ١٣١٣ أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به.

ثم بعد استئصال شأفه العتاة المفسدين دخل المترجم بالمحلة المظفرة للحضرة المراكشية منتصف العشر الأواخر من رمضان عام ١٣١٣.

ثورة الأعشاش:

ثم في فاتح ربيع الثاني عام أربعة عشر نهض لناحية الشاوية لفرقة الأعشاش منها فنزل بساحتهم إلى أن قضى وطره منهم، وألقي القبض على أركان بغيهم واستصفى أموالهم واستولى على ذخائرهم وحز منهم نحو ثلاثمائة رأس وقبض على خمس عشرة مائة رجل منهم وأودعهم السجون، وبقيت شردمة متحصنة بالكهوف من أولاد محمد فتحا إلى أن هلك أكثرهم جوعا، ثم ارتحلت المحال عنهم فرجع أهل الغرب لبلادهم يرأسهم سيدي محمد الأمراني وأهل الحوز رجعوا في معية المولى الأمين بن عبد الرحمن بن هشام، وصاحب الترجمة إلى مراكش، وكان نزول هذه المحال بالمحل المعروف بصخرة الدجاجة وأودع الثائر الفتان المذكور سجن مصباح، ولم يزل به إلى أن لقي ربه.

قصوره وجناته:

ثم لما خلا الجو للمترجم وطأطأت له الرءوس العتاة وتمهدت له البلاد، واستبعد سراة العباد، وجبيت له الأموال الطائلة وامتنص العمال دام الرعية صرف همته لتشييد القصور وغرس الجنات بفاس ومكناس ومراكش، وأنشأ بمراكش جنانا متسع الأكناف سماه (أجدال) وغرسه بأنواع الأشجار والأزهار، وأنبع له عينا

خاصة به وعمل صهريجا يجتمع فيه الماء للسقي منه ، ولازال قائم العين إلى الحين الحالي ، ومن قصوره المدهشة بمراكش (قصر الباهية) المعد اليوم لسكني المقيم العام بالديار المغربية .

عبقريته السياسية:

وبالجملة فقد كان المترجم في الدهاء آية ، وفي السياسة بحراً ليس له من غاية ، علم الخاص والعام رسوخ قدمه في التثبيت والمهارة في تدبير الشؤون الملوكية ، ولا غرابة في ذلك إذ ليس لغيره من معاصريه ما له من الاطلاع على النواميس الملوكية والخبرة بسرائرها وسرها تغذي بلبان ذلك من ثدي أبويه وجده ، وشب في ذلك وشاب ، وقد ساعده السعد فاشترأت له الأعناق ، وطأطأت له الرؤوس ، وخضع لسطوته المشروف والشريف ، وامتلأت قلوب الحواضر والبوادي مهابة منه ورعيا ، ولم يبق ناه ولا أمر سواه ، واستولى بسبب ذلك على نفيس الذخائر الملوكية ولكنه صانها أي صون .

أمانته : أخبرني صديقنا العدل الرضي السيد العلمي بن أحمد بن رحال وقد كان من جملة خاصة الملازمين لبابه المطلعين على حركاته وسكناته البيئية العالمين بتفاصيل خزائنه وذخائره أن المترجم لما حانت وفاته أمر صاحبه الخصوصي الطالب حمان بن عبد العزيز المكناسي أحد أصحاب الفراش السلطاني ، أن يحمل بعد موته جميع ما بداره من الأموال السلطانية والذخائر الملوكية ويذهب به للقصور الملوكية ، ويحضر معه الوصيف ابن يدر أحد أصحاب الوضوء ، إذ كان هو الوساطة في نقل تلك الأموال والذخائر من القصور السلطانية إلى القصور الوزارية وأن مفاتيح الصناديق الحاوية لتلك الذخائر النفيسة الغالية كان المترجم سلمها للسلطان مولاي عبد العزيز لما أحس بعضال دائه وأيقن بمبارحة دار الفناء .

كما أخبرني بعض العدول بأن الطالب حمان المذكور أطلعته على كناش إحصاء الأموال السلطانية التي كانت مصنونة بدار المترجم وطلعت للدار السلطانية مختوم ذلك الكناش بخط صاحب الترجمة وأن ذلك القدر هو الذي دخل عليه للجناب السلطاني العالي من العمال وغيرهم.

وقد تفرقت تلك الأموال شذر مذر، ولم ينفع حذر من قدر، انتهبها الخائنون وبذروها في شهواتهم وحرّم منها المستحقون، وكان ما كان مما لست أذكره وما مكث السلطان بفاس، حتى أُصيّبت المالية بداء الإفلاس، وقضت الظروف، بالافتراض من الدول للوازم المصروف، وما قدر على الجين، يستوفى ولو بعد حين.

وابن عبد العزيز المذكور هو الذي صار خليفة لحاجب الدولة العززية أبي العباس أحمد الركينة ثم صار في الدولة الحفيظية أمين الصائر على الدار السلطانية بالحضرة المكناسية وأمين مستفادات أسواقها، ثم انفرد بأمانة الصائر فقط أوائل المخزنية الدولة اليوسفية.

ثم إن المترجم لما صفا له الجو وتم له الاستبداد رشح سائر إخوته للوظائف المحزنية الهامة كالحجابة لإدريس، ووزارة الحرب لسعيد، واستأثر بالسلطة الاستبدادية التي كانت عاقبتها خراب بيته وبيوت عائلته والمغرب أجمع.

وفاته: توفي بمراكش سابع عشر المحرم عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، وحضر السلطان فمن دونه جنازته، ودفن داخل قبة ضريح جد العائلة الملوكية المولى علي الشريف حذاء ضريح القاضي عياض رحم الله الجميع ورضي عنهم وعنا بهم آمين.

وقد رمز لتاريخ وفاته الأديب الشهير أبو العباس أحمد بن المواز رئيس
الاستئناف العالي أخيرا بقوله:

قضى ابن موسى وزير الملك أحمد من تبقي مآثره في السنن الزمن
وسط المحرم من عام يؤرخه فالخير زف له من واهب المنن
متخلفه وما وقع فيه:

ولما لبي داعي مولاه أمر السلطان بحيازة جميع متخلفه عقارا وغيره لبيت
مال المسلمين، وقفت على عدة ظهائر سلطانية أُصدرت لأمناء الصائر بكل مدينة
من مدن الإيالة ببيع أصوله، منها ظهيران لأمناء دار عدیل بفاس دونك نص
أولهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

خدامنا الأرضين أمناء الصائر السعيد بدار عدیل المعفيين والجدد والمكلفين
معهم ببيع الأملاك المتخلفة عن كاتبنا الطالب أحمد بن موسى وفقكم الله، وسلام
عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد وصل كتابكم صحبة تقييد بيان أملاك المذكور التي
بخارج المدينة وعلى من وقفت عليه بالسمسرة والثلث الذي وقفت به وصار
بالبال، فنأمركم ببيع جميعها لمن وقفت عليه على الضابط في ذلك بعد حيازة
جميع الثمن ممن نزلت عليه من غير تأخير شيء منه، ومن عجز عن أداء شيء
منها حالا أمضوها لغيره الذي يعجل جميعه، وأشهدوا البيع للمشتريين لها نيابة
عن جنابنا العالي بالله والسلام، في ٧ محرم الحرام فاتح عام ١٣٢٠.

ونص الثاني بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

نأمر خدامنا الأرضين أمناء صائرننا السعيد بدار عدیل أن يمضوا البيع في
أملاك كاتبنا الطالب أحمد بن موسى لمن وقفت عليه في السمسرة بالثلث الذي
بينتم، كما نأمركم أن تشهدوا البيع في كل منها لمشتريه على الوجه الشرعي بعد

حيازتكم ثمنه منه نيابة عن جانبنا العالي بالله والسلام في ١٦ صفر الخير عام ١٣٢٠ هـ.

ومع الأسف فقد مدت في ذلك أيدي الخائنين، وتفرق شَذَر مَذَر، ولم يصل للمخزن من أمتعته المبيعة بأسواق المدن بعد سمسرتها إلا النزر اليسير، كما مدت أيدي النهب والاختلاس في أموال وأمتعة غيره ممن صدر الأمر بحيازة أموالهم لبيت المال كابن العلامة قائد المشور السابق الذكر والفشار، ولم يقع الاقتصار على أخذ أموال من ذكر من المستخدمين وضمها لبيت المال، بل مدت اليد العادية في كل من له أدنى علاقة واتصال بهما من الأقارب والأباعد، وكل من لباشا ذلك الوقت فيه شهوة وغرض بدعوى أن المذكورين أمنا عندهم من أموالهما وامتعتهما فأخفوها، وبسبب ذلك توصل لغصب أموال كثير من الناس، ولم يقدر أحد من المنهوبين على النطق ببنت شفة فيما أصابه خوفا على نفسه من بطش ذلك الباشا المستبد الظلوم.

ولما تفاحش ذلك وبلغ للجلالة العزيزية أمر الأمين السيد الحاج محمد بن عبد السلام المقري الذي هو المصدر الأعظم الآن بالبحث عنه والإعلام بحقيقة الواقع فيه، فأجاب بعد البحث بأن جميع ما بلغ لشريف العلم صحيح، وأن دخوله على تلك الدور يكون أولا من غير الأمناء المكلفين معه ليستبد بما شاء من مال ومتمول، ثم يدخل ثانيا مع الأمناء والعدول أو يوجه من ينوب عنه وأن ضرره قد عم أهل البلد ولم يقدر أحد منهم على رفع الشكاية به للحضرة السلطانية، وأن الفشار له الاطلاع التام على ما كان بدار ابن العلامة وبسؤاله يظهر ما استبد به ذلك المستبد لنفسه وخان فيه السلطان، ثم تبرع المسئول المذكور بطلب إراحة أهل البلد من جورهم وتفاحش ضرره بعزله عنهم حسبما ذلك مبسوط في جوابه بخط يده وهو بتاريخ ١٢ ربيع الثاني عام ١٣١٩.

اختلال الأحوال بعده:

وبموت صاحب الترجمة حدثت حوادث وفظائع يشيب لها الرضيع ووقع الدخيل في الدولة واختل النظام وفسدت الأحوال، وتراكت الأهوال، وتنمرت الذئاب، وفرزنت البيادق، واتسع الخرق على الراقق.

ولما استحكمت الفوضى وأشرفت الأمور على الانحلال وانتشرت الحميات بالإيالة المغربية أي انتشار، وكثر تشكي الدولة الفرنسية من مسألة الحدود الجزائرية، وجدت الدول ذات المصالح بالمغرب السبيل للإلحاح في طلب الإصلاح، واقترحت على الدولة المغربية بفارغ صبر النظام ونصب ميزان العدل وفتح الطرقات بين العواصم لتسهيل المواصلات، وكانت الحكومة بينة العجز عن تنفيذ ذلك كله مع عدم امكان تأجيله لوقت آخر.

فعند ذلك ظهر للسلطان أن دعا لفاس جماعة من أعيان مدن المغرب الكبرى كمكناس ومراكش ورباط الفتح وسلا وطنجة وتطوان فأقاموا بحضرته بفاس كنواب الأمة يترددون كل صباح ومساء على أبواب القصور السلطانية حيث مجلس الوزراء، لأجل المفاوضة في الشؤون الكبرى التي أحاطت بالبلاد، فكانت هذه الجماعة لا يحسن أعضاؤها سؤالاً ولا يفقهون جواباً وإذا استشيروا أجابوا بقولهم الخير فيما اختاره سيدنا السلطان، فكان وجودهم وعدمهم على حد السواء، وقد أنفقت عليهم الخزينة أموالاً طائلة.

بعث السفارات لأوروبا ونتائج ذلك:

ولما وقف تداخل الدول عند هذا الحد، وكانت قضية الاستيلاء على قصور توات قريبة العهد قرر رجال الدولة توجيه سفراء مندوبين لعواصم أوروبا لطلب النصير من الدول العظام مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا عن كيفية بث النظام.



سفارة وزير الحربية سابقا السيد المهدي المنبهي لإنجلترا - الجلوس من اليمين
المنبهي المذكور وعن يمينه قائد بعثة الحراية الإنجليز القائد مكلين الواق من اليمين
مستشار السفارة باشا الرياط الحالي السيد عبد الرحمن بركاش

فانتدب زعيم الدولة إذ ذاك ووزير حريبتها المهدي بن العربي المنبهي للذهاب إلى إنكلترا، وعين خليفة له ومستشارا لديه السيد عبد الرحمن بركاش باشا الرباط الآن، والسيد الزبير سكيرج ترجمانا، والسيد محمد بوسته كاتباً.

ولما وصلت هذه السفارة للوندرة أقامت بها نحو شهر وفي تلك المدة عقدت شروطاً رسمية تحتوي على أربعة فصول:

الأول: بناء القناطر وإصلاح ما تلاشى منها بسائر الإيالة المغربية.

الثاني: تشييد المنارات بالمراسي المغربية لعموم النفع بها.

الثالث: تسريح وسق الحبوب بحراً من مرسى إلى مرسى.

الرابع: وسق البطاطا والخضر بأسرها من مرسى طنجة إلى مراسي الأجانب من حيث هي.

وهذه هي الشروط الرسمية، وهناك شروط ومعااهدات سرية التزم رئيس السفارة للدولة البريطانية بالوفاء بها على ما قيل.

وانتدب السيد عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية سفيراً لفرنسا وروسيا وألمانيا وبمعيته أبو عبد الله محمد فتحا الجباص الوزير الصدر سابقاً، والأمين بناصر غنام كاهية النائب السلطاني بطنجة الحاج محمد الطريس التطواني.

ولما اجتمع السفير بأعيان الدولة الفرنسية وعرض رغائب الدولة المغربية أُجيب عن ذلك بما حقق لديه أن ما ألصقه بعض الدول بجانبها وقرره في شأنها محض افتراء وزور، وأنه لا داعي إليه سوى إرادة إيقاد نار الفتن بين الدولتين وتحقيق لديه أنه لا تعلق لقضية قصور توات بالسياسة الفرنسية وإنما سبب الاستيلاء عليها ما عولوا عليه من اتصال قطر الإيالة الجزائرية بوطن السودان بالسكك الحديدية، وبعد استيفاء الغرض المقصود من الدولة الفرنسية توجهت السفارة للدولتين المذكورتين.

ثم بعد قضاء الوطر وفق المراد انقلب السفراء بما لديهم من المعلومات وقرروا للسلطان ورجال الدولة ما كان من سفارتهم وما رجعوا به من المقاصد المطلوبة.

ثم بإثر ذلك زار إمبراطور ألمانيا (غليوم الثاني) مدينة طنجة فأوفد السلطان لمقابلته وتهنئته نيابة عنه سمو عم والده مولاي عبد المالك بن عبد الرحمن بن هشام وبعض الأعيان فاستاء لذلك الإمبراطور المذكور إذ كان اعتقاده أن السلطان يقابله بنفسه، وذلك ما كانت تقتضيه المجاملات السياسية وتوجيه مصلحة المغرب الوطنية، وكان نزوله بطنجة يوم الجمعة الرابع والعشرين من محرم ١٣٢٣.

كما زار قبله ملك الإنجليز (ادوارد السابع) جبل طارق وذلك بعد زوال يوم الأربعاء تاسع محرم فاتح عام ١٣٢١، فأوفد السلطان لمقابلته وتهنئته نيابة عنه باشا فاس القائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي، وكانت مقابلة النائب الريفي الملك في عشية اليوم نفسه بدار حاكم مدينة جبل طارق، حيث كان نزول الملك.

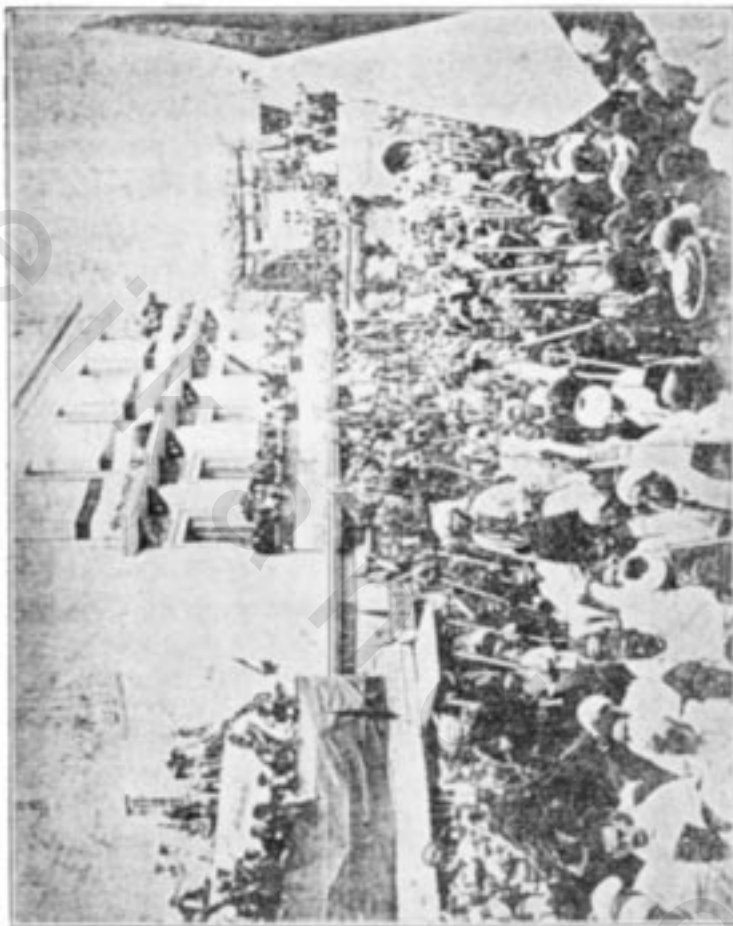
ومن نتائج سفارة ابن سليمان لفرنسا تعديل مسألة الحدود الجزائرية المغربية، وكان الذي رشح للوقوف على تصفيتها الجباص المذكور بصفة كونه رئيسا والسيد أحمد السعيد باشا مكناس الحالي معينا أول والسيد محمد نجل الجباص المذكور معينا ثانيا، والسيد محمد بن عبد الواحد المندوب المخزني بوجدة وباشا الدار البيضاء سابقا كاتباً أول والفقير السيد محمد الهواري قاضي طنجة والعضو الأول بالاستئناف الأعلى سابقا كاتباً ثانيا، والسيد لزبير سكيرج مهندسا واستمر مكثهم في هذه المأمورية من آخر سنة ١٣١٨ إلى آخر سنة ١٣٢١.

وفي الوقت نفسه تخلت الحكومة المغربية عن القبائل الثلاثة: أولاد جرير، وذوي منيع، والقنادسة لعمالة الجزائر لما كانوا يحدثونه ويتسببون فيه من القلاقل والمشاكل مع الرعايا الجزائريين.



استقبال الإمبراطور غليوم الثانى بطنجة

(١) الخليفة السلطان مولاي عبد المالك بن عبد الرحمن، (٢) السيد أحمد بن المواز خليفة الوزير الصدر، (٣) مولاي إدريس البوكيلي خليفة وزير الخارجية، (٤) باشا طنجة حمزة بن هيمة الأسفي، (٥) السيد عبد الله بن سعيد السلوي، (٦) السيد الحاج أحمد الطريس خليفته النائب بطنجة، (٧) الباشا عبد الكريم الشركي، (٨) سيدي العربي الناصري، (٩) السيد الطالب معين، (١٠) سيدي محمد القادري، (١١) السيد أحمد جفالف، (١٢) الحاج عبد السلام بن عبد الصادق، (١٣) السيد محمد غنام، (١٤) السيد اللبادي، (١٥) السيد العربي ملين، (١٦) السيد المهدي التازي ووراءه مولاي أحمد الصابونجي أعضاء دار النيابة وأمناء الديوانه وعدولها.



زيارة الإمبراطور غليوم الثاني لطنجة



الفتان أبو حمارة الجيلاني الزرهوني

ثم بإثر هذا وقع اتفاق الوزراء على أنه لا يختص واحد منهم بإبرام شيء أو نقضه من كل ما يتعلق بالأمور السياسية والأحكام المخزنية إلا بعد اجتماعهم على ذلك واتفاقهم عليه، وكل من وقع منه استبداد بنقض أو إبرام تجري عليه العقوبة الصارمة ويطرد من البساط الملوكي، وتعاهدوا على ذلك وتحالفوا، وكل من تولى أمر شيء يحلف يمينا مغلظة بالمصحف الكريم أنه لا يخون فيما أسند إليه، ومن كان متوليا كذلك يحلف هذه اليمين حتى حلف سائر الموظفين.

كما اتفق رأيهم على إنشاء الترتيب الجاري به العمل الآن فلم يتم أمر ذلك، إذ لم يكن وقع عليه اتفاق جميع الدول الأجنبية.

وظهر في قبيلة بني مسارة اختلال وانحراف عن الطاعة، وكذلك قبيلة بني عروس وغيرهما من القبائل الجبلية التي أفضى بها الحال والاشتغال بالمحال إلى أخذ صبي وصبية من أبناء الإشبان بنواحي أصيلا على وجه التعدي، فجهز السلطان جيشا لإرغامهم على الرجوع إلى الطاعة، ورأس عليه الشريف المولى عبد السلام الأمراني وعززه بالآغا^(١) الحاج علي السوسي بمن معه من العساكر، وما بلغوا أمنيته من الانتقام من جميعهم حتى طلع طالع نحس الفتان أبي حمارة بتازا.

ثورة أبي حمارة:

ومن الأحداث العظيمة بعد وفاة المترجم الوزير أحمد بن موسى حادثة قيام الجيلاني الزرهوني المدعو أبا حمارة التي كانت أعظم حادث وأقوى سبب في فاس الدولة ووهن قوتها المادية والأدبية بل فشل ووهن المغرب كله.

أصل هذا الفتان المارق من مدشر أولاد يوسف أحد المداشر الشهيرة بجبل زَرْهُون، قدم في أول أمره فاسا وانتظم في سلك أعوان القائد عبد الكريم ولد أب

(١) الآغا: كلمة تركية الأصل، تعنى: الأخ الأكبر، وفي اللغة التركية العثمانية تعنى: سيد

ورئيس وقد منح هذا اللقب لكثير من الموظفين وبخاصة العسكريين.

محمد الشكري، ثم انتقل للخدمة مع الخليفة السلطاني بفاس رفيقنا في الطلب أبي حفص عمر بن السلطان مولانا الحسن، وكان أيا خدمته مع الخليفة المذكور يرافق السيد المهدي بن العربي المنبهي.

ولما تولى المنبهي المذكور الخدمة مع صاحب الترجمة لم يزل يتقرب إليه حتى صار من أخص الناس به وأقرب أعوانه إليه لنباهته وحزمه وشدة ملازمته حتى حصل بعد وفاة المترجم على رتبة الوزارة، جاء الفتان المذكور إلى المنبهي زمن وزارته يمت إليه بسابقة التعرف والصحة فلم يصادف منه قبولا حسنا، فأقسم إذ ذاك الجيلاني الثائر يمينا ليرجعن أميرا، حيث صار رفيقه المنبهي وزيرا.

وخرج من حينه يجوب البلاد في صفة ناسك متقشف يدعو إلى الله ودخل الجزائر وجاب أكنافها وأكثر التردد بين وهران ومعسكر ولقي أبا محمد عبد القادر ابن عدة أحد شيوخ الطريق ثمة، وذلك بمدينة غيلزان قرب مستغانم، ولازمه مدة فبث له هذا الشيخ من التعاليم ما صيره متأهلا لإيقاد نيران الفتن بالأرض المغربية وذلك عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف.

وفي عام عشرين دخل وجدة على الصفة المذكورة، وتردد بين قبائل آنكاد وقرر لمن اتبعه ودخل في شبكة تدجيله مقاصده، ثم حل بغير طنجة متخذاً حلية المتصوفة شعارا، والتصنيع بزيتهم دثارا، فتظاهر بين بعض بسطاء العقول بالنسك والخشوع، وربما قطع أمامهم ليله بالسجود والركوع، ومتى قام للرقص معهم اعتراه ذبول وتوله، واصفرار وتدله، وأسمعهم من رقيق الأزجال، ما يطرب سامعه في الحال، وربما نطق بعبارات، كأنه من ذوي الإشارات.

ولما عزم على مبارحة طنجة راود من كان يجالس فيها من الخياطين على مصاحبته، ليكون من أعوانه وبطانته، فلم ينخدع الخياط لدعوته، ولم يتابعه في غوايته، فغادرها إلى الموضع الذي اختاره لنشر دعوته، وأظهر التأفف من الحكومة

المخزنية، وأنها ذات خضوع للتمدن الأوربي، واختلق أشياء من هذا القبيل توجب النفرة من الحكومة ورؤسائها فوجد من أولئك الرعاع الساذج أذانا صاغية وقلوبا قابلة لما يبذر فيها من البغض والعداوة للسلطان ورجال دولته.

وفي عام واحد وعشرين دخل مدينة فاس يتجسس الأخبار ويتطلع على الأحوال، ولقي بعض من له به معرفة وصداقة فعرفه بأن الملاء يأترون به وأن في ظهوره بالمدينة خطراً، فخرج لقبيلة الحياينة حاملاً على أتان كتباً وأوراقاً متلاشية، فصادف بالقبيلة المذكورة موسم أبي عبد الله محمد - فتحا - ابن الحسن الجاناتي معموراً بجموع أعيان القبائل الزناتية من غياثة والتسول والبرانيس وغيرهم، فأخذ ينشر بينهم معائب الدولة ورؤسائها ويوجب لهم الخروج عليها، ورفض طاعة المخزن والسلطان ويرمي الجميع بالعار والشنار ويلصق بهم ما هم برآء منه.

فوجد من بسطائهم من اتبعه ونقل أقواله الكاذبة، ونشرها في الآفاق الشاسعة، فصادفت قلوباً خاوية، فتمكنت فيها العداوة والبغضاء للمخزن ورجاله وأصبحوا يسعون جهدهم وطاقتهم في الانتقام من السلطان وأرباب دولته، ويرون أن الخروج عليه وخلع ربة طاعته من أعناقهم قرينة وطاعة لله تعالى وخدمة للدين والوطن، ثم بعد الموسم انتقل لجبل غياثة ونزل على أهل الطاهر منهم.

وكان لهذا المعتدي الأثيم معرفة بفنون من السحر أضل بها كثيراً من الغوغاء، وصار يدعي أنه هو المولى محمد نجل السلطان المقدس مولانا الحسن وصنو السلطان المولى عبد العزيز، وأنه إنما يتستر باسم غيره خوفاً على نفسه ممن استولى على ملك والده واستبد به واستبعد الرعية التي أمر الله السلطان بحمايتها ورعايتها والذب عنها والسعي وراء مصالحها، واشتغل ببيع دينه بدنياه، ومال كل الميل لشهواته ولذاته وتتبع أغراضه الشخصية، وفتح باب كنز زوره وبهتانه، وزعم

أن قسطاس العدل لا يقوم إلا على يده، وأنه قام يطلب ملك أبيه إذ هو أحق به من غيره.

وبذلك ازداد مكانة في قلوب الرعاع والذين لا يعلمون، وقوي استيلاؤه على بعض سخفة العقول ومن في قلبه مرض من طاعة المخزن، فالتفت عليه أولاً سفهاء تلك القبيلة وبايعوه على نصره الدين، ولما فشا أمره أهده بعض أشرف تلك القبائل فرسا من عتاق الخيل وخباء وصار يكثُر في كل مجتمع الثناء عليه فاعتز الأعيان بذلك، وتهافتوا عليه، وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه.

ولما رأى الزنيم إقبال الناس عليه وحصولهم في شبكة تدجيله وشعوذته وتيقن أن أفئدتهم هواء، أخذ عليهم المواثيق والعهود على تعزيزه ونصره وحمايته من كل من يرومه بسوء، فحالفوه على أن لا يخالفوه وأن يضحوا أنفسهم وأموالهم وأولادهم دونه شأن ضعفاء الأحلام سخفة العقول المتمسكين بأذيال كل دجال أفاك.

ولما حصل على ضالته المنشودة من الاستيلاء على عقولهم وتيقن بصلاح ما بذر في قلوب أولئك الأغبياء الأغمار من التمرد عن طاعة المخزن والعداوة والبغضاء له ولسائر أتباعه والمنتمين إليه، وكان من جملة من ركن إليه وقام بدعوته وتسبق إلى الإعلان بنصرته قبيلة غياثة، ولما تمت له البيعة بها تهافت عليه زعماء تلك النواحي من التسول والبرانيس وصنهاجة ومن جاورهم، فطير الإعلام بذلك عاملها وهو إذ ذاك الحاج عبد السلام الزماري للحضرة السلطانية، وطلب إمداده بقوة عسكرية يبادره بها قبل اضطرام نار فتنته وتفاحش ضرره، فقبل طلبه بالفرض ولم يرفع لمقاله رأس، وأهمل الشائر حتى استفحل أمره ونسلت إليه سماسرة الفتى والمتمردون من كل حذب وصوب.



مولاي الكبير نجل السلطان مولانا الحسن رحمه الله

فعند ذلك جهز له السلطان جيشا عرمرما يرأسه صنوه مولاي الكبير ووجه له به، فنزلت المحلة بإزاء عين القدح من بلاد الهبارجة، وما استقر بهم الثوى حتى هجمت عليهم محال الزنيم الفتان صبيحة يوم الثلاثاء وكان من دعائه في سائر حروبه استقبال المحلة التي يروم قتالها يوم الاثنين وابتدأها بالقتال يوم الثلاثاء، كذا أخبرني من حضر جميع معاركه فانهزمت جيوشه أمام الجنود المخزنية هزيمة شنيعة، وأسر منه خمسة أنفار وقطعت سبعة رؤوس ووجه بالكل للحضرة السلطانية بفاس.

ولما اتصل الخبر بذلك لفاس فرح الناس واستبشروا، وظنوا أن الأمر قد تم، فأصدرت الأوامر لمولاي عبد السلام الأمراني الذي كان نازلا بجيش كثيف ببني مسارة بالإتيان بما معه من الجيوش والتخيم بها مع مولاي الكبير المذكور باوطى بوعبان ونهض السلطان لمراكش.

ثم في يوم السبت من رمضان ساقطت المحلة لهم مقتفية إثر الفتان بجبل غياثة من ناحية قصبة بني مطير فانهزمت المحال المخزنية هزيمة لم تعهد قبل، ولما علم السلطان بذلك رجع من وجهته ودخل فاسا وعقد لسيدي محمد الأمراني على جيش جرار من العساكر الأبطال، وأمره باللحوق بالمحلة التي هزمت، ثم عقد لعامله عيسى بن عمر العبدى على جيش من المحال الحوزية له بال وألحقه بهم أيضا، ولما لحقت المحلتان الأخيرتان بالمحلة الأولى اتفق رأيهم على النهوض من أوطى بوعبان والتخيم على قبيلة التسول، حيث لم يتمحض للمحال المخزنية منهم صداقة ولا عداوة قالوا: إذا نزلنا عليهم نقدمهم أمامنا لقتال الفتان، وبذلك يظهر ما تكن صدورهم فإن قاتلوه ضممناهم إلينا، وإلا ابتدأناهم بالقتال، فنهضوا ونزلوا بمحل يسمى قعدة الأرنيب علي رأس وادي اللبن، وكان ذلك يوم الأربعاء، ثم وجهوا للتسول يأتون إليهم مرارا فلم تقع منهم إجابة، فعند ذلك

صممت المحال المخزنية على محاربتهم، ونهضت إليهم يوم السبت، وكانت الحرب بينهم سجالا في ذلك اليوم ثم رجعت المحال لمحل نزولها.

وفي عشية يوم الأحد ورد الفتان علي التسول وقابل الجند المخزني، ثم أصدر أوامره لقبية الحايينة بمناوشتها القتال مع المحال السلطانية، فإذا ساقا إليه يأتون هم من خلفهم ويحولون بينها وبين الأخبية والأمتعة فيهجم عليهم هو وجنوده، فإذا انهزموا يجدون الحايينة من خلفهم فلا يجدون خلاصا، وإذا كان العكس وتقدموا يقع الطعن والضرب فيهم من ورائهم فيفشلوا وتذهب ريحهم على كلا الأمرين.

وفي يوم الاثنين مر المارق الفتان أمام المحال المخزنية كالمتفرج تقاد خلفه تسعة من عتاق الخيل مسرجة فرمته المحال المخزنية ببعض قنابلها فلم يلتفت لذلك.

وفي يوم الثلاثاء بدأت المناوشة بين الجيشين مع الزوال، ثم اشتبك القتال وارتبك ودام إلى غروب الشمس، وكانت الكرة على المحال المخزنية وتشتت شذر مذر، ودخلت فاسا مهزومة شر هزيمة، جلها حفاة عراة، واستولى الثائر على الأسلحة و الخيام والمئونة والدواب، وكان هذا الحادث المحزن في رمضان، ولما دخلوا فاسا على الضفة المذكورة عظم المصاب ووقع أهل الديوان الملوكي في حيص بيص، ثم جهزوا محلة أخرى وأمروها بالتخيم بالمحل المعروف بالمطافي قرب وادي سبو، من قبيلة أولاد جامع، وخيمت أحزاب الفتان على ضفة وادي ايناون بثلاثاء النخيلة، وفي يوم الخميس ساقا إليه المحال المخزنية فانكسرت جموعه وترك جل ما كان أخذ من الحال المخزنية في الهزيمة قبل، وفر نحو عين مديونة، وهجم على المحلة المخزنية التي كانت منتظمة من الشراردة وشراكة فأوقعت به فهرب وترك موتى أحزابه صرعى فريسة للذئاب والغربان

ومن الغد اقتفت المحال أثره بعين مديونة فمزقت جموعه الباغية كل ممزق، وبعد ثلاثة أيام أعادت المحلة السلطانية السوق لهوارة الحجر فأوقعت بهم وأزاحتهم أليم النكال والنكاد.

ثم بعد هذا حشد وزير الحربية المهدي المنبهي جنوداً جرارة تنتظم من القبائ المغربية من أقصى بلاد السوس وتافيلات إلي حضرة فاس وترأسها هو ورئيس المشور القائد إدريس بن يعيش، وتوجها بها لمدينة تازا التي اتخذها الفتان محل كرسي إمارته، وخطب به علي منابرهما باسم مولاي محمد الحسن، ولما خيمنت تلك الجنود المجندة التي تربو علي السبعين ألف مقاتل بوادي الحضر هجمت عليها التسول والبرانيس شيعة الفتان ليلا فردتهم المحال الخزنية ناكسين علي الأعقاب، ولما أصبح الصباح اقتفت آثارهم وأخذت منهم المساجين وطردهم طرد الرعاء للذئاب.

ودخل الجنود المخزنية مدينة تازا عنوة وفعلت بالمستضعفين من أهل البلد الأفعال التي تخجل منها المروءة ولا ترضاهم الإنسانية، فقد افتضت الأبكار. وهدمت الديار، وذلك في شهر صفر الخير سنة ١٣٢١.

وكان دخول المنبهي المذكور بجنودة تازا بمساعدة الشيخ أبي هاشم المدني الوركيني السملالي الحسني المعتمد عند أولئك القبائل النافذ الكلمة فيها ولكنه لم يتخذ الاحتياطات اللازمة للخروج بعد الدخول، وفاته أن يسلك مع المستضعفين من أهل تازا مسلك الدين والمجاملة فكان ما سيمر بك بعضه.

ثم بعد دخول تازا رجع المنبهي الذي كان يرأس هذه المحال مع ابن يعيش لفاس والفتان إذ ذاك بوجوده كان قد احتلها بدون قتال في ربيع النبوي عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف حيث إن عاملها كان ملتجئاً بمغنية.

وذلك أنه لما ظهر أمر أبي حصيرة عبد القادر العتيكي اليزناسني الذي ثار بالمقام - محل بالظهراء - وزعم أنه الولي عبد العزيز السلطان هرب من لوندرة

وحج وجاء يعين أخاه مولاي محمد (أبا حمارة) عقد السلطان المذكور لعمه مولاي عرفة علي شردمة وأعطاه مالا ووجهه لتجهيز جيش من العرب وبربر بني يزنانس محافظة علي وجدة من أبي حصيرة المذكور.

ولما اجتمع الجيش توجه عامل وجدة أحمد بن كروم المكناسي الجبوري به إلى برديل قرب دار البشير ومسعود، وبمجرد ما أقبل عليه أبو حصيرة انهزم ورجع إلى وجدة فحمل منها ما يعز عليه والتجأ إلى مغنية هو ومولاي عرفة فاقبل أبو حمارة من الريف بعد طرده لسيدي محمد الأمراني من جنادة وسلوان واحتل وجدة وبويع له بها وخطب به على منابرهما باسم مولاي محمد وهياً بها لوازم الإمارة من صيوان ومظلة وأتباع وأرباب الخدمات الخصوصية، وبينما هو يهيئ هذه التراتيب إذ بلغه خبر دخول عسكر المخزن مدينة تازا فسقط في يده.

وبينما هو يهيئ أسباب الانقلاب إلى المغرب اذ وصلت لحدود وجدة من طريق الجزائر هيئة من حكومة المخزن مؤلفة من الحاجب أحمد الركينة بصفة كونه رئيسا علي تلك المحال المخزنية والقائد عبد الرحمن بن عبد الصادق الريفي بصفة كونه معينا ومستشارا، فنزلوا بمغنية وجعلوا يخابرون رؤساء القبائل وأعيانها ويحبذون إليهم الرجوع عن غيهم، وبسب ما نثروه من الدرهم والدينار أمكنهم استجلاب رؤساء قبائل آنكاد وترجييعهم لطاعة السلطان والبراءة من الدعي الثائر واسترجعوا مدينة وجدة وطرّدوا عنها حمية الثائر وجعلوها مركز أعمالهم.

ثم إن ابن عبد الله الصادق المذكور دس للركينة عند السلطان ما أوجب عزله عن رئاسة الحال واسترجاعه لفاس وإسناد الأمر في ذلك للداس.

ولما بقي الثائر مع من بقي معضدا له من اللقطاء السقطاء بين نارين أكد العزم إلى الجهة الغربية وقصد تازا، فبينما هو في الطريق إذ وافاه الطيب بن أبي عمامة في جماعة من ذويه وفي معيته عبد المالك بن عبد القادر بن محيي الدين

الذي جاء لتلك النواحي من فجيج يقصد ترويض النفس والسياحة ونزل على أبي عمامة .

فلما ظهر هذا التأثير اشتاقت نفسه أن يطلع على كهنه على عادة رجال الحرب فتقوي بهم ونزل ماوية ولما قرب من قصبة مسون من أرض هوارا لقيته مقدمة جيش تازا التي كان يرأسها القائد المدني ابن محمد الأجلوي، وكان قد أنزل بالقصبة المذكورة حامية من الجيش تحت رياسة القائد عبد الملك المتوكي فوقع بين الفريقين معارك أصيب فيها الزنيم برصاصة أعجزته عن القيام والعود ففرَّ به أنصاره جريحا لقبيلة البرانيس، وعسكروا بوادي الأربعاء من بني فراسن من التسول في أوعار وحصن حصين، ودام القتال بين أشياعه والمحلة المخزنية بتازا وانقطع خط الرجعة بين من بتازا وأوطى بو عبان إلى أن دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف واندمل جرح المارق الفتان ودخل تازا من غير مقاوم ولا معارض .

ثم إنه لما كان خرج الفتان من وجدة عمرها الجيش السلطاني الذي كان بمغنية مع فرقة عسكرية وجهت مددا من فاس على طريق طنجة ومنها نزلت بالغزوات ثم سعيدة عجرد ثم وجدة من غير قتال أيضا وذلك في ربيع الثاني عام ١٣٢١ واحد وعشرين .

ولما ضاق المتسع بمن بتازا من الجنود المخزنية وذاقوا بسبب ذلك من العذاب ألوانا وكابدوا من الأهوال والخصاصة، وعدم القوات ما تحدثت به الركبان، وتيقنوا أن الفئة الباغية أجمعوا أمرهم وصمموا علي الأخذ بثأرهم منهم فيما فعلوه بتازا من الأعمال الوحشية، طيروا الإعلام للسلطان بما وقعوا فيه وطلبوا منه أن يمدد يخلصهم من الورطة التي ورتوا أنفسهم فيها، فرأى أنه لا بد له من التوجه لإنقاذهم بنفسه فحشد الجنود من الأغوار والنجود، وأفاض فيها العدة والمال، وعزز تلك الجنود بعساكره الوافرة وسار إلى أن خيم ببلاد الحياينة وهناك انضم إليه الجيش السابق الذي كان بأوطى بو عبان .

ثم نهض إلى قبيلة التسول ففرقت أتباع المتمرد الزنيم فى وعر تلك الجبال ورموا بالقنابل المحرقة وشدّد عليهم فى الحصار، ولكن لم يمكن اجتثاث أصل عيْثهم بالكلية حيث حان إبان^(١) البرد والمطر، ورأى الأمير أن تمادى جيوشه على الحصار فيه أعظم خطر، انقلب إلى فاس وكتب لإيالته بشرح أسباب أوبته. ودونك لفظ ما كتب به بعد الحمدة والصلاة.

وبعد، فقد كان الغرض من نهوض ركبنا الشريف هو القيام بما أوجبه الله من إخماد فتنة المفسدين، وتربية قبيلة التسول وأشكالهم المعتدين، وقد خيّم جيوشنا السعيدة على أوديتهم وهضابهم، وخفقت بنودنا المنصورة على جبالهم وشعابهم، ونحن نحاول استرجاعهم من الغى إلى الرشاد، ونسترعى عليهم قبل أن يعمهم من الهلاك ما لا يمكنهم معه استنجاد، وكررنا عليهم زحف الصوكات من جهات متعددة، وأشهدناهم أثر سطوة الله المتجددة، وضيّقنا عليهم المذاهب، حتى أوهنهم الحصار فى كهوف الشواحق ومغارات المسارب، وفى كل صوكة يقع فيهم عدد من الجرحى والقتلى، وتبلغ فيهم العقوبة مبلغا يزيدهم محنة وهولا ولما كان سبب تماديهم على ما هم فيه من الضيق والمحنة هو استعظامهم لما فرط منهم من الشقاق والفتنة، حتى عدوا ذلك من الذنوب التى لا تسلم من عاقبتها عواقبهم، ولم يعتبروا أن المقصود عندنا هو استرشادهم لما تصلح به أحوالهم، وتطهر به عقائدهم.

ورأينا استمرار الحرب عليهم يفضى بهم إلى عموم الهلاك والتدمير، مع أن المراد هو إنقاذهم من مصارع الضلال بتربية واسترشاد وتحذير، وتحقيقنا ببقاء الفاسد الفتان فى حكم العدم، من الجرح الذى لم يطق معه من تحريك يد ولا قدم.

وحل مع هذا إبان الشتاء الذى أشفقنا منه على المسلمين لاضطرارهم إلى

(١) إبان الشيء: أوانه.

حراثة أقواتهم واقتناء معيشتهم وضرورياتهم، أمرنا محلتنا السعيدة التي كانت مخيمة بتازا للتوجه إلى نواحي وجدة وأنكاد، وتكميل الغرض بها هنالك في حسم مواد، ورددنا وجهتنا السعيدة لمحروسة فاس، مصحوبين بعناية الله التي هي عمدة التدبير وجنة الاحترس. ريثما نجدد تقويم الحركة والاستعداد، ونترقب ما يظهر من أحوال هؤلاء الأوغاد، فإن أراد الله بهم خيرا وتابوا وأنابوا فذاك، وإلا فننهض لهم في الإبان الذي يقتضيه بما لا قبل لهم بحول الله، وأعلمناكم لتعرفوا حقيقة الواقع وتأخذوا حظكم من فرح الأوبة في عناية الله التي ليس لها من دافع، ونسأله سبحانه أن يحاسب اجتهادنا في حياطة دائرة النظام والدين، إنه ولى التدبير والمستعين والمعين، والسلام فى فاتح شعبان عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف.

أما المحال التي كانت بتازا فقد أصدر السلطان أمره إليها بعد رجوعه لفاس بالذهاب لوجدة، وبعد رجوع السلطان لفاس ردت أحزاب الفتان وجهتها للمحال الحالة بوجدة وذلك عام اثنين وعشرين.

ولما وصلها نزل بلاد بنى بوزكو فرقة من زناتة، وبعث إليه رئيسهم حمادة البوزكاوى بالطاعة، فطلب منه مصاهرة على ابنته، فأجابه لذلك واقترح عليه أن يوجه أعيان القواد والوزراء لمصاحبة العروس، فوجه الثائر من أعيان حزبه الخاسر نحو السبعين.

ولما دخلوا دار الرئيس المذكور هش وبش وبالغ فى الإكرام وبسط الموائد وعدد الأطعمة فأكلوا وشربوا وانبسطوا، ثم عرض عليهم دخول الحمام وأنه أحماه وهىأه لهم فتجردوا من سلاحهم ودخلوا الحمام زرافات فاستحال حماما، فكانوا طعمه لحد سيفه، ثم لحق الرئيس حمادة من ليلته فى أهله وأولاده بمدينة وجدة ودخل فى عموم المحلة المخزنية بها.

ثم فارق الطيب البوشيخي أبا حمارة واستأذن معتمد الدولة بوجدة ابن الصادق المذكور فى الحقوق به، فأذن له، وتوجه إليه وفى معيته رفيقه الأمير عبد المالك فى طائفة من فرسانه، وكان منهم فى خدمة السلطان وحاربه طائفة الفتان، ما سارت به الركبان، رغما عن كون أبى عمامة والد الطيب لم يرض عن صنع ولده وظل مواليا للفتان بسائر قبيله وأتباعه فكان عمدته فى حروبه، ومساعدته فيما ظهر بعد ذلك من الخطوب وقسيمه فى ذنوبه، ثم وقع الخلاف والنكران، بين أبى عمامة والفتان، ففارقه أبو عمامة وأبعد النجعة بقومه ونزل بأطرف الظهرة.

هذا ولما اتصل خبر مذبحة دار البوزكاوى بأثائر قصد محل وقوعها وضربه وعاث فيه، ثم نزل على وجدة وشب القتال بينه وبين المحلة التى بها، وكان الحرب سجالا ودام متواصلا بقية السنة وجزءا من سنة ثلاث وعشرين، ثم رجع الثائر لقصبة سلوان وخرجت المحال من وجدة وذهبت للمحل المعروف بالجزيرة قرب مليلة.

ثم رجع ركن الفساد أبو حمارة لبلاد الريف مكسور الجناح، فى عناء وجناح، ثم رجع لنواحي فاس وتازا تارة فى انطفاء واخرى فى انضرام والأموال الباهظة تصرفها الدولة فى سبيله، حتى نضب ما فى خزائن الدولة وفرغت أفئدة بيوت أموالها واضطرت للاستقراض من دول أوروبا بعد ثرواتها الضافية، واقترضت منهم فعلا مرات متعددة والرؤساء النهاب يملئون جيوبهم وأوعيتهم من الآلاف المؤلفة من الدراهم والدنانير إلى زمن الدولة الحفيفية.

ثم أفاق من نومته، وتوهم أنه آن زمان بلوغ أمنيته، فنهض إلى بلاد الحياينة، وصار يشن الغارة المرة بعد الأخرى على القبائل المجاورة لفاس إلى أن بلغ لأولاد الحاج، فنظم السلطان المولى عبد الحفيظ جنودا مجندة من أبطال ذوى حزم وعزم ووجهها إليه، فلما التقى الجمع كان النتيجة بتبديد جموعه



الفتان أبو حمارة الجيلاني الزرهوني في قفصه

والاستيلاء على أمواله وذخائره وغنيمة عياله وعبده ثم القبض عليه و الإتيان به حقيراً مهاناً.

وكان الظفر به بمدشر أولاد كنون من قبيلة بنى مسارة فى زريبة السيد عمران عشية يوم الأحد خامس من شعبان عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف، موافق ثانى عشرى غشت سنة تسع وتسعمائة وألف، ودخل لفاس فى قفص من حديد على جمل ضحى يوم الثلاثاء المتصل الولاء بيوم القبض عليه.

وكان الذى تولى القبض عليه عسكرى من قبيلة الشاوية من طابور بوعودة يسمى العشى، ولما ظفر به نزع له المفاتيح التى كانت بطوقه والخاتم الذى كان بإصبعه ثم تسلط عليه النهاب والأوباش وسلبوه من كل ما يطلق عليه شئ وتركوه مكشوف العورة وأذاقوه أليم النكال، ولولا أن القائد الناجم كفهم عنه لأتلفوا مهجته، هكذا أخبرنى من حضر الواقعة وعاین ما ذكر من الثقات الأثبات.

ولما مثل بين يدى السلطان مولای عبد الحفيظ أظهر من التجلد و الوقاحة ما لا مزيد عليه، ثم بنيت له دكة بمشور باب البوجات، ووضع عليه قفصه وشُهرَ أياماً حتى رآه الحاضر والباد، وأقيمت عليه الفرجات والأفراح فى سائر البلاد، ثم بعد ذلك أدخل للقصور السلطانية بفاس، وكان ذلك آخر العهد به، وبها قتل تنفيذا للحكم الشرعى المتعين فى شأنه الذى كان التخيير فى كفيته للإمام، فأعدم رميا بالرصاص فى أصح الروايات خلافا لما يشيعه بعض ذوى الأغراض من الأوروبيين وغيرهم، من أنه طرح للأسود التى كانت بالقصر السلطانى فمزقت شلوه.

ولما لم يشهر قتله أمام الجمهور صار بعض الحمقى يعتقدون عدم موته، ولاسيما خاصته كصهره محمد بن شلال الريفى القلعى، فإنه كان يجزم بعدم موته ورجوعه يوما ما لسطوته، فحملة اعتقاده الفاسد على منع أخته التى كانت تحت

الثائر المذكور من التزوج بغيره لئلا يرجع ويجدها متزوجة فنعوذ بالله من الجهل والغباوة.

ثورة الريسولى:

ومن ذلك ثورة أبى العباس أحمد الريسولى الذى كان فى أول أمره من اللصوص النهاب قطاع الطريق بالعقبة الحمراء وما والاها.

وقد اتفق أن كان بين النائب السلطانى بطنجة الحاج محمد الطريس التطوانى، وبين عامل طنجة الحاج عبد الرحمن بن عبد الصادق منافسة وشحناء، فوشى الطريس بالعامل المذكور للسلطان زاعما أنه المغرى للريسولى على العيث فى الطرقات وأنه يشاطره جميع ما سلب ونهب، وذلك محض زور وافتراء فأصدر السلطان عند ذلك بالعامل أمرا باتا بالقبض على اللص المذكور وإلا فيكون مسئولا ولما بلغه هذا الكتاب ضاق به المتسع وصار يضرب أخماسا فى أسداس، ولما رأى أن لا ملجأ ولا منجى له إلا بنصب حبال المكر والخديعة، أوعز لبعض الخاصة من أصحاب الريسولى بأنه يريد أن يرشح المذكور شيخا ولكن لابد من أن يدفع عن تسنم ذلك المنصب مبلغا من الدراهم لا يقل عن ثلاثين ألف بسيطة حسنية، فنشط الخدن لتولية صاحبه واستعظم العدة وصار يطلب من العامل الخط من ذلك القدر وهو يشدد ويظهر الإباية من أن يضع ولو شيئا ما، ثم ذهب الصديق لصديقه وأخبره بما راج بينه وبين العامل فى شأنه فارتاح لذلك، وأجاب لأداء العدة المذكورة، وإنما يطلب دفعها مقسطة، ثم تأبط ثلاثة آلاف بسيطة حسنية ليقدمها بين يدى نجواه للعامل، وتوجه مع الوساطة.

فلما أخبر العامل بما ذكر أمر بإنزال الريسولى بمحل معدل الضيوف الأعيان، وكلف من يذهب إليه بالطعام والشراب وأظهر الاعتناء الزائد ودخل هو لداره مع الوساطة.

ثم نادى بعد الأبطال من خاصة أنواعه يسمى عبد السلام الأشخر وقال له :
إنى أريد القبض على الريسولى ، وأنه لا يقوم بهذه المأمورية غيرك ، وإننى لم
أفضى بهذا السر لبشر من خلق الله سواك ، ولا يقبل منك عذر فيه بحال ، فإن
فهت بهذا أو توانيت فيه فإنك تقبض مكانه وتذوق ألم طويل المحن ، فأجاب
الشرطى بالسمع والطاعة ، واختار من أصحابه من يعتمد على إخلاصه وشجاعته
وأفضى إليه بما شافهه به العامل ، وقال له : إننى إذا حضر الطعام وناولته الطست
ومد يده للغسل أسقط عليه وأضمه إلى فإذا رأيتنى فعلت ذلك أدركنى وأعنى فيه
فتوافقا على ذلك .

ولما مد الشرطى يده فى المسجون قال له : إنه مسجون السلطان فمد يده لجنبه
يريد سل سكين كان متأبطا له فنزعه العون الآخر منه وأوثقوا يديه خلف ظهره ،
وذهبوا به للسجن ، وجعلوا عليه السلاسل والأغلال ثم أعلموا العامل بالواقع ،
فارتاح بذلك وسر به ، ثم وجه به سجيناً لثغر الصويرة .

وبعد مدة جاء أقاربه وبنو عمه وتطارحوا على الطريس فى الشفاعة فيه
فأسعف رغبتهم وتشفع فيه للسلطان فسرّح ، ولما رجع لمحلّه ضاق المتسع بالعامل
وشيعته فطلب الانتقال فنقل لعمالة فاس .

وعاث الريسولى وزاد عتوا وفسادا وصار لا يرقب فى إنسان إلا ولا ذمة ،
كم أباد من عائلات وأراق من دماء فى سبيل شهواته وأغراضه الشخصية ! وأوقد
من فتن حبا فى الرياسة حتى أهلك البلاد والعباد وأسر (القرونيل مكليل) الحراب
الشهير فى الدولتين الحسينية والعزيزية ودعا بالملك لنفسه وخطب به على منابر
تازروت وما والاها ، والتفت حوله الصعاليك وسخفاء العقول وسماسرة الفتن
اللذين حبب إليهم تقدير الراحة والسلم العام وصار آونة يجنح للإسبان وأخرى
يكون عليهم ، وقد تفننت الجرائد والمجلات فى نشر تفاصيل أخباره داخل الإيالة
المغربية وخارجها فلا حاجة بنا لجلب ذلك وتتبع وقائعه .

ولم يزل على طيشه وتمرد إلى أن ابتلى بداء الاستقاء واستفحل فيه، وأعياء الأطباء علاجه وصار كالزق يمج منه الماء المنتن مجا حتى كان يضطر إلى تغيير ثيابه وفراصة في اليوم مرات، ولا يمكن تحويله من محل إلى آخر إلا بجعله في إزار يحمل فيه ودام على ذلك ستة عشر شهرا وهو مع ذلك مسموع الكلمة نافذ الأمر صحيح اللسان بذاء، لا يقيم لأحد وزنا.

ثم في أوائل رجب عام ١٣٤٢ أحرق لفيف من الرقيقين أشباه محمد بن عبد الكريم الريفي بداره بتازروت، ودخل عليه قوادهم وأشياخهم بعد أن دام البارود بينهم يوما وليلة، هلك فيه عدد عديد من الأنفس واتخذوا له محملا حملوه فيهم على عواتقهم إلى مرسى وادى (لو) بنى سعيد على حد غمارة وركبوا به البحر وذهبوا به إلى آجدير، ثم أخرجوا عائلته وسائر نسائه من تازروت بكل احترام ووقار ووجهوا بهن لشفشاون.

وفي تاسع رمضان العام لبي داعى مولاه، وبعد ذلك نقلت عائلته من شفشاون إلى (سنادة) وبقيت هنالك إلى أن قامت قيامة ابن عبد الكريم فنقلت لتطوان، ولأذت به إلى الآن ولله في خلقه شؤون.

مقتل الدكتور موشان واحتلال وجدة:

ومن ذلك أيضا ثورة قتل الدكتور موشان الفرنسى بمراكش، وذلك كما قدمنا أن بموت المترجم وتسلم المناصب العليا غير مستحقيها ظهرت الأوباد واختلفت العقائد، وتطلعت رءوس كأنها رءوس الشياطين، وتغير نظام الحكومة بالمرّة، ووقع الانقلاب الفجائى فى هيئتها، ولم يجد السلطان فى دائرته رجلا يعتمد عليه ولا بطلا يكمل الأمر إليه، فجرت الأمور على غير المراد، وإذا أبرمت الأقدار الإلهية أمرا فليس له من راد، وعادت الفتنة الحوزية لشبابها، وكثر القتل والنهب والسلب بالطرقات، وازداد ذلك فشوا ونموا بمبارحة سلطان المولى عبد

العزیز للذیاری المراكشیه ومقامه بالعاصمة الفاسیه وذلك عام تسع عشر وثلاثمائة
وألف ١٣١٩ .

وتعدد رفع الشكايات للحضرة السلطانية بما لحق الناس من الأضرار وتورطوا
فيه من الأخطار، بسبب سلب الأمن وتكاثر العیث فی الطرقات، وقتل القوی
للضعیف، فألقت شکایتهم فی زوايا الإهمال وکتمها أولو الأمر من الذیوان
المخزنی عن السلطان واشتغلوا بلذاتهم وشهواتهم ولم یرفعوا لما یرفع إلیهم ویقرر
لذیهم رأسا، ولا قرأوا لعاقبته الوحیمة حسبانا فكانت نتیجة فراغ الأئدة من
خوف سطوة السلطان وشدید بأسه ومهابة صولته وبطشه وتلاشی نفوذ ولالة أمره
من قواد وعمال وخصوصا بمراكش، وبقی الناس کالفوضى لا سرة لهم .

فاتفق أن ركب الطیب المذكور علم دولته بباب محله بعرضة موسى، وذلك
یوم السبت رابع صفر عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف على ما حقق لی بعض
الأعلام من عدول مراكش، والذي قرأته فی بعض التقایید أن ذلك یوم الثلاثاء
خامس صفر المذكور فی الساعة الواحدة بعد الزوال، وفی الحین تسارع إلیه همج
الرعاع وقتلوه بالضرب والحجارة والعصى وتركوا جثته ملقاة على الأرض بباب
داره، وانتشروا فی أزقة المدينة یسرقون ویخطفون، واغتتم اللصوص النهابون تلك
الفرصة لما علموا من أن من فرص اللص ضجة السوق والمجانین من الأوباش،
وكثیرا ما هم یضحكون ویمرحون، ومن علم أن الفتنة أشد من القتل وتیقن المثال
وذلك أول شر لا ینطفئ وقع فی المغرب بکی واستبکی وتكلم وتألم .

ثم لما اتصل بالعامل هذا الخبر المحزن والحادث الجلل وهو إذ ذاك الحاج عبد
السلام الورزازی قام من حیثه یبکی بكاء الشکلی، ووجه قوة كافیة من أعوانه
لتسکین روعة البلد، وذهب هو بنفسه فی لفیف من أعوانه لمحل القتل، ووقف

عليه حتى جهز ووضع في تابوته وحمل لمضجعه، وحضر في معية العامل المذكور من كان بمراكش من الأوروبيين .

ثم في يوم الجمعة الرابع عشر من صفر المذكور بقى احتلال وجدة من غير مقابلة ولا مشاغبة أخذاً بثأر اقتيل وطلباً للإنصاف من الفعلة والفصال فيما لها من الحقوق والدعاوى غير ما ذكر مما هو مسطور في ظهير سلطاني خوطب به القائد عبد الرحمن بركاش وأعيان الصويرة ودونك لفظه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله ثم الطابع الشريف بداخله عبد العزيز بن الحسن الله وليه وبدائرتة :

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الاسد فى آجامها تجم
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا الله حافظه من كل متتقم

«خدیمنا الأرضی القائد عبد الرحمن بركاش وأعيان أهل الصويرة المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فإن طيبا فرنسويا كان مقيما بمراكش فركب علما بالمحل الذى هو به فتسارع الرعاع إليه وقتلوه، ومن قبله كان جرح فرنسويا آخر ببلاد تكنة، وكذلك فى طنجة كان قتل آخر من كبراء فرنسا، وكذلك بفاس جرح آخر» .

ولما بلغ ذلك الدولة الفرنسية حصل لها انزعاج واغتازت لذلك وها لها ما وقع من هذه الحوادث التى يؤدى إليها طيش الرعاع الذين لا يعرفون مزية الهدنة والسكينة، ولا يتدبرون عواقب النزاع، ولا ينظرون لما نكابه من حسن المهادنة وسياسة الدفاع، مع أن ذلك لا حق له فيه من جهة الشروط، وأن المخزن قادر على رفع ما تشوشوا منه من غير ضرر منهم لصاحبة بطريق الإنصاف، وحملها الغيظ على احتلال عسكرها بوجدة طالبة الإنصاف، وقبض الحق فى هذه القضايا

و الفصل فيما لها من الحقوق و الدعاوى وعلقت خروجها من وجدة على إيقاع الفصل فى ذلك .

إذ حلولها مؤقت لأجل ما تطلبه من المعوضات لأجل ذلك وها نحن جادون فى مباشرة وجوه الفصائل معها بما يقتضيه الحق لها فى ذلك، ومجتهدون فى ارتكاب العلاج المخلص من ذلك، حتى يخرج عسكرها من وجدة بحول الله ولأجل هذا كنا نحذركم ونحذر غيركم من رعبتنا السعيدة ونبالغ فى الاسترعاء والإنذار خشية التورط فى مثل هذا، ونؤكد عليهم فى إعلام جانبنا الشريف بكل ما تشوشوا منه، ورفع أمره إلينا ليتدارك على الوجه الأسلم من غير افتيات ولا مديد فى أحد، وعلى كل حال فلا يأخذكم هول ولا يروعكم تشويش، فإننا بحول الله مهتمون بهذا الأمر، ومبالغون فى معالجة حتى يخرج بسلام، فليسكن جأشكم ويطمئن بالكم، لأننا لا نألو جهدا فى صيانتكم والدفاع عنكم بأموالنا ورجالنا بحول الله حالا واستقبالا، كمل الله المراد، ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا نخذنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، والسلام فى ١٨ صفر عام ١٣٢٥هـ . انتهى . من أصله .

ثم بعد مدة قدمت على مراكش لجنة أوروبية بقصد البحث فى السبب الداعى لقتل ذلك الطبيب ومن تولى قتله والحامل عليه، فهياً لهم عامل البلد المذكور مأدبة فاخرة، ولما أحضر لهم الطعام امتنعوا من الأكل، وقالوا إنما أتينا للمباحثة لا للمواكلة، فلم يزل يلين لهم القول ويلطفهم ويستعطفهم حتى أكلوا وزال ما بهم، ثم بعد الفراغ من الأكل بحثوا العامل عما ذكر بحثا مدققا، فحقق لهم أنه لا علم له بشيء ما أصلا حتى وقعت الواقعة .

وقد كشف الغيب بعد ذلك أن الذى أغرى على قتله هو رجل من الألمان كان قاطنا بمراكش، له إلمام ببعض العلوم الإسلامية، وكان كثيرا ما يتذاكر فى

تفسير القرآن ويتردد على العلماء ويحبب للمغفلين سيرة دولته، أوعز هذا الألماني لبعض الأغبياء الساقطين أن الطبيب المذكور عازم على نصب الراية الفرنسية بمحله، وتلك دسيصة يدسها لهم، وحضهم على منعه من ذلك والتعرض له والقيام في وجهه ولو أدى الحال إلى قتله فإنه لا ينتطح عليه عززان.

ثم بعد مدة أمر السلطان بتوجيه ولد العامل المذكور صديقنا الفقيه البركة السيد محمد للمحاكمة بطنجة، ثم بعد أخذ ورد وبحث وتنقيح اتضحت براءة العامل من كل تهمة ألصقت بجنبه في قضية القتل، وأنه لا مسئولية عليه ولا على أحد من أولاده وعشيرته.

وبعد ذلك صدر الأمر بإلقاء القبض على المتهمين بالقتل فوقع القبض على خمسة عشر رجلا، وأودعوا سجن مراكش، ثم نقلوا لسجن الصويرة وذلك في يوم السبت الخامس عشر من ربيع الثاني ثم نقلوا لسجن طنجة، ثم ردوا لسجن الصويرة بطلب من النائب الفرنسى بها حسبما وقع التصريح بذلك فى ظهير سلطانى، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«خديمنا الأرضى القائد عبد الرحمن بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فبعدما كان ورد لطنجة على يديك مساجين أهل مراكش المقبوضون فى قضية الطبيب موشان القتل بمراكش، جاء نائب الفرنسيس فى ردهم للصويرة ليكون بحثهم بها على يد القنصل المكلف بالقضية، وقد اقتضت المصلحة المساعدة على ما ذكر، وأمرنا خديمنا النائب الحاج محمد الطريس بتوجيه المساجين المذكورين بحرا إليك صحبة من يعينهم لمصاحبتهم، ونأمرك أن تقبلهم وتختلى بهم بنفسك حتى تستوعب كلامهم وتستخرج ما فى بواطنهم لتكون على بصيرة ثم تدعهم السجن، وإذا كتب لك خديمنا المذكور بالتنبيه على ما تسلكه فى شأنهم بما يثبت أقدامهم عند مباحثاتهم، فنأمرك أن تجرى فى ذلك على ما تقتضيه المصلحة

مع الأخذ بالحزم والاحتياط ، وإذا طلب القنصل المذكور إحضارهم للبحث ، فإن أمكن أن يكون بحثهم بحضورك فهو أولى ، وإلا فيكون بحضور من يمكن حضوره من نوابك النبهاء ولا تحتاج لزيادة إيضاح في بيان المقصود مما ذكر ، والسلام في ٨ رجب عام ١٣٢٥هـ .

احتلال الدار البيضاء:

ومن ذلك واقعة الدار البيضاء التي هي من أعظم الوقائع الشنيعة المفتة للكبد القاضية على قوى المغرب المادية والأدبية بالوهن والانقضاء ، تلك الواقعة التي تنفس بها صبح الخطوب في أعماق القلوب ، قام بحمل أعباء طامتها الكبرى جهال رعاع الرعية وأخلاق الأوباش وسفهاء الأحلام ، من سخفاء عقول قبيلة الشاوية الذين لا يتدبرون العواقب ، ولا يعلمون أن الإنسان لا يحصد إلا ما بذر .

وذلك أن الدولة المخزنية المغربية لما انهذ ركن سياستها المتين بموت صاحب الترجمة ، فرزنت فيها البيادق ووسد الأمر لغير أهله ، وصارت الرءوس أذنانا والأذنان رءوسا ، وانفجرت براكين الاستبداد التي هي ثمرة الإفراط في الضغط ، وفشا ذلك في الحواضر والبوادي وعم جميع البلاد ، ونامت الصقور ، وصرخت الديكة ، وادعى الصعلوك أنه ابن جلا ، وأينعت أغصان التشاجر والتنافس في أفخاذ من قبيلة الشاوية المذكورة ، وارتأت أن الخروج عن طاعة السلطان متجر ربيع ، وتمكن في قلبها حب البغي والعدوان ، وجار القوى على الضعيف ، وغدا الفساد في كل آونة يزداد ، ورؤساء الدولة لا يستطيعون لرتق ذلك الفتق حيلة ولا يهتدون سبيلا بل هم في غمرة ساهون ، وعن الأخذ الأحوط لاهون ، إلى أن مدّ يد العداء بعض الرعاع من سماسرة الفتن الموقدين لنارها من جوار الدار البيضاء وبالأخص مديونة وأولاد زيان ، كما عينهم ظهير سلطاني شريف دونك لفظه :

«خدامنا الأرضيين أمناء الوضع بمرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله وسلاما عليكم ورحمة الله وبعد وصل كتابكم بشرح الواقع هنا كم من رعا مديونة وأولاد زيان وأنكم قائمون على ساق فى ترتيب العسة لحراسة الديونات وخزائنها وصار بالبال، فقد بلغ ذلك لشريف علمنا وأمرنا فيه بالمتعين، ولتردوا البال لصيانة الديوانات والخزائن، والسلام فى ٢٧ جمادى الثانية عام ١٣٢٥».

وقد عاث المذكورون بأطرافها وقتلوا عددا من النصارى خارجها بسبب جلوس مراقب فرنسى مع أمناء مرسى الثغر المذكور للمراقبة على المداخل المعينة لهم التى هى ستون فى المائة من مدخول المراسى كما ينبى عن ذلك ظهير شريف عزيزى دونك نصه بعد الافتتاح.

«خدامنا الأرضيين أمناء الموضوع بمرسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمركم أن تكونوا تدفعون للأمين الطالب العربى بن كيران ما يتحصل لجلب المخزن فى مدخول الأربعين فى المائة السالمة له كل يوم بيومه، وأن تكونوا تعلمون جنابنا العالى بالله فى كل أسبوع بقدر ما حازه فيه وأن يكون ابتداء إجراءاتكم هذا العمل من يوم التاريخ الذى هو الثامن والعشرون من رمضان هذا، والسلام فى ٢٨ رمضان عام ١٣٢٦».

وهذا القدر عليه كانت وقعت المصادقة من الجنا ب العزيزى والدولة المقرضة له دولة فرنسا، ولم يزل عتو أولئك الغوغاء يتفاحش حتى أوجس القنصل الفرنسى بالثغر المذكور فى نفسه خيفة اضطر بسببها إلى إنزال بعض عسكرهم من مركب حربى كان لهم هناك، فلما نزلوا تعرض لهم بعض أهل الطيش بالضرب، وجرحوا منهم كبرا وخمسة أنفار من العسكر، على ما سيمر بك إيضاحه.

وكانت المدة التى وقع الاتفاق بين السلطان مولاي عبد العزيز وبين الدولة الفرنسية على جلوس أحد الفرنسيين مع أمناء الديوانة بصفة كونه مراقبا خمسة أعوام حسبما وقع التصريح بذلك فى ظهير عزيزى شريف دونك لفظه:

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم :

«خديمنا الأَرْضى القائد عبد الرحمن بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ، وبعد فلأجل مصلحة تحسين خدمة المرسى وزيادة الضبط فى عملها اقتضى نظرنا الشريف على وجه الاختيار تنفيذ إجراء عمل المراقبة بالفعل على يد أرباب القرض الفرنسوى الجارى بجلوس أحد الأعضاء منهم بالديوانة السعيدة مع أمنائها لمدة خمس سنين من تاريخ الشروع فى العمل ، وقد أصدرت شريف أمرنا للأمناء المذكورين بقبوله للجلوس معهم وتمكينه من التصرف على مقتضى ضابط خدمته وعليه فنأمرك بقبوله لذلك والكون منه على بال وشد عضه فيما يتوقف عليه من أمور تكليفه الراجعة لخدمة المرسى ، وضبط جميع أعمالها ، والسلام فى ١٠ جمادى الأولى عام ١٣٢٥» .

ثم ثار كمين الفتن ولم يزل شرر شره يتطاير إلى أن عمد ذات يوم لفيف من تلك القبيلة الباغية المتمردة لشاطئ البحر ، حيث يبنى المرفأ لمرسى ثغر الدار البيضاء الذى كان وقع الاتفاق على بنائه بين السلطان أبى فارس عبد العزيز وإحدى الشركات الفرنسية ، وذلك لما رأى السلطان أن من المصلحة العائدة على بلاده وتوسيع نطاق تجارة رعيته وغيرها ممن يتجر بها من الدول الأجنبية الأوربية النازلين بإيالته ، بناء المرفأ لتلك المرسى بناء نظاميا على الطراز العصرى ، وبكل أسف فإن القابض على زمام إدارة الحكومة لم يتخذ فيما رامته الاحتياطات اللازمة لردع المفسدين وكسر شوكتهم بترشيح رجال حنكتهم التجارب للوقوف على تنفيذ ذلك الأمر المهم كما يجب ، بل عزلت باشا ذلك الثغر الذى كان يعرف من أين تؤكل الكتف ، وعينت خلفا عنه أبا بكر بن بوزيد السلوى ، فحققت المنزوع وتجرد لإغراء إخوانه على إيقاد نيران الفتن وتشويش راحة البلد فأجابوه لذلك ، والباشا الجديد أخلد إلى العجز ، وأظهر غاية الجبن ، وأبان عن عدم لياقته وكفاءته لما رشح له .

ولما تم الاتفاق على الوجه المذكور شرعت الشركة المذكورة فى مد السكك الحديدية لسير القطار المعد لحمل الأنقاض اللازمة للبناء رفقا بالعملة وتسهيلا عليهم فاتخذ أولئك الرعاى الأخصاء مكاييد توصلهم لتكسير ذلك القطار شأن العتاة الأغبياء الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، المقرون تدميرهم بتدميرهم وأعانهم على سوء فعلهم قرينهم اللعين .

ولما وقع القطار فى شبكة مكرهم بجعلهم أحجارا وأعوادا فى ممره انقلب وتكسر ومات بسبب ذلك تسعة من العملة الفرنسيين وأسبانيين وإيطاليين ، فمن الفرنسيين سائق القطار وهو المسمى (ربات) ورئيس الخدمة بمعدن الحجر ثم ذهبوا للمعدن وقتلوا من وجدوا به من العملة وذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الثانية عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف موافق ٣٠ من يوليو سنة ١٩٠٧ .

ثم إن أولئك الهمج لم يقفوا بخبثهم عند ذلك الحد بل دخلوا البلد ومدوا يد النهب والقتل وجاسوا خلال الديار والأسواق ، وعززهم من استهوته الشياطين ممن هو على شاكلتهم من العسكر المخزنى المنظم الذى كان هنالك وأخلط أهل البلد ، فلم يتركوا بابا من أبواب الفحش إلا وطرقوه ، ولا نهجا من مناهج الفسوق إلا سلكوه ، نهبوا الديار والدكاكين والأبنك والملاح وأوقدوا النار فى جميع تلك الأمكنة ، وبالأخص جهة باب الرخى ، وذلك بعد نهب ما بها من أموال ومتمول ، ودام القتل والهرج والمرج بالبلد ثلاثة أيام بلياليها فعظم الخطب ، واشتد الكرب ، والولاة الذين بيدهم السلطة المخزنية أغلقوا عليهم أبواب بيوتهم وناموا وتركوا عيون العدا ساهرة .

ولما تلاطمت أمواج الفساد ، واضطربت نيران الفتن وماج الناس بعضهم فى بعض وبلغت القلوب الحناجر ، واختلط الحابل بالنابل ، وجهت الدولة الفرنسية إحدى بوارجها المعدة للمياه المغربية المسماة (كليلى عدد ٦٦) حاملة لفرقة حربية

لحراسة قنصليتها طبق ما أشرنا إليه تنتظم تلك الفرقة من ستة وستين جنديا، فأخبر القنصل الذى كان تم عامل البلد إذ ذاك وهو بوبكر بن زيد السلاوى المذكور بنزول الفرقة المذكورة للصدد المذكور وحذره من التعرض لها بسوء وأعلمه أنها إذا مست بسوء، فإن البارجة الفرنسية لا بد من أن تضرب البلد فتكون العاقبة وخيمة.

فاستشار العامل المذكور فى ذلك مولاي الأمين بن الأمير مولانا عبد الرحمن بن هشام الخليفة السلطاني فى ذلك الحين هنالك، فأجابه بأنه لا دخل له فى صعود ولا هبوط، وإنما هو مكلف بحماية البلد من عيث فساد الشاوية، ثم جمع العامل المذكور بعض أعيان البلد وفاوضهم فى الأمر فأشاروا عليه بغض الطرف عنهم تحرزا من وقوعه فى ورطة المسؤولية النى لا تحمد عقباه مع السلطان.

فاستحسن رأيهم الفاسد، ونظرهم الكليل الكاسد، فأمر أحد أعوانه المدعو البدوى بأن يأذن للمكلف بفتح باب مرسى الثغر قبل الوقت المعتاد لفتحه، والمكلف إذ ذاك المدعو محمد - فتحا - ابن القلوبى، فامثل ما أمر به، ولما فتح الباب وجد القارب الحامل لتلك الفرقة على الشاطئ والعسكر شاكى السلاح فرام سد الباب فى وجهه ثم التفت أحد البوابين الذين كانوا هناك قيل لم يعرف وقيل هو محمد الحيانى المسفيوى لمن حوله من حرس وقال قوموا اضربوا على أنفسكم وأولادكم يا كلاب، فإن النصارى جاءت لأخذ بلادكم فقام بعض من لا يبصر رشده من الحمقى وأطلق بندقته، فى وجهه تلك الفرقة. ثم عزز فعلة المشؤم أحد المكلفين بحراسة الصقالة من رماة المدافع وهن محمد وشت - بفتح الواو وسكون الشين المعجمة والتاء المثناة - الحداد حرفة بكورة إذ كان العامل المذكور أوعز لهم ضرب تلك الدارعة، إذا هى ابتدأت الضرب.

فعند ذلك تراصت تلك الفرقة على صف واحد وأطلقت بنادقها على من

رام مقاومتها واقتحمت باب المرسى ودخلت البلد عنوة بعد أن تركت المبتدئين لها بالضرب صرعى، وجرح بعض الضباط منهم وهو الفسيان (بلاند) السمي باسمه الشارع الممتد من ضريح أبى الليوث إلى الباب المجاور للسقالة القديمة المقابل الآن للبستان العمومى الكائن بحومة أبى الحسن علال القروانى صاحب المزارع الشهيرة إلى الآن بذلك الشجر، واثنان من البحارة، ثم إن الفرقة المذكورة توجهت لدار قنصليتها شاهرة سلاحها تطلق بنادقها على كل من صادفته فى طريقها.

ولما وصلت دار القنصلية وجدت الحرس المخزنى المعد لحراستها على الباب فقام وأدى التحية العسكرية، فأطلقت فيه تلك الفرقة مكاحلها وارتقت على سطوح الدار وصارت تتابع طلقاتها النارية على سائر المارة من جميع الجهات حيث كانت تعتقد عداء الكل، كما أن الدارعة المذكورة صارت تمطر البلاد بوابل كور مدافعها المدمرة وذلك قبيل بزوغ شمس يوم الاثنين خامس عشرى جمادى الثانية من العام المذكور، موافق خامس غشت سنة سبع وتسعمائة وألف.

وفى زوال اليوم نفسه وردت على الشجر المذكور دارعة أخرى تسمى (دوشيلة) حاملة لفرقة عسكرية أخرى أنزلتها تعزيزا للأولى تنتظم من مائة وعشرين جندي يرأسها الكمندان (مانجان)، وشاركت الدارعة كليلي فى إطلاق القنابل على المدينة، وفرق الكمندان المذكور العس على دور القناصل الأجنبية كالسويد والإنجليز والبرتغال وأسندت إليه قيادة الجيش النازل ونظم البوليس فأحسن التنظيم والإدارة.

هذا والمخزن باذل جهده فى تطمين قلوب الرعية ونشر المكاتب لعمالة وولاية أمره بتحقيق الحقيقة وتقريرها لأولى العصبة من القبائل.

قرأت فى ظهير سلطاني عزيز بالتاريخ المذكور مخاطب به باشا الرباط فى وقتنا الحاضر، حبنا السيد عبد الرحمن بركاش باشا الصويرة إذ ذاك بعض ما يتعلق

بما شرحناه جلبنا نصه هنا تكميلاً للفائدة ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المنيف:

«خديمنا الأَرْضِي القائد عبد الرحمن بركاش وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد فإن بعض الرعاع من القبائل المجاورين لثغر الدار البيضاء مدوا يد العداء بخارجه بسبب جلوس المراقب الأجنبي مع أمناء الثغر المذكور، وصاروا يتحدثون في ذلك بأقوال غير مقبولة ولا معقولة لجهلهم بحقيقة الأمر وعدم معرفتهم إياه، لأن جلوس هذا المراقب مع من ذكر تقدمت له نظائر عديدة في عهد سيدنا الجد رحمه الله، وفي حياة سيدنا المقدس بالله للمراقبة على مال السلف الذي كان بحوزته من المراسى في السلف الذي اقترض منهم وقتئذ، ولما توصلوا به انصرفوا لحالهم وهكذا هؤلاء المراقبون الذين جلسوا الآن بالمراسى فإنهم فإنما جلسوا للمراقبة على مال سلفهم الذي اقترضه منهم المخزن على القاعدة الجارية في ذلك من قديم الأعصار، وبمجرد ما يتوصلون به ينهضون لشأنهم كذلك ولا ضرر على المسلمين.

ولو كنا نعلم حصول أذى ضرر لهم من ذلك ونحوه لدفعناه عنهم بأى وجه أمكن، نعم إن حدث عندهم ما فهموا فيه ضرراً فليرفعوه لحضرتنا الشريفة على يد عاملهم لننظر فيه، فإن ظهر وجه لكلامهم ينفذ الأمر فيه بما يتعين، وإلا يجابون بما يرفع عنهم الإيهام والإشكال، وعليه فنأمر أن تكون على بال من القبائل الذين بناحية ذلك الثغر إن حركوا معك كلاماً في ذلك لتجيبهم بما قرر لك على الوجه الذى يفهمون منه المقصود ولا يبقى عندهم إشكال في حقيقة الأمر بحول الله، وها نحن كتبنا لهم بذلك أيضاً حسبما يصلك لتتركه تحت يدك احتياطاً إن حدث ما يوجب دفعه لهم تجده تحت يديك، وإلا فاتركه عندك حتى تنكشف تلك العوارض ورده لحضرتنا الشريفة والسلام فى ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٢٥هـ».

ثم فى اليوم نفسه فى الثانية بعد الزوال وردت بارجة إصبانية صغيرة من جزر كنارية على الثغر المذكور حاملة لفرقة عسكرية لحماية قنصليتها أيضا، وعززت الدارعتين الفرنسيتين فى صب هاطل الكور على البلد، وكان الضرب بالغاً حده فضج الناس وافتتوا ولم يجدوا ملجأ ولا منجى وظل بعضهم يموج فى بعض كأنهم سكارى يعربدون ونار الفتن تتوقد وشرر زفيرها يتطاير فى قلوب العجزة من الرجال والنساء والصبيان .

ولما جل الخطب وطم أمرهم الخليفة المولى الأمين المذكور بعد الموافقة مع القنصلية الفرنسية بالخروج للمحل المعروف بالسور الجديد الذى كان محل تخيمه بالقوة التى كانت إلى نظره من عساكر وخيل ورماة، وصرح لهم بأن كل من حل به فهو آمن على نفسه وماله فانقسم الناس قسمين :

قسم ائتمر بما أمر به الخليفة المذكور فخرج مسرعا إلى السور الجديد حيث القوة المخزنية ومثوى الخليفة السلطانى الذى جاء لحياطة البلد وذويها .

وقد كان هو دخل المدينة يوم الجمعة بقصد إطفاء نار الفتن وإجلاء البادية عن البلد ونزل بدار المخزن هناك وأقام بها يوم السبت والأحد وفى صبيحة يوم الاثنين وقعت الواقعة .

ولما خرج من خرج للسور الجديد حيل بين مولاي الأمين الخليفة المذكور وبين ما أراد من اللحوق بعائلته والقوة التى كانت معه لتفاحش عيث المفسدين فى الطريق ولم يبق معه بالمدينة غير وصيف وطباخ .

وفى عشية يوم الأربعاء سابع عشر موافق سابع عشرى جمادى المذكور أطلقت الدارعتان الفرنسيتان قنابلهما على الملتجئين بالسور الجديد حيث رأت أحزاب العتاة المسدين تجمهرت حوله ورامت الهجوم على من به وقصدهما تبديد

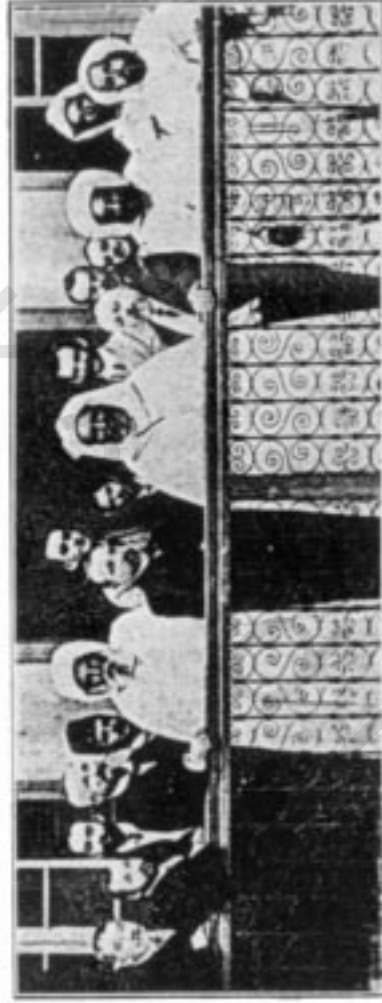
جموعهم وتشيتتهم حتى لا يلحق من بالسور منهم أذى وعززتهما الدارعة الإصبانية فسار الكور ينزل على المفسد والمصلح وعم البلاء واشتبك وارتبك لعدم إمكان التحرز ولأن الخبث إذا كثر هلك الصالح والطالح فهلك عدد عديد من أولئك البؤساء المرعوبين الجياع العطاش المسلوبين المنهوبين الذين كانوا بالسور الجديد، وولى الثوار ناكسين على الأعقاب ولم يبق واحد منهم يروج بالمدينة ولا يحوم حول السور.

وفى عشية ذلك اليوم نزل بالبلدة المذكورة القائد الجنرال (دروود) واحتل البلد بخيله ورجله، وتم الأمر على يده وانتشر الهدوء والسكون.

ثم بعد ذلك نزلت فرقة من العسكر الإصباني لاحتلال أيضا واتخذت المساجد أروية لربط بهائمها وألواح الصبيان الذين يقرءون القرآن خطبا وبالغت فى الإفساد والتدمير داخل المدينة وخارجها.

أما القسم الآخر فإنه انقسم إلى قسمين: قسم خرج ناجيا بنفسه إلى البادية للاستيجار بمن له به صداقة وسابقة مودة عساه أن يؤمن روعته، ويرحم لوعته، وقسم التجأ بدور بعض القناصل فانقلب على الحضرى الناجى بنفسه البدوى الأجلف الذى كان صديقا حميما عدوا مبينا فكان الحضرى يلقي صفيه البدوى فيحن له ويرتاح لرؤيته فيبادره بجفائه الغريزى المركوز فى طبعه الخشن ويقابله بكل شدة وقساوة ويجرده من كل ما عسى أن يكون عليه من الثياب أو بيده من المتاع قل أو جل، ويتركه مكشوف العورة صفر اليدين ويقول له أنا أولى بسلبك من غيرى بلغ بهم الإفراط فى الخبث والدناءة إلى أن شقوا بطن امرأة حامل وأخرجوا جنينها منها ظنا منهم أنها ابتلعت نقودا، ومخضوا شريفا مخضا ذريعا لاتهامهم إياه ببلع نقود كذلك.

وكم افتضوا من أبكار واسترقوا من أحرار، فمن جملة من استرق وبيع:



الخليفة مولاي الأمين رئيس لجنة التعويضات ببرزته الرسمية بالوسط وعن
يمينه الأمين الصديق احرضان الطنجي وعن يسره الأمين بناصر غنام
الرباطي مع نواب الدول والتراجمة والكتاب.

عبد الكريم نجل صديقنا ناظر الأحباس فى ذلك الحين بذلك الثغر السيد إدريس الفيلالى، ثم بعد أخذ ورد أدى والده لمن كان اشتراه قبل مائة ريال سكة حسنية .

ثم بعد انجلاء غياهب هذا الحادث المدلهم جمعت أكداس تلك الجثث المنتنة وذلك ثامن غشت وألقيت فى أخدود وصب عليها الكاز وأطلقت النار وردم رمادها ورفاتها بالمحل الذى صار الآن جنانا عموميا مقاومة لتلك الروائح الكريهة المؤذية، وتحفظا عما ينشأ عنها من الأضرار الفتاكة المعدية المعدمة، وكان المكلف بجمع تلك الجثث والأشلاء المعين (بريط) الفرنسى الولوع بجمع الآثار العتيقة والنقود الثمينة الشهير إلى الوقت الحاضر بالدار البيضاء .

أخبرنى أنه مات من اليهود نيف وأربعون، وجرح منهم خمسون، واختطف من فتياتهم مائه وخمسون كما اختطف من المسلمات عدد عديد .

وبعد إطفاء نيران الفتن بالدار البيضاء قام أهل الحمايات بطلب تعويض ما ضاع لهم فى الواقعة ومن نهبت له عشرة ادعى بالآلاف وشددوا فى ذلك وأفرطوا، فأصدر السلطان ظهيرا بتشكيل لجنة تنظر فى الخسائر وعين أعضاء من الوطنيين والأجانب وإليك نص الظهير .

بعد الحمدلة والصلاة .

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره، وثبت على الهدى مزاره، أننا أذنا بتشكيل جمعية بثغر الدار البيضاء للنظر فى الخسائر الحاصلة بالثغر المذكور وقت حادثته لأهالى والأجانب وتحقيق الحق عنها وإبطال الباطل وتقدير التعويضات اللازمة فى ذلك بموجباتها، وعينا من قبل جانبنا الشريف عمنا الأرمى مولاي الأمين للرياسة عليها وخدمنا الطالب بناصر غنام معتمدا أولا والطالب الصديق احرضان معتمدا ثانيا والطالب الحسن كاتبنا ليقوموا بالمتعين فى ذلك مع الأعضاء

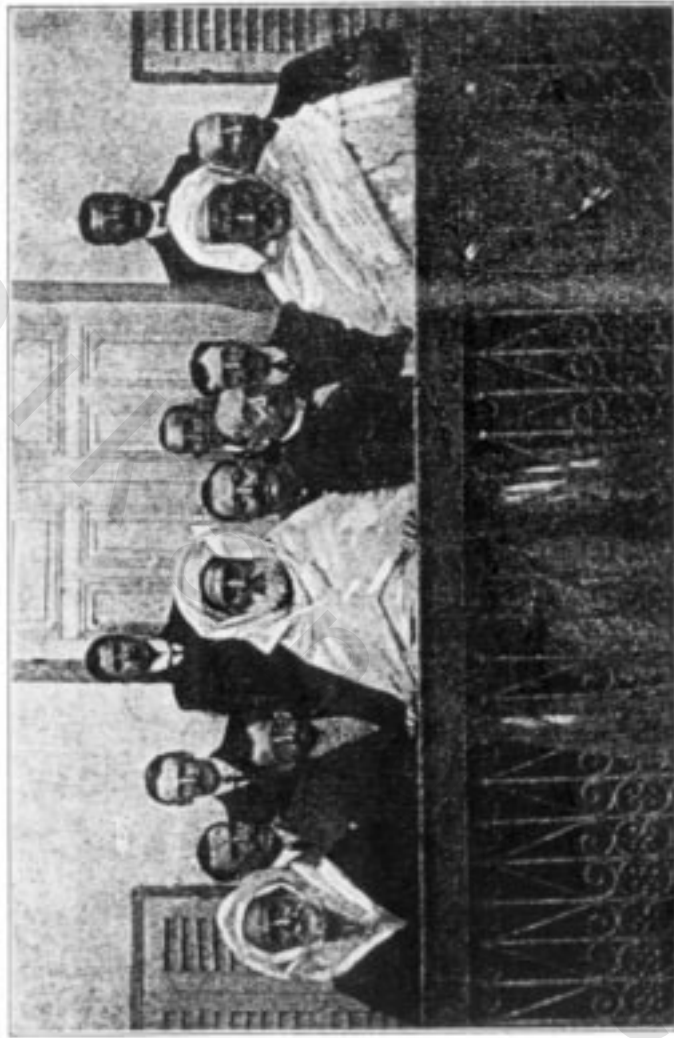
المعنيين من قبل الدول المحترمين ذوى العلاقة بالموضوع ويجروا فى تحريرهم كذلك على طريق العدل والإنصاف ويعينوا المختبرين والمفتشين المحليين لأعمال الأبحاث الابتدائية، وأضفنا لأعضاء المخزن المحامى والمستشار إبراهيم بمنى والترجمان كرم والسلام، صدر به أمرنا الشريف فى ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٢٦ .

والأعضاء الأجانب المشار إليهم فى الظهير هم: معتمدوا ألمانيا وإسبانيا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا والبرتغال وهؤلاء مع نواب المخزن هم الذين لهم الحق فى النظر فى كل دعوى تعرض على بساط اللجنة، بخلاف النواب الخصوصيين، وهم نواب أميركا والنمسا وبلجيكا والسويد والدانمرك وهولندا، فلم يكن لهم حق فى سن ضابط ولا إبداء رأى فى غير دعاوى تابعيهم، وقد ناب عن السويد معتمد دولة الألمان وعن الدانمرك المعتمد البريطانى.

أما الدولة العلية العثمانية فكان ابتداء مباشرة دعاوى تابعيها وهى أربعة دعاوى معتمد فرنسا بصفة نائب الرئيس ثم بعد أن أعلنت قنصلية إنجلترا بالشعر أنها كلفت رسميا بحماية رعايا تركيا رجع إلى مباشرة الدعاوى المذكورة معتمد إنجلترا (المستر تورون).

فكان عدد الدعاوى التى عرضت على البحث ٣٥٠٦، والقيمة المدعى بها فرنكات ٢٦، ٤٧٨، ٣٦٦، ١٧، والقيمة التى حكمت بها اللجنة فرنكات ١٣، ٦٩، ٠٦٤٢، ٥٧ .

ثم أضيف لذلك دعاوى تقدمت على المواضع والأماكن التى احتلتها الجنود الفرنسية الإسبانية وعدد دعاويها ٦١ والقيمة التى حكمت بها اللجنة الدولية فرنكات ١٩٥، ٧١٠، ٨٥ .



رئيس اللجنة التنجيزية لأداء غرامة الدار البيضاء الخليفة السلطاني سيدي محمد الأمrani عن
يساره الحاج عبد الرحمن لحلو وعن يمينه الأمين السيد العربي بن كيران هؤلاء الثلاثة مغاربة
وعن يسار الحاج عبد الرحمن لحلو طيطوتي نائب إيطاليا وبينه وبين الخليفة السلطاني ثورن
الإنجليزي وريو الفرنسي ولابلخا الإصباتي وبين الخليفة السلطاني وابن كيران شامبير ونفرو
ومكري الفرنسي كاتب اللجنة.

ولم يتم أمر ذلك حتى جاءت الدولة الحفيفية، وتخلى الخليفة المولى الأمين عن وظيف الخلافة، وولى مكانه أبو عبد الله محمد الأمراني آتى الترجمة، وفي مدة توليته تمت المسالة ووقع الأداء بطنجة.

هذا وأما أبو زيد عامل البلد المذكور فقد ألقى عليه القبض وثقف على ظهر الدارعة «كليلى» عقوبة له على ما أجرم ثم سرح بعد.

ووقع القبض على بعض النهاب، وأعدم البعض منهم حيناً ودفن ما يزيد على ثلاثمائة من المسلمين، ووجد بين الأسوار وتحت أطلال الهدم والردم والجهة التى خرقت عدد عديد من الجثث.

ثم بعد التطهير بالحريق ابتدئ فى تنظيم أمور الديوانة، وكان المتولى للأمر إذ ذاك (الكمندان منجان) وعلال بن عب الطنجى خليفة الخليفة السلطاني المذكور.

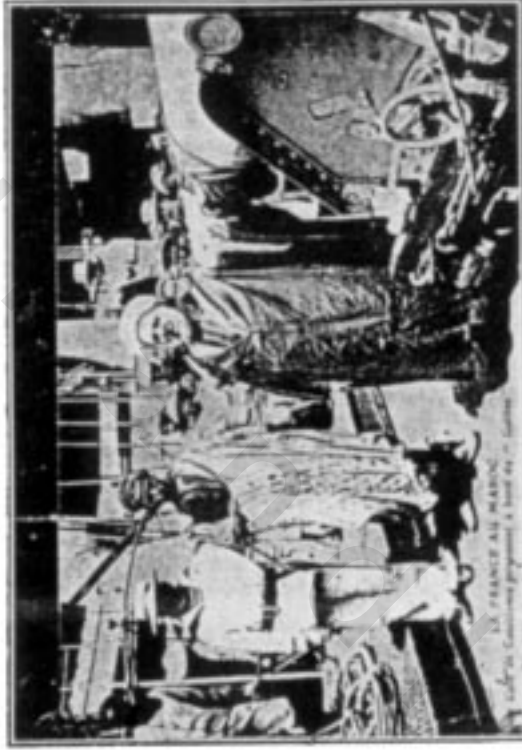
وأما السور الجديد - الذى ذكرنا أن الناس التجأوا إليه لما دهاهم من ضرب الدوارع الحربية ما دهاهم - فهو عبارة عن فسيح يحتوى على عدة هكتارات محاط بالسور من جهاته الأربع، بها أبراج محكمة البناء كان بناه السلطان المقدس مولاى الحسن وقصده أن يتخذ قصبة تختط بها دور الأجانب الأوروبيين النازلين بذلك الثغر من قناصل وتجار وغيرهم سعياً وراء جلب الراحة إليهم، وإبعاداً لهم عمن يخالفهم فى العوائد ويباينهم فى الذوق، إذ لا تتم الراحة للإنسان إلا بجعله مع مجانسه وملائمه وتمكنه مما اعتاد على الطراز الذى ألف من غير منتقد ولا مشغب وكان بناؤه إياه على يد الأمينين محمد بن سعيد المعروف بالكدر، ثم الحاج عبد الخالق فرج محتسب الرباط الشهير بالمواقف والمناقب والغيرة الوطنية والصدق والإخلاص والأمانة، ثم لما مات السلطان البانى ولم يتم ما كان أراد بقى المحل معداً لتخميم الجيوش المخزنية وقتما مرت بذلك الثغر، وقد تنفس فيه أهل

البلد عند فراغه من الجيوش وبالأخص فى زمن الربيع ، وتقام به نزهة سلطان الطلبة ، ثم بعد الواقعة أحدث فيه شارع عمومى .

واتخذ بجانب منه مستشفى عسكرى لا زال قائم العين إلى الآن .

ولقد كان لهذه الحادثة الحالكة دوى ورنه فى العالم تناقلتها ألسنة الجرائد الرائجة فى ذلك العصر عربية وعجمية وذهب الكتاب فى أسبابها كل مذهب كل على حسب أغراضه الشخصية ومغامزه السياسية والحقيقة وراء جل ما حبروا وخبروا .

ومدينة الدار البيضاء هذه هى المعروفة فى كتب التاريخ قديما باسم آنفا ، وهى واسطة بلاد تامسنا وإحدى عواصم برغواطة ، قد كان بعد تقلص ظلمهم أنزل بها يعقوب المنصور الموحدى عرب جشم بن معاوية وسليم وبنى هلال بن عامر ، وقد هلك أكثر هؤلاء بالأندلس فى واقعة الناصر الموحدى فى قضيه العقاب ، فقل عددهم ووقع الفراغ المحسوس فى وطنهم ، فلما كانت دولة بنى مرين عمد يعقوب ابن عبد الخالق لنقل طوائف من أهل المغرب الأوسط لما غلب على بنى زيان واستولى على جنوب بلادهم إلى جنوب الزاب ، فكان ممن نقلهم لضواحي آنفا قبيلة المذاكرة من عرب سويد الهلاليين إخوة رياح ، ومن المذاكرة قبيلة صبيح كان منهم فى دولة بنى مرين الوزراء وأرباب الدولة ، ونقل معهم أوزاعا من توجين ومزاب من زناتة ومغراوة من زناتة أيضا ، وأشغلهم بالقيام على إبل الدولة وشائها ، فأطلق عليهم اسم الشاوية وذلك سنة ست وسبعين وستمائة وجعلوا مقر رياستهم مدينة آنفا ، فلم يلبسوا أن خالفوا على الدولة وقطعوا السابلة وأساءوا الجوار مع غيرهم ، فزحف إليهم أبو ثابت بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى سنة سبع وسبعمائة فأرغمهم على الطاعة وقبض على ستين رجلا من شيوخهم وأودعهم سجن قصبة آنفا ، وقطع رءوس عشرين من عتاتهم قاطمى السبيل وصلبهم على أسوار آنفا .



باشا الدار البيضاء بوبكر ابن بوزيد على ظهر الباخرة أسيرا

وفى سنة ست وسبعين وستمائة نزل عليها أسطول البرتغاليين فهد أسوارها
وخرّب أبنيتها وصيرها أثراً بعد عين وذهب لحال سبيله، ثم نزل إليها سنة عشرين
وتسعمائة فأسس بناءها وسماها بلغته الدار البيضاء، وكان اسمها فى القديم
البيضاء كما ذكره أبو عبيد.

ولم يزلوا بها إلى أن أخرجهم منها السلطان سيدى محمد بن عبد الله سنة
أربع وخمسين ومائة وألف، وعمرها بقبائل الشاوية أهل الناحية، ولم يزل للملوك
دولتنا من حفدته وبنيه اهتمام بها وبنظائرها من الثغور المغربية وحياطتها شرعا
وسياسة إلى الدولة العزيرية.

ولنذكر لك جزيئات على سبيل التمثيل ليقاس عليها.

فمن اهتمامها أى الدولة العزيرية بحياطتها لو وجدت على ذلك أعوانا
وأكفاء ما وقفت عليه فى ظهائر عديدة دونك لفظ أولها بعد الحمدلة والصلاة
والطالع العزيرى الشريف.

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم
ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر الأمين الطالب عبد السلام والزهراء الرباطى بأن
المهراسين الذين بالبرج اليزيدى أحدهما ملقى على الأرض والآخر بمحل الإشارة
خارج البرج على سرير مكسر، وكانت له طبلتان تلاشى فراشهما واندثر بناؤهما
بإهمالهما وتراكم الأزبال حولهما من النوائل والبناءات، وعليه فنأمركم بالوقوف
على عين المحل الذى به مهراز الإشارة وتنظيفه وتصوينه ورده لحالته القديمة
وتجديد سرير المهراسين كما كانا بما يحتاج إليه ورد البال لذلك فى المستقبل، وقد
أمرنا العامل بالوقوف معكم وشد العضد فى ذلك والسلام فى ١٧ جمادى الثانية
عام ١٣٢٥».

ونص ثانيها:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد بلغ لعلنا الشريف أن محل ترسية الفلائك بتلك المرسى مفتقر للتحسين والإصلاح، وأن صائر حصول المقصود من ذلك قوم بنحو سبعة آلاف فرنك وعليه فنأمركم أن تشرعوا فى إصلاح ذلك بما تحسن به هيئته من الصفات المرادة والسلام فى ٣٢ شوال الأبرك عام ١٣٢٥».

وينضاف إلى ما ذكر من حياطتها اهتمامها بحياطة الطرق والأطراف، ويكفى فى التنبيه فيه ظهيران شريفان وقفت عليهما دونك لفظهما بعد الحمدة والصلاة والطابع الشريف :

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر القائد قاسم الأودى أن المئونة مقطوعة عن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات من وقوع الحادثة هناك، وعليه فنأمركم أن تبينوا ما توفر لهم من المئونة فى المدة التى لم يتوصلوا بها وتكونوا تؤدونها لهم على العادة والسلام فى ٥ قعدة عام ١٣٢٥».

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبرنا القائد قاسم الأودى إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون للأمناء قبلكم من قبل مئونتهم واجب أربعة أشهر كما يسألون لكم واجب ستة أشهر دفعتم لهم منها واجب شهر واحد وعليه فنأمركم أن تدفعوا لهم ما يسألونه لكم وللأمناء قبلكم من قبل ذلك والسلام فى ٢٢ حجة الحرام عام ١٣٢٥».

ونص آخر بعد الحمدلة والصلاة:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر القائد إدريس بن العربى الأودى أن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون من قبل مؤنثهم المنفذة لهم بالمرسى هنا كم واجب عشرة شهور وقد لحقهم الضرر من ذلك وعليه فنأمركم أن تبينوا الواقع فى ذلك وذمة من توفرت لهم هذه المدة وقدر ما توفر لهم فيها والسبب فى عدم تمكينهم منها لنرى فى ذلك السلام فى ٣٢ حمادى الأولى عام ١٣٢٦».

وكذا اهتمامها بضبط الصادر والوارد الذى يكفى فى التنبيه عليه ظهيران شريفان وقفت عليهما ودونك لفظهما بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد طلب من على جنابنا الفريلية الصبنيوليون إتمام الإنعام عليهم بعد بحث حوائجهم الخاصة بهم المسرح لهم دخولها بدون أعشار واستظهروا بظواهر شريفة لأسلافنا الكرام مصرحة بعدم فتح صناديقهم التى ترد لهم، وقد ساعدناهم على طلبهم ونأمركم أن تجروا حوائجهم مجرى حوائج القناصل فى دخولها من غير فتح ولا تفتيش والسلام فى ٢١ حجة عام ١٣٢٥».

لفظ الثانى:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فالسلاح الذى تسرحون إدخاله للمرسى على مقتضى ضابطه نأمركم بأن تكونوا تقبضون من صاحبة ما يلزمه فى أعشاره بحسب عشرة فى المائة، لأن مضمن ما يأتى به إليكم من طنجة هو التسريح فقط لا إسقاط الأعشار، والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣٢٦».

ومن اهتمامها بالملاجئ الخيرية فيها وأمر المسجونين ما وقفت عليه فى ظهائر شريفة عزيزة نص أولها:

نأمر خديمنا الأرضى ناظر أحباس الولى الصالح سيدى أبى الليوث بحروس ثغر الدار البيضاء أن يكون يدفع الأجرة المتعارفة للمعلمين الذين يختانون الصبيان اليتامى وأولاد الضعفاء بالزاوية القادرية هنالك، وأن يكسوهم بما يناسب حالهم كل عام وقت الاختتان من فتوحات الولى المذكور والسلام فى ٨ ربيع الثانى عام ١٣١٦ .

ونص الثانى:

«خديمنا الأرضى ناظر الشيخ أبى الليوث بحروسة ثغر الدار البيضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضى من الأفقيين وأهل البلد الذين لا مأوى لهم يمرضون فى الطرقات وينقلون لبيوت خارج المدينة ويقيمون هنالك حتى يموتوا جوعا وعطشا، وقد اقتضى نظرنا الشريف جمعهم بالبيوت التى قرب ضريح الشيخ المذكور، فنأمر أن تجمعهم فيها وتخص الرجال بيوت منها والنساء بيوت منها كذلك بعد أن تصلح ما لا بد من إصلاحه منها وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت وتكون تدفع لكل مريض خبزتين أو ثمنهما فى كل يوم، ومن توفى منهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث، ومن حصلت له العافية بتوجه لحاله وتسقط مئنته، ومن زاد تزايد له مئونة أمثاله، وهكذا وقد أمرنا الخديم أحمد المديونى بالوقوف فى ذلك وشد العضد فيه حتى ينفذ شريف أمرنا على مقتضاه، والسلام فى ٦ قعدة عام ١٣١٨».

ونص الثالث:

«خديمنا الأرضى ناظر أبى الليوث وأحباس الدار البيضاء الطالب إدريس

الفيلالى وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد وصل جوابك عما أمرت به من تنفيذ الخبز للمرضى والأفقيين وجعل البيوت لهم، بأنك نفذت ترتيب الخبز لهم من مستفاد الضريح المذكور غير أن العامل أطلعك على كتاب شريف بأن الصائر يكون من ربيعة الشيخ مع أن الربيعة تفتح على يد أمناء المرسى والقاضى ويفرق ما يوجد فيها، فالثلث على الضعفاء القاطنين بجوار الشيخ، والباقى يصير فى ختان اليتامى وأبناء الضعفاء، وتعين عليك أن تصير على المرضى مما تحت يدك من المستفاد مبادرة لامثال ما أمرناك به والعمل على ما يصدر لك فى المستقبل، وعليه فإن الذى يكون عليه عملك هو أن الصائر يكون ثلثاه من وفر الأحباس الكبرى، والثلث الواحد هو الذى يكمل من فتوحات الولى المذكور، وما عداه من بقية الفتوحات ينفذ فى مصالحه ووظائفه المعهودة فيه، فليجر عملك عليه، وقد كتبنا للقاضى والأمناء والعامل بمثله، والسلام فى ١٥ قعدة عام ١٣١٩».

ونص الرابع:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله ثم الطابع الشريف بداخله عبد الحفيظ بن الحسن وفقه الله.

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك بتنفيذ عدد الخبز الذى كان يدفعه أمين المستفاد كل يوم للأفقيين الذين بسجن البلد بعد تسرادهم مرتين فى كل شهر، وصير ذلك من جملة صوائر الأحباس، وقد كتب لعامل البلد بذلك، والسلام فى ٢٨ محرم عام ١٣٢٩ استقل».

ونص الخامس :

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد:

فقد أخبرنا باشادور الفرنسيين أن المقبرة المعدة لدفن الأجانب هنالك ضاقت عليهم وطلب زيادة بقعة أخرى بجوار المقبرة المذكورة وبحل آخر يكون طولها خمسين مترا وعرضها كذلك ليجعلوه مقبرة لذلك، وقد ساعدنا ونأمرهم أن تجتمعوا مع عمنا مولاي الأمين وأمين المستفاد والناظر وتتفاوضوا في تعيين بقعة هنالك تصلح لما ذكر في مجاورة المقبرة القديمة أو بحل آخر وتبينوا قدرها وتوجهوا لشريف حضرنا صورتها ليظهر، وقد كتبنا لعمنا المذكور والخدام المذكورين بمثله، والسلام في ١١ قعدة ١٣٢٥».

ونص السادس :

«خدمنا الأرضي ناظر أحباس ثغر الدار البيضاء المحروسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر باشادور الفرنسيين أن المقبرة المعدة لدفن الأجانب هنالك ضاقت عليهم وطلب زيادة بقعة أخرى بجوار المقبرة المذكورة أو بحل آخر، يكون طولها خمسين مترا وعرضها كذلك ليجعلوها مقبرة كذلك، وقد ساعدنا ونأمرهم أن تجتمع مع عمنا الأرضي مولاي الأمين والخدم المديوني وأمناء المرسى وأمين المستفاد وتتفاوضوا في تعيين بقعة هنالك تصلح لما ذكر في مجاورة المقبرة القديمة أو بحل آخر، وتبينوا قدرها وتوجهوا لشريف حضرنا صورتها ليظهر، وقد كتبنا لعمنا المذكور والخدام المذكورين بمثله، والسلام في ١١ قعدة عام ١٣٢٥».

ونص السابع:

«خدامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: وصل جوابكم عن أمرنا الشريف الصادر لكم بالاجتماع مع عمنا الأمين والحديم المديوني وأمين المستفاد والناظر للمفاوضة في تعيين البقعة التى طلب باشادور الفرنسيس زيادتها لدفن موتى الأجانب بها بجوار مقبرتهم القديمة ثمة، بأنكم اجتمعتم لذلك وبعد المفاوضة خرجتم لتعيينها صعبة القبطان نائب الفرنسيس ثمة وترجمان قنصلهم، فاختاروا البقعة التى سميت ونفذ لهم القدر المطلوب منها وميزوه وشرعوا فى الدفن فيه وصار بالبال والسلام فى ٢٦ صفر عام ١٣٢٦».

ومن اهتمامها بالتعليم ونشر العلم ما وقفت عليه فى ظهائر تتعلق بنصب المدرسين وتنفيذ الرواتب لهم وللخطباء دونك نص أحدها:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء حرسها الله، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن تنفذ للطالبيين المدرسين الواردين لهنالك من فاس بقصد التدريس وبث العلم دارا من دور الأحباس لنزولهما وعشرين ريالاً للواحد من مدخول الأحباس فى كل شهر حتى تكمل مدتهما وهى سنة واحدة ليعين بدلها عند انقضائها بحول الله على يد قاضى فاس والسلام فى ١٦ جمادى الأولى عام ١٣٢٦».

ونص الثانى:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء المحروسة بالله الطالب إدريس الفيلالى وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أصدرنا أمرنا الشريف لقاضى فاس بتعيين فقيهين مدرسين وتوجيههما على يد خليفة العامل ثمة واصلين

للثغر المذكور بقصد بث العلم ونشره وتدرسه به والتمشى على الضابط المبين بطرته، وأمرنا أمناء دار عدل لتوجهه لهم من وفر الأحباس المذكورة بعد بيانه، وعليه فنأمرك أن توجه لهم ما يدفعونه لهما فى ذلك عند تبينهم ذلك لك بفور وصوله إليك على يد العامل ثمة ليوجهه لهم بواسطة خليفة عامل فاس، فقد أمرناهما به كما نأمرك أن تعين لهما محلا مناسباً لهما للنزول وتنفذ لهما المئونة التى تحصل لهما للكفاية بها من الأحباس بعد إعلام جانبنا العالى بالله بقدرها والسلام فى ١٣ صفر عام ١٣١٦».

والضابط المشار له هو ما لفظه فى أول النهار نصاب فى المختصر بما يناسب المبتدئين، ومن الساعه العاشرة إلى الزوال نصاب فى التحفة كذلك، ومن الظهر إلى العصر نصاب فى النحو بالألفية، وبين العشاءين نصاب فى الرسالة أو المرشد، وفى بكرة الخميس أو الجمعة نصاب بالجرومية لصغار المتعلمين. انتهى.

ونص الثالث:

«نأمر ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله أن يكون يدفع من مستفادها آخر كل شهر لكل واحد من الفقهاء السيد محمد بن الطاهر بنانى، والسيد محمد بن محمد الصنهاجى ثلاثين ريالاً فى مرتبه الشهرى إعانة له على تدريس العلم الشريف بها والسلام، صدر به أمرنا المعتز بالله فى عشرى رجب الفرد الحرام عام ١٣١٦».

ونص الرابع:

«خدمنا الأرضى ناظر الأحباس بمحروس ثغر الدار البيضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أمرنا بإبدال الفقهاء المدرسين هنالك السيد محمد بنانى، والسيد محمد الصنهاجى، ونأمرك أن تدفع لكل منهما خمسين ريالاً من وفر الأحباس صلة، والسلام فى ٢٥ رجب عام ١٣١٨».

ومن اهتمامها بضبط أحباسها ما وقفت عليه فى عدة ظواهر تتعلق بضبط
أملك أحباسها والإسراع لتدارك إصلاح ما يفتقر للإصلاح من رباعها وضبط
المتصرفين فيها ورفع حساباتها دونك لفظ أولها:

«خدمنا الأرضى ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله، وفقك الله،
وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن تجعل تقييداً لجمع رباع الحبس الذى
على يدك هنالك كل محل على حدته، وتقييد ما بإزائه اسم مكتره وإن كان رعية
فنبه عليه، وإن كان حماية فكذلك واذكر اسم حاميه، وإن كان أجنبيا فبين اسمه
وجنسه، وقيد أمام اسم المكترى الكراء الذى يدفعه فى ضلع وما يساويه اليوم كراء
فى ضلع آخر، ومن كان متقاعدا عن الأداء نبه عليه وبين سبب تقاعده، ثم قيد
عقب ذلك المنفذ منها بدون كراء وببد من هو، وهل يعتمره المنفذ له أو يكرهه على
يده، وهكذا إلى أن تاتى على جميعها على الوجه المذكور، ووجه التقييد بها
واصلا لحضرتنا الشريفة والسلام فى ٢٨ جمادى الأولى عام ١٣١٥».

ونص الخامس:

بإمضاء النائب أبى عبد الله محمد بن العربى الطريس:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله، محبنا الأرضى ناظر
أحباس الدار البيضاء: أمنكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا
نصره الله، وبعد: فقد دعت الحاجة لمعرفة الأجانب وأهل الحمایات المتقاعدين
على أملك الأحباس هنا كم الممتنعين من إعطاء الواجب عليهم فيها، وعليه
فبوصول هذا إليكم بينوا لنا كل من بيده ملك لجانب الحبس وهو متقاعد عليه
ممتنع من أداء كرائه مع بيان قدر الكراء الذى يساويه كراؤه الآن، وعجلوا بذلك
وعلى المحبة والسلام فى ١٠ رمضان المعظم عام ١٣٢٤ محمد بن العربى الطريس
لطف الله به».

ونص السادس:

بعد الحمدلة وما يتبعها من السلام والطابع السلطاني العزيزي الكريم:

«خدمنا الأرضى ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن تشرع فى إصلاح ما لا بد منه من رباع الأحباس المتهدمة والمتخربة لما تقدم وقوعه هنالك وتتمشى على الضابط الممهد فى إصلاحها بعد تقديم الأهم فالأهم منها، ومراعاة المصلحة فى كل شيء، وقد أمرنا العامل بشد عضدك فيه والسلام فى ١٣ قعدة الحرام عام ١٣٢٥».

ونص السابع:

«خدمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فنأمرك أن توجه لشريف حضرتنا العالية بالله حساب مدة خدمتك بالأحباس المذكورة داخلا وخارجا مبنيا على آخر محاسبة صدر بها أمرنا الشريف إن كانت، وإلا فمن يوم تصرفك إلى تاريخه مع بيان القدر الموفر الذى تحت يدك، كما نأمرك بأن تكون توجه لشريف أعتابنا عند استهلال المحرم من كل سنة نسخة من الحساب داخلا وخارجا مفصلا بكناش خاص والسلام فى ١٧ صفر عام ١٣٢٣».

ومن اهتمامها بالتجارة والعدل فيها من غير مراعاة الجنسية ما وقفت عليه من ظهائر تعيين بقعة لنشر التجار الأجبيين ما يشترونه من الجلود فيها، وظهير إنشاء بنك مغربى، وظهيرى إنشاء البوسطة، وظهير إنشاء المعاملة بالواردين ودونك نصوصها على التتابع، فلفظ الأول:

«خدامنا الأرضين، أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فقد كان طلب تجار الأجناس بذلك

الشغرابيضاوى المحوط تعين بقعة لغسل الجلود ونشرها هنالك، وكنا أصدرنا شريف أمرنا لكم وللعامل والناظر للمفاوضة فى تعيين محل يصلح لذلك من محلات المخزن أو الأحباس، ويكون التجار يؤدون كراءه، ثم جدد الآن بأشادور الألمان طلب تجاره ذلك، وعليه فنأمركم أن تجتمعوا مع خدامنا العامل وأمين المستفاد وناظر الأحباس وتتفاوضوا فى تعيين بقعة لما ذكر مما لا ضرر فيه على المخزن ولا على أهل البلد بعد اتفاقكم مع التجار عليها وعلى قدر الكراء الذى يؤديه التجار فيه، وتعلمونا بذلك وقد أمرنا الخدام المذكورين بمثله والسلام فى ٢٨ قعدة عام ١٣٢٥».

ولفظ الثانى:

«خديمنا الأرضى ناظر الأحباس بالدار البيضاء المحروسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد أخبر نائب الألمان بأن التجار هنالك لما طولبوا بعدم نشر الجلود فى المحل الذى ينشرونها به حرصا على تنظيف البلد احتاجوا لمحل آخر ينشرونها به وطلبوا تعيين محل بحومة السور الجديد هنالك لذلك، وقد أجب بكون بقعة السور الجديد حوطها المخزن لغرض مهم ولا يمكن استعمالها فيما طلبوه، وأن أمرنا الشريف صدر بتعيين محل يصلح لما طلبوه وعند اختياره يحوطه ناظر الحبس ويكون التجار الذين ينشرون فيه يؤدون كراءه للحبس، وعليه فنأمركم أن تجتمع مع خديمنا القائد بو بكر بن بو زيد وأمناء المرسى والمستفاد وتتفاوضوا فى تعيين محل مناسب لما طلبوه كالمحل الذى لجانب الحبس قبالة باب الرخى الفاصل عن محل الخزائن التى ستبنى للتاجر لام أو غيره، وإن يكن خارج البلد فهو أولى، ثم بعد اختياركم للمحل اللائق تشرع فى تحويطه ويمكن التجار منه ويطالبون بأداء الكراء عنه للحبس، وقد كتبنا للعامل والأمناء بمثله، ولتعلم بالمآل فى ذلك، والسلام فى ١٨ رجب عام ١٣٢٤».

ولفظ الثالث :

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء المحروسة، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد كان طلب تجار الأجناس بذلك الثغر البيضاوى المحوط تعيين بقعة لغسل الجلود ونشرها هنالك، وكنا أصدرنا شريف أمرنا لك وللعامل وأمناء المرسى بالمفاوضة فى تعيين محل يصلح لذلك من محلات المخزن أو الأحباس، ويكون التجار يؤدون كراءه، ثم جدد الآن بإشادور الألمان طلب تجارهم ذلك، وعليه فنأمرك أن تجتمع مع خدامنا العامل وأمناء المرسى وأمين المستفاد، وتتفاوضوا فى تعيين بقعة لما ذكر مما لا ضرر فيه على المخزن ولا على أهل البلد بعد اتفاقكم مع التجار عليها وعلى قدر الكراء الذى يؤديه التجار فيها وتعلمنا بذلك، وقد أمرنا الخدام المذكورين بمثله والسلام فى ٢٨ قعدة عام ١٣٢٥».

ولفظ الرابع :

«محبننا الأعز الأرضى الأمين السيد إدريس الفيلالى، أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فلا يخفى أن من جملة ما تضمنه وفق المؤتمر الدولى تأسيس بنك بالمغرب يسمى بالبنك المخزنى مؤلفا رأس ماله من بانكات الدول الذين حضر أعضاؤهم لجمع المؤتمر المذكور، وحيث لم يكن بهذه الدولة الشريفة بنك حالى يتولى دفع ما نابه فى رأس مال البنك المخزنى من السهم المغربى، أنعم سيدنا أيدى الله على بعض أعيان تجار رعيته السعيدة ليتولوا دفعه ويكون لهم السهم بالبنك المخزنى، ويستمدون نفعه على قاعدة أرباب السهام بالأبنك وليس من مقتضيات السياسة الوقتية والمصلحة الراجعة لجانب المخزن والرعية تسليم السهم المغربى لبقية الدول والإعراض عنه بالكلية، وقد رشح أيدى الله للنيابة عن أرباب السهم المغربى بالبنك المذكور الأمين الحاج إدريس بن

جلون، وتوجه لما هو بصدد من ذلك العمل بطنجة ملتزما بواجب السهم المغربى ودفع رבעه حالا، وحيث كنت من جملة المقسط عليهم السهم المذكور فبأمر مولانا أيده الله بمجرد وصول هذا إليك أن توجه للأمين المذكور واجبك فى ربع السهم وقدره خمسون ابرة سكة الفرنك يجب فرنك ١٢٥٠ وبنفس ما يعلمك بتوجيه الربع الثانى وجهه له من غير تأخير، وهكذا إلى أن تكمل له واجبك فى ذلك وقدره مائتا ابرة، وما توجهه له من ذلك يكون يجيبك عنه بالتوصل وحلوله محله ليكون جوابه حجة لديك كما تكون مصارفتك معه فيما ينوبك من الربح فى ذلك وعلى المحبة، والسلام فى ١٢ حجة الحرام عام ١٣٢٤ محمد التازى».

ولفظ الخامس:

«خديمنا الأرضى ناظر أحباس ثغر الدار البيضاء المحروس بالله، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فإن سفير الفرنسيس بشريف أعتابنا أخير بأنهم توقفوا على محل متسع لترتيب بوسطاهم هناكم به وطلب جعل تأويل معهم فى محل المخزن المعروف بأروى الأمانة ثمة إما بالكراء أو غيره ليجعلوه محلا للبوسطة، وعليه فنأمرك أن تقف مع خدامنا أمانة المرسى وأمين المستفاد ثمة على عين المحل المذكور، وتخطوا صورته على حالته الآن وتوجهوها لشريف حضرنا وتبينوا قدر مساحته وقدر كرائه الآن وما يساويه من الكراء بعد أن يبنى على كيفية البوسطى وقدر ما يصير على بنائه ليظهر، وقد كتبنا لخديمنا المذكورين بمثله والسلام، فى شوال عام ١٣٢٥».

ولفظ السابع:

«الفقيه الأرضى السيد أحمد بن سودة سدك الله، وسلام عليك ورحمة الله، وبعد: فقد اقتضى نظرنا الشريف تأسيس ضابط لعقد المعاملات التى تكون بين تجار الأجناس وبين المشتريين منهم بالواردين على وجه يرتفع به الضرر عن

الجانبين، وهو أن لا يبيعوا لأحد شيئاً بـ (الوردن) إلا بشهادة عدول ثقات يعينهم القاضى لذلك بكل بلد، بحيث لا يشهدون إلا بإذنه مع إذن العامل لذلك على شرط أن يكون المشتري ملياً وأن يضمنه أربعة من أهل خطته، ومن لم تكن بيده هذه الشهادة العدلية بإذنه وإذن العامل وبهذين الشرطين وادعى على أحد بشيء فلا تقبل دعواه ولا شيء له، نعم من أراد أن يبيع لأحد شيئاً بدون هذين الشرطين بعد تقريرهما له وطلب من القاضى والعامل الإشهاد فقط من غير ضمان ولا ثبوت ملاء فيشهد عليه أولئك العدول أنه رضى ذمة ذلك المشتري بعد أن علم أنه ليس بملى وليس له ضامن وأنه منه إليه ولا يدعى بدعوى فيه إن تعذر له شيء عنده بخسارة أو عدم أو نحو ذلك، وكذلك يكون هذا الضابط بعينه فى المخالطات التى تكون بغير الواردين من سائر المعاملات، وعليه فنأمر أن تحضر مع الباشا حين يستدعيك لتأسيس هذا الضابط المذكور عند ظهور أحد من تجار الأجناس هناك بقصد إرادة المعاملة مع الناس بالواردين أو بغيرهما، وتحضروا تجار مكناس حرسها الله من مسلمين ويهود وعراف الحرف وتقرروا لهم أمره، وتعين أربعة من ثقات العدول وصدورهم وتبين أسماءهم لوصيفنا الباشا المذكور، وتقرر عليهم الإشهاد بما ذكر بعد أن تشترط عليهم أن يستأذنوك فى كل شهادة، وكذلك الباشا لتكون على الشرط المذكور والضابط المحصور وتحذر من عداهم من الإقدام على الإشهاد لشيء من ذلك ومن خالف منهم تلزمه العقوبة الشديدة، وخذ فى ذاك بالجزم ورد البال والتيقظ وعدم التساهل، لأن العدول فى عهدتك وقد كتبنا للباشا بهذا وأكدنا عليه فى الوقوف عنده والاحتياط فيه والمضى معك على مقتضاه، والسلام فى ٢٣ صفر عام ١٣١٣هـ.

ومن اهتمامها بضبط مالياتها ما تقدم من ضبط أمنائها والمراقبين عليها ما وقفت عليه فى ظهيرى تعيين أجور الأميين والعدلين وظهير توجيه حسابات مستفادات المرسى كل أسبوع، ودونك لفظ الأول بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني:

«خديمينا الأرضين أمينى الموضوع بمرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكما الله، سلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فنأمركما أن تكونا تقتصران فى أجرتكما على مائتى ريال تشية مشاهرة لكل منكما وفى أجرة العاملين معكما على مائة ريال مفردة مشاهرة لكل واحد منهما وذلك من شهر تاريخه، والسلام فى ٧ صفر عام ١٣٢٦».

ونص الثانى:

بعد الحمد له والصلاة والطابع المنيّف:

«خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: فلأجل مصلحة تخفيف صوائر المرسى من حيث هى: اقتضى نظرنا الشريف أن يكون قدر راتبكم الشهرى وراتب العدول معكم مائتى ريال بالثنية وعشرين ريالا للأمين الأفاقى معكم، ونصفها وهو مائة ريال وعشرة ريال للعدل الأفاقى معكم، ومائة وخمسون ريالا للأمين البلدى منكم، ونصفها وهو خمسة وسبعون ريالا للعدل البلدى معكم، وعليه فنأمركم بأن يكون عملكم فى تصوير الرواتب المذكورة على مقتضى ما ذكر ولتثبتوا نسخة من كتابنا هذا بحله من كناش ضابط خدمة المرسى ليتمشى عليه الأمناء بعدكم، والسلام فى ١٧ صفر الخير عام ١٣٢٦».

ولفظ الثالث:

بعد الحمدلة والسلاة والطابع السلطانى:

«خدامنا الأرضين أمناء موضوع مرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، وبعد: وصل كتابكم بحصل الأسبوع المغيا بسابع شهره وصار بالبال زكاه الله ونماه والسلام فى ٢٣ جمادى الثانية عام ١٣٢٦».

فهذه جملة يعتبر بها غيرها استطردها تنبيها على أن أمراءنا كان لهم الشغف بضبط ما ولوا عليه لو أسعدهم الدهر بولاة أهل كفاءة واقتدار مثل صاحب الترجمة.

البيعة الحفيظية:

ولم يزل أمر الدولة ينحل، ونظامها يختل، إلى أن قام بعض رؤساء من أعيان القبائل الحوزية يدبر في رتق ذلك الفتق عسى أن ترجع المياه لمجاريها، فأداه اجتهداه إلى أن ذلك لا يتم إلا بجمع الكلمة على مبايعة الخليفة السلطاني الذي كان بين أظهرهم بالحضرة المراكشية في ذلك الحين وهو المولى عبد الحفيظ لحزمه ونجدته ونباهته وتيقظه وعلمه، فأعلنوا بنصره وخلع أخيه المولى عبد العزيز بمراكش صبيحة يوم الجمعة سادس رجب عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف، وفي ذلك قال الأديب السيد عبد الله التادلي الرباطي مؤرخا:

قد بدا عبد الحفيظ المرتضى ملكا ما مثله قبل ملك
سأل الإقبال ما تاريخه قلت يا إقبال (بشر بالملك)

١٢٣٠، ١٢٣١

١٣٢٥

وأسباب الخلع والبيعة مبنية في صك بيعتهم التي وقعت بعد أخذ فتوى العلماء في المخلوع وكفاءته وتلت بيعة مراكش بيعة الجديدة وآسفى، إلا أنهما أعيدتا بعد لطاعة المخلوع.

ولما قدم المخلوع للرباط بنية استرجاع طاعة مراكش إليه أعلن بخلعه أيضا بفاس يوم الجمعة ثانی وعشرى قعدة الحرام عام خمسة وعشرين المذكور بعد استفتاء العلماء في شأنه وإفتائهم بوجوب عزله ليقضى الله أمرا كان مفعولا، ومن



السلطان السابق مولانا عبد الحفيظ

الغد ببيع بها للمولى عبد الحفيظ بعد هرج ومرج تركت لغيرى تفصيله، وكان ذلك على شروط مندمجة فى عقد البيعة وهى من إنشاء أبى العباس أحمد بن عبد الواحد بن المواز صدر الكتاب وواسطة عقدهم ودونك لفظها:

الحمد لله الذى جعل كلمة الحق هى العليا، وأرشد المؤمنين من عباده لاتباع مقتضياتها أمرا ونهيا، وفضل الأمة المحمدية على سائر الملل والأجناس كما فضل آل بيته الكريم على الناس، وشرف هذا الوجود بمن يرقيه الله من خيارهم منصب الخلافة، فيتبع فى الشريعة والعدل والسياسة سنة جده، ويقتفى فى ذلك الكرام أسلافه، تصديقها لقوله ﷺ ولاية أهل بيتي، أمان لأمتي.

نحمده سبحانه أن تفضل على المسلمين بالهداية لقبلة الرشاد، والتمسك بحبل التوفيق والإسعاد، والعدول عن مواضع الزيغ والتفريط والعناد، ونشكره أن هدى خاصة الأمة وعامتها لتقليد من يوفى بالعهود الشرعية، ويقوم بحفظ الدين ومصالح الرعية.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى يؤتى الحكمة من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الشفيع فى أمته يوم يتميز القاسطون من المقسطين، والحافظون للأمانة من المفرطين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا فى كشف غياهب الضلال، وكانوا يميلون مع الحق حيث مال، ولا يحابون من يتساهل فى أحكام الشريعة بحال.

أما بعد: فإنه لما أراد الله تعالى أن يزيح ليل الجهالة عن عباده، وأن يجدد الدين بمن يطلعه شمسا فى أرضه وبلاده، ليعود عز الإسلام لشبابه، ويبقى استناد الإمامة العلية إلى سنته وكتابه، وتعلقها من الشرع بأسبابه، تدارك سبحانه

الوجود، وأعز العالم الموجود، واستطارت الأنوار المضيئة للأغوار والنجود، بمبايعة من يُعيد الله به شمس الخلافة إلى برج شرفها، ويرد به نقطة العدل والحلم إلى مركزها، ويحيى به أثر الخلفاء الراشدين، ومكارم الأسلاف الكرام المهتدين، وهو من حاز من الأوصاف الكاملة غايتها، وبلغ من المزايا الجسيمة نهايتها، فاكتمت العلم لباسا، والشجاعة أتراسا، واتخذ العلم أساسا، والحلم شعارا، والكرم دثارا، والدين قواما، والسياسة الشرعية نظاما، مولانا أمير المؤمنين ابن مولانا أمير المؤمنين الذى جعله الله خير آية ناسخة، وأثبت له فى الكمالات قدما راسخة، نخبه الخلافة العلوية، وجوهرة عقد المملكة الإسلامية، المتفائل باسمه، فى حفظ الإسلام ورسمه، أبو المعالى مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الامام المقدس بالله سيدنا الحسن ابن ساداتنا الملوك الكرام، المقدسين فى دار السلام، لما ألقى الله له فى قلوب الخلائق من الحب الجميل، والاعتقاد الذى هو بنصرة الدين كفيل فحبذا من إمام تهتز لذكره أعطاف المنابر، وتتقلد من شريف دعوته بأبهى من نفيس الجواهر، وتستضىئ البلاد بإكليل شرفه الزاهر، وتسكن العابد تحت ظله المؤيد الوافر، أبقى الله أيامه، بقاء يستصحب النصر دوامه وخلد له ولأعقابيه هذا الأمر الكريم إلى يوم القيامة، فانتدب من وقفت بهم مطية التوفيق، على حضرة الإخلاص والتصديق، وأخذت بهم أزمة السعادة إلى حيث الفوز برضا الله ورسوله حقيق، من جميع أهل فاس الإدريسية، لا زالت مصونة محمية، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم وخاصتهم وعامتهم وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد، على تقليد الجمع بيعة مولانا أمير المؤمنين المذكور، المختص بالسعد الباهر واللواء المنصور بيعة تؤسس على تقوى من الله ورضوان، ويشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان.

فبايعوه كلهم على الأمن والأمانة، والعفاف والديانة والعدل الذى يشيد

للمجدار كانه، مبايعة شائعة على عقدها الكريم بحكم الوفاق، وعموم الاتفاق،
والمواثيق الشديدة الوثاق، وبجميع الأيمان، الصادقة الإيمان، أعطوا بها صفقة
أيديهم، ورفع العقيرة بها مناديتهم.

وندبوا إليها سائر القبائل التي بنواحيهم، عارفين أن يد الله فوق أيديهم
وأمضاها الكل المجموعى والجميعى على السمع والطاعة، والانتظام فى سلك
الجماعة إمضاء يدينون به فى الجهر والسر، والعسر واليسر، والتزموها رغبة منهم
وطوعا، واستوعبوا شروطها أصلا وفرعا، وجنسا ونوعا، خالصة صادقة وعدة
من الله بالخير لهم سابقة، وسعادة بالحسنى لاحقة، أبرءوا عقدها، وأحكموا
عهدها، وعرضوا عليها أفرادا وأزواجا، وزمرا وأفواجا، وناداهم داعى السعادة
إعلانا، لقوله تعالى «فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا».

وكيف لا وهو المتصف بالكفاية الشرعية التى بينت فى كتب الفقه بأن يكون
مهتديا إلى مصالح الأمور وضبطا، ذا نجدة فى تجهيز الجيوش وسد الثغور، وذا
رأى مصيب فى النصر للمسلمين، لا تروعه هواة النفس عن التكيل لمستوجبى
الحدود. انتهى.

فقد جعله الله زمام الأمور ونظام الحقوق والقطب الذى عليه مدار الدنيا
وهو حمى الله فى بلاده، وظله الممدود على عبادته، به يمتنع حريمهم وينصر
مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم قال تعالى:

الذين إن مكنهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف.
الآية، وقال أبو هريرة رضى الله عنه: «لما نزلت آية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
وأولى الأمر منكم قد أمرنا بطاعة الأئمة وطاعتهم من طاعة الله»، وفى الحديث
عن مولانا على كرم الله وجهه: «إمام عادل خير من مطر وابل» وفى الحديث
السلطان ظل الله فى الأرض ورمحه، وفى الحديث من أجل سلطان الله أجله الله

وفى الحديث المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وفى الحديث: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» وسئل سهل أى الناس خير؟ فقال: السلطان، لأن لله فى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال الناس، ونظرة إلى سلامة أبنائهم فيطلع فى صحيفته فيغفر له ذنوبه

وفى السراج ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبيٌ مرسل أو ملك مقرب.

وقالت الحكماء: أسوس الناس برعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها ولا غرو أن مولانا أمير المؤمنين، الذى انتظمت بيعته فى أعناق المسلمين، أجل من صدقت فيه ظنونهم ونياتهم، وتوجهت إليه آمالهم وأمنياتهم، ومدت له الرعية أزمته، وقدمت إليه الوفود أعتتها، راجين من شريف همته، وكريم عنايته، أن يلبسهم رداء نعمته. وينزلهم ظل كرامته، ويعمهم بسيرة المعدلة، ويشملهم بالحلم والفضل والرحمة المكملة، ويسعى جهده فى رفع ما أضر بهم من الشروط الحادثة فى الخزيرات، حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها ولا علم لها بتسليم شىء منها وأن يعمل وسعه فى استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية وأن يباشر إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما ويزين صحيفته الطاهرة بحسنة استخلاصهما، وأن يستخير الله فى تطهير رعيته من دنس الحمایات والتزیه من اتباع إشارة الأجانب فى أمور الأمة، لمحاشاة همته الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة.

وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد فليكن مع إخواننا المسلمين كآل عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة، وإذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب فى أمور سلمية أو تجارية فلا يبرم أمرا منها، إلا بعد الصدع به للأمة، كما كان يفعل سيدنا المقدس الحافظ للذمة، حتى يقع الرضا منا بما لا يقدر فى دينها ولا عقائدها ولا فى استقلال سلطانها.

وأن يوجه أيده الله وجهته الشريفة لاتخاذ وسائل الاستعداد، للمدافعة عن البلاد والعباد، لأنها أهم ما تصرف فيه الدخائر والجبايات، وأوجب ما يقدم فى البدايات والنهايات، وأن يقر بفضل العيون والنفوس، برفع ضرر المكوس، ويحقق رجاء خدامه وكافة رعاياه بالذب عن حرمايتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم وصيانة دينهم وحيطة حقوقهم، وتجديد معالم الإسلام وشعائره بزيادة نشر العلم، وتقويم الوظائف والمساجد، وإجراء الأحباس على عملها القديم، وانتخاب أهل الصلاح والمروءة والورع للمناصب الدينية.

وكف العمال عن الدخول فى الخطط الشرعية، وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم فى القضايا والأغراض لما تحقق والحمد لله من كمال أوصاف مولانا الإمام، واعتماد المسلمين على كفايته فى الأمر الخاص والعام.

فهو أيده الله العضب الكافى، ورأيه العلاج الشافى، ومما يقتضيه حسن سيرته وكمال وفائه جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين، واعتبار مقادير الأشراف وأهل العلم والدين وإقرار ذوى الحرمة على ما عهد لهم من المبرات والاحترام، وظهائر الملوك الكرام، وإبعاد الطالحين، وإخساء المفترين والواشين، ومعاملة المؤمنين، بما تعودوه منه من أسلافه المقدسين، من إثارة العفو والحلم والإنابة. وتجديد مآثر الخير فى حالة العز والثبات وحسن الظن بسيدنا أيده الله حمل أهل مملكته الشريفة المتيمين بكريم بيعته المنيفة على أن صدعوا لجلالته بما أثرت فيه مضرتة، عالمين أنهم لا يكشف ما بهم إلا عناية مولانا المنصور وهمتة، ومستسلمين مع ذلك إلى الله بالقلوب الخاشعة، ومبتهلين بالأدعية النافعة، أن يعرفهم الله خير هذا العقد الكريم بدءا وختاماً ويمنحهم بركته التى تصحبهم حالا ودواماً، لا رب غيره ولا خير إلا خيره، أشهدوا على أنفسهم بما فيه عنهم عموماً

والواضعون أشكالهم عقبه خصوصا وهم عارفون قدره وأكملة وفي فاتح ذى
الحجة الحرام عام خمسة وعشرون وثلاثمائة وألف .

ولما خرج المولى عبد العزيز المخلوع إلى إرجاع مراکش لطاعته انكسر ورجع
إلى الدار البيضاء، فبايعت طنجة أخاه المذكور يوم الأحد ٢٤ رجب ١٣٢٦ ثم
العرائش والعدوتان سلا، وألرباط - وكانت بيعتهما فى يوم الثلاثاء ٢٦ رجب
المذكور - ثم الجديدة وآزمور يوم ٢٨ منه ثم الصويرة يوم الأربعاء ١٢ شعبان عامه
وهكذا .

وكانت هذه البيعات مبعث ارتياح واستبشار من الناس بسلطانهم الجديد
العالم فطفقوا يتفاءلون باسمه ويرجون أن يكون له من اسمه نسبة فتحفظ البلاد
من أرواء التفكك والانحلال، ويعود لها ما انتقص من أطرافها، وقال الشعراء فى
ذلك مظهرين شعور الأمة فكان من جملة ما قيل قول الأديب الكبير السيد أحمد
ابن قاسم جسوس:

بشرى الخلائق لا تزال تزيد	هذا زمان كل أنه عيد
ذهب العناء جميعه وتتابع	زمر الهناء بسيطها ومديد
والبشر باد والسرور موفر	والأنس يبدى ما يشا ويعيد
وهى قصيدة من غرر منشآته .	

وقد حققت الأيام بعض ما كانوا يرجون على يديه، فقبض على أبى حمارة
كما تقدم تفصيل ذلك قريبا، ولجسوس المذكور قطعة فى ذلك يقول منها:

لله من نبأ غدت أفراحه	تترى لدينا بالنعيم الطيب
نبأ الشقى المارق القدم الذى	كم شب من نار بقطر المغرب

نبأ الخبيث أبى حمارة والذي هو فى المنابت لم يكن بالطيب
أشقى الورى فى عصره وقداره وغروره بتمرد وتوثب
ولكن الفتق كان فوق قدرة الراتق فرغما عن هذا كله لم يزل الأمر ينحل،
والرعية تتجراً وتتمرد، إلى أن كان مما لست أذكره.

هذا بعض مما حدث بموت المترجم أحمد بن موسى .

ولو تتبعنا الأحداث التى وقعت بموته وتفاصيلها لاحتجنا لمجلدات،
وبالجملة فترجمة هذا الرجل طويلة الذيل، بعيدة النيل، ما أجدرها بأن تفرد
بالتأليف ولبعض الشاميين نزلاء المغرب فيه تصنيف سماه «الثغر البسام» فى مآثر
الوزير «أحمد بن موسى الهمام» فى مجلد وسط أتى على تفاصيل من أحوله
وسياسته ومزاياه وترجم لعدة من علماء المغرب بفاس والرباط .

٧٤ - أحمد أبو العباس ابن الحاج عبد القادر بن علال العرائشى المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: له معرفة بالفقه والنحو والفرائض، ومهارة تامة فى الحساب والتوقيت
والتعديل، ومعرفة الطوابع وأحكام النجوم والأوقاف والرمل، تولى خطة الكتابة
مع شيخه العلامة الحاج المختار بن عبد الله، ثم الأمانة على أمراس خزن الحبوب
والزيوت المولوية التى تجبى من أعشار الإيالة المغربية ثم الكتابة مع محتسب مكناس
الحاج محمد بن العربى أجانا، ثم انسلخ عن ذلك كله وأقبل على تدريس الحساب
والتوقيت والتعديل، ودرس القلصادى، ومنية ابن غازى، والمقنع وروضة الأزهار،
وعمل الربع المجيب، والرسالة الستينية فى الضرب، والقسمة، وتسهيل الطالب،
ومنهاج ابن البناء، وابن العاشر، والجرومية، والألفية وغير ذلك فنفع الله به
أقواما .

٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٤

مشيخته: اخذ عن العلامة الحاج المختار مختصر خليل والألفية، وعلى غيره ممن هو في طبقته من أعلام وقته، وأخذ التعديل والحساب والتوقيت وغير ذلك عن موقت مكناس السيد الجليلي^(١) الرّحالي، وعن ميقاتي فاس السيد إدريس الحبابي، وبه كان كامل إنتفاعه.

الآخذون عنه: أخذ عنه الأستاذ المعدل أبو محمد عبد القادر بن المعطى دعى الصبيح بالتصغير، والوجيه الميقاتي الطالب العلمي بن رحال والعدل الفقيه ابو على الحسن المنوني، والطالب مصطفى بن موسى وخلق.

وفاته: توفي رحمه الله في ذى الحجة عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

٧٥ - أحمد بن الطالب بن سودة المرّي.

قاضيها أبو العباس، وسودة بفتح السين وسكون الواو كما فى شرح القاموس، وضم السين هو الجارى على الألسنة.

حاله: كان أعجوبة الدهر، وفريد العصر، فقيها مشاركا بحرا لا يدرك له ساحل، جبلا راسخا فى العلم والإتقان والتحرير والتعبير، عزيز المماثل، فارس مقدمة الفنون، محيط بعنوان تراجمها وأبواب وأسرار سرها المصون، عارفا بمعانيها وبديع محاسنها مع بيان ما انطوت عليه من فصيح الكلام وبليغة، من غير تنافر ولا مخالفة قياس فى تأديته وتبليغه، حسن الإلقاء والتعبير، لا تكدر قاموس إملاءاته دلاء الباحثين، جههذ حلال، بعيد الشأو فى تحرير عويص المسائل.

تولى نيابة قضاء مكناسة الزيتون بطلب من أخيه قاضيها أبى عيسى المهدي حسبما وقفت على جواب الوزير إذ ذاك للقاضى المذكور بإسعاف رغبته ونصه بعد الحمدلة:

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلاني» وصوابه من إتخاف المطالع فى الموسوعة ٢٧٨٩/٨.

٧٥ - من مصادر ترجمته: إتخاف المطالع ٢٨٣٣/٨ فى موسوعة أعلام المغرب.

«محبنا الأَرْضِي، العلامة الأَحْظَى، السيد المهدي بن سودة، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فقد أنهينا لمولانا أيده الله ما ذكرت لنا في شأن ما أردت من إستنابة أخيك الفقيه السيد أحمد فيما يكون من الدعاوى الصغار، فأذن لك في ذلك أثمر الله غرسه والسلام، في رابع رجب الفرد عام خمسة وسبعين ومائتين وألف محمد الصفار وفقه الله».

ثم تولى خطة القضاء بآزمور مؤقتا عام خسة وثمانين ومائتين وألف على عهد السلطان سيدي محمد، ودونك نص ظهير توليته بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني المحمدي:

«أحباؤنا أهل آزمور كافة أعانكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد: فإننا قلدنا الفقيه السيد أحمد بن سودة خطة القضاء بذلك الثغر السعيد على سبيل قضاء الحاجة مدة محدودة، وأياما معدودة، وأمرنا بفصل الخصوم، ومطالعة الرسوم، والحكم بمشهور مذهب الإمام مالك، أو بما به العمل سالكا في ذلك أوضح المسالك، فعليه بتقوى الله العظيم ومراقبته، في سره وعلانية، وعليكم بالسمع والطاعة، وتنفيذ جهده قدر الاستطاعة، والله ولى التوفيق، والهادى إلى سواء الطريق، والسلام في متمم رجب الفرد عام خمسة وثمانين ومائتين وألف».

ثم طلب الإعفاء بواسطة الحاجب السلطاني إذ ذاك موسى بن أحمد فأسعف السلطان رغبته، وقفت على جواب الحاجب المذكور له عن طلبه ولفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الفقيه العلامة القاضى أبا العباس سيدي أحمد بن الطالب بن سودة سلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله، وبعد: فقد وصلنا كتابك مجددا العهد بنا وسائلا عن أحوالنا، فأنا سائل عنك كذلك ونطلب الله أن يسلك

بنا وبكم أحسن المسالك ، وعلمنا أنك تتشفع لنا بمولانا نصره الله فى نقذك مما كلفت به لأنك أتيت على الأمر المحدود وطالبا أن تكون من العلماء الناشرين للعلم بالقرويين إذ هو الأسلم لدينك والأزكى لدنياك ، ومستغيثا أن تحشر فى زمرة ورثة الأنبياء لا زمرة القضاة ، فقد أنهينا ذلك لمولانا نصرة الله ويسر الله فى قضاء الغرض ، وكتب مولانا أيدى الله لنجله وخليفته الأسعد مولانا الحسن حفظه الله بأن ينظر من مراكش فقيها يصلح للغرض المذكور ، وقد توجه له كتاب سيدنا أعزه الله بذلك وعلى محبتكم وطالب صالح دعائكم ، والسلام فى رابع قعدة عام ١٢٨٥ ، موسى بن احمد لطف الله به» .

ثم عين فى جملة من عين من الأعلام للتوجه لطنجة بقصد فصل قضايا الأجانب مع الأهالى .

ثم فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف ولى قضاء ثغر طنجة فى ثانى ربيع الثانى حسبما يظهر توليته ودونك لفظه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ثم الطابع السلطانى الشريف بداخله الحسن بن محمد وليه ومولاه :

يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره ، وجعل فيما يرضيه سبحانه لفه ونشره ، أننا بحول الله وقوته ، وشامل يمنه ومنته ، ولينا خطة القضاء بثغر طنجة المحروس بعناية الله الفقيه الأجل الأرضى السيد أحمد بن سودة لما علمناه فيه من الجد والتحرى والوقوف فى حقوق العباد ، واتباع طريق الرشاد ، وأسندنا له النظر فى فصل الخصوم ، وتصفح الرسوم والحكم بمشهور مذهب الإمام مالك ، رضى الله عنه أو ما به العمل ، فعهد إليه أن يراقب الله تعالى فى ذلك ، وأن يسلك فيه أحسن لمسالك ، وأن يقوم بأمره فى حق المشروف والشريف ، والقوى والضعيف ،

فنسأل الله أن يسدده ويوفقه لما فيه رضاه أمين، والسلام فى ثانى ربيع الثانى عام ١٢٩٢هـ.

ثم فى ثالث قعدة الحرام عام ثلاثة وتسعين - بتقديم المشاة على السين - ومائتين وألف أسند إليه النظر فى جميع القبائل المضافة لطنجة وفوض له فى قضاة باديتها بالتولية والعزل، ودونك نص الظهير الصادر له بذلك:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه، ثم الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد بن عبد الرحمن، الله وليه وبدائرتة:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد فى آجامها تجم
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا الله حافظه من كل متقم
يتعرف من كتابنا هذا أسمى الله قدره، وأعز أمره، وجعل فيما يرضيه
سبحانه لفه ونشره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنتته.

ولينا الفقيه السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بطنجة حرسها
الله وبجميع القبائل المضافة إليها المحسوبة من عمالتها، وأذنا له فى تصفح
الرسوم، والفصل بنى الخصوم، والحكم من مذهب الإمام مالك بالمشهور أو ما به
العمل عند الجمهور.

وفى تفقد أحوال قضاة بادية العمالة المذكورة، وعزل من لم يصلح منهم،
وتولية من يصلح فعليه بتقوى الله ومراقبته، والتحرى جهد استطاعته، وليتذكر ما
ورد فى حق أهل العدل من الوعد بالثواب والجنة، وفى حق أهل الجور من الوعيد
بالعقاب والمحنة، وقوله عليه الصلاة والسلام قاضيان فى النار وقاض فى الجنة،
ويعلم أن الله تعالى يراه، وأن جميع أحكامه تعرض عليه فى أخراه، ونطلب الله
أن يسدده ويوفقه لما يحبه ويرضاه.

والسلام فى ٣ ثالث قعدة الحرام عام ١٢٩٣ .

ثم ولى ضاء مكناسة الزيتون والخطابة بجامع قصبته السلطانية عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، وفق ما بظهير توليته ونصه بعد الحمدلة^(١) والصلاة والطابع السلطانى الحسنى:

يعلم من كتابنا هذا الراقى فى أوج اليمن والسعادة قدره، النافذ بعزة الله فى البسيطة نهيه وأمره، أننا بقوة الله وحوله، ومنته وطوله، ولينا الفقيه الأرضى السيد أحمد بن الطالب ابن سودة خطة القضاء بمكناسة الزيتون وزهون، وأذا له فى تصفح الرسوم، وفصل الخصوم، والحكم بينهم من مذهب الإمام مالك بالمشهور، أو بما جرى به العمل عند الجمهور فعليه بتقوى الله ومراقبته، والتحرى جهد استطاعته، وليتذكر وعدا منجزا ووعيدا، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود له أن بينها وبينه أمدا بعيدا، ويعلم أن الله تعالى سائله عما حكم به وقضاه، وأنفذه وأمضاه، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، والأمر يومئذ لله، ونطلب الله تعالى أن يوفقه لما يحبه ويرضاه.

والسلام فى عاشر رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف.

وأسند له تولية النظر فى محاسبة نظار جبل زرهون ومكناس وقفت على إقرار السلطان المولى عبد العزيز له على ذلك، ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى:

أقرنا بحول الله وقوته ماسكه الفقيه الأرضى القاضى السيد أحمد ابن سودة على ما تضمنه كتاب سيدنا المقدس الذى بيده من الإذن له فى محاسبة كافة نظار مساجد مداشر زرهون على نسق محاسبته مساجد مكناس ومسطرتها عندهم إقرارا تاما، وفى خامس عشرى صفر الخير عام اثنى عشرة وثلاثمائة وألف.

(١) حمدل: قال: الحمد لله.

كما كان تولى قبل ذلك الخطابة بضريح الإمام الأشهر، مولانا إدريس الأزهر، وبقيت بيده إلى أن لبي داعى مولاه ثم صارت لولده من بعده إلى الحين الحالى.

ورحل المترجم إلى الحج عام سبعة وستين ومائتين وألف على عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فى رفقة أنجاله المذكورين فى ترجمة أخيه القاضى أبى عيسى المهدي رحمه الله فحج وزار، ولقى فطاحل مشايخ تلك الديار، ودخل مصر والإسكندرية وتونس وأفاد واستفاد.

مشيخته: أخذ بفاس عن أخويه الحاج المهدي، والحاج عمر، وعن الشيخ الطالب ابن الحاج، والقاضى ابن كيران، والشيخ بدر الدين الحمومى والفقيه الكردودى، والفقيه ابن عبد الرحمن، وسيدى عبد السلام بو غالب وغيرهم.

وبمكة عن الحافظ العارف أبى عبد الله محمد بن على السنوسى الجغبوبى الطرابلسى.

وبالإسكندرية عن الشيخ مصطفى ابن محمد الكبابطى الجزائرى المتوفى بالإسكندرية سنة ثمان وستين ومائتين وألف.

وبتونس عن الشيخ محمد بن أحمد النيفر وأجازه الثلاثة الأخيرون عامة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه جل بل كل شيوخ العلم بمحروسة فاس ومكناس وغيرهما من بلاد المغرب كشيخنا أبى عيسى المهدي الوزانى العمرانى مفتى الديار الفاسية، وشيخنا العلامة أبى العباس أحمد بن المأمون الشريف البلغيشى قاضى مكناسة الحالى، وشيخنا الناقد الخبير أبى العباس أحمد بن الجيلالى^(١) الفيلالى الأمغارى ومن فى طبقاتهم، وشيخنا العلامة أبى عبد الله محمد بن عبد السلام

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى».

الشریف الطاهرى المکناسى قاضى مکناسة سابقا انتفع به كثيرا، وكان یخصه بدروس بداره كما أخبرنى لذاک قدس الله ثراه شفاهیا، وشیخنا الفقیه العلامة السید الحاج المختار بن عبد الله، وحبنا المعقولى الناظم الناصر الغالى بن المکى السنتیسى، وشیخنا ابى عبد الله محمد بن الحسین العرائشى، ووالدنا روح الله روحه، وخلق.

تألیفه: منها حاشیة على صحیح البخارى حکى لى غیر واحد من شیوخى أنها فى أعلى طبقة من النفاسة والتحریر، وتحریر المقال، وشرح على الشمائل، وحاشیة على المنطق لم تکمل، وشرح على الهمزية إلى قوله لیته خصنى برؤية وجه، وختمته لصحیح البخارى وغیر ذلك.

ومن بدیع ما وقفت علیه من استنباطاته ما نقلته من خطه على هامش رحلة العیاشى لما تکلم على تاریخ أخذ السلطان سلیم مصر: قد رام بعض الناس استخراج دولة سیدنا ومولانا وإمامنا المنعم علینا بكل طارف وتلید مولانا الحسن أبقى الله فخره وعلاه، من حدیث: «لا تزال طائفة من أمتى»... إلخ فاستخرج من ذلك ما تمجده الأسماع، ففكرت فى ذلك فألفیت على طائفة من أمتى هو عدد دولة الحسن ابنى وبنیه بعد فانتظم الحدیث هكذا: لا تزال دولة الحسن ابنى وبنیه بعد ظاهرين على الحق... إلخ، ولما أطلعتة أعزه الله ونصره على ذلك أثابنى علیه بعطية سنیه لها بال، كثر الله خیره وأدام عزه ونصره ومتعنى والمسلمین بطول حیاته آمین، وذلك فى شوال عام ١٣٠٥ .

ومن مفاداته أيضا الدالة على عنايته بالتقید ما لفظه ومن خطة نقلت:

الحمد لله الذى استقر علیه عمل سیدنا ومولانا أمير المؤمنین، مدة تنیف على العشر سنین، فى سرده لصحیح الإمام البخارى فى الثلاثة الأشهر أنه یقرأه فى ستة وثلاثین نصابا، وبیان أول كل نصاب هكذا، ١ بدء الوحى ٢ الموضوع ٣

التيمن ٤ المواقيت ٥ الصف الأول ٦ أبواب العيدين ٧ فضل الصلاة بمسجد مكة ٨ الزكاة ٩ سقاية الحاج ١٠ فضائل المدينة ١١ يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا ١٢ كتاب الشرك ١٣ الهبة للولد ١٤ وابتلوا اليتامى ١٥ الجهاد بإذن الأبوين ١٦ بدء الخلق ١٧ ولقد آتينا لقمان الحكمة ١٨ مناقب عثمان ١٩ هجرة النبي ﷺ ٢٠ غزوة الحديبية ٢١ حديث كعب بن مالك ٢٢ سورة الأنعام ٢٣ سورة لقمان ٢٤ سورة والشمس وضحاها ٢٥ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ٢٦ وهزى اليك بجذع النخلة ٢٧ الرقى بالقرآن ٢٨ الأدب ٢٩ أحب الأسماء إلى الله ٣٠ الوضوء عند الدعاء ٣١ الأيمان والنذور ٣٢ فمن لم يستطع منكم طولا ٣٣ تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ٣٤ كتاب التمني ٣٥ عالم الغيب والشهادة ٣٦ والله خلقكم وما تعلمون.

ولادته: وجدت بخطه أنه ولد ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب عام واحد وأربعين ومائتين وألف:

وفاته: فى بفاس عن خطته اثر شروق شمس صبيحة يوم الجمعة فى الساعة السابعة عاشر رجب عام واحد وعشرون وثلاثمائة وألف، ودفن بعد العصر من يومه بزواية الشراوى قبالة درب الدرج^(١) من فاس.

٧٦ - أحمد بن إدريس الخطابى أبو العباس المرابط الزرهونى.

من زاوية مولانا إدريس.

حاله: فقيه ماجد، تولى نيابة القضاء بزواية زرهون عن أبى عباس بن سودة المترجم قبله يليه واستمر على نيابته إلى أن توفى عنها.

مشيخته: أخذ عن جمع من شيوخ فاس، وسمع البخارى على العلامة سيدى الفضل الحسنى الشيبهى بزرهون.

(١) فى المطبوع: الدروج، والمثبت من ترجمته فى الموسوعة.

وفاته توفي ببلدة ليلة يوم الأربعاء الخامس او السادس من جمادى الثانية عام
ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف .

٧٧ - أحمد بن الفاطمي بن محمد بن محمد بن النقيب مولاى عبد القادر
الشريف الإدريسي الشبيهي .

من زاوية زرهون .

حاله : نشأ فى عفاف وصيانة ، ومهر فى علم الحساب ، وله معرفة بالهيئة
والتعديل والتنجيم والجدول والأسماء حسبما ذلك بخط ولده المولى محمد ، تولى
رياسة فن الحساب فى وقته ، وأكب فى آخر عمره على العبادة والتلاوة والأذكار ،
والتهجد فى الأسحار ، والاعتكاف وملازمة الزاوية الدرقاوية والمسجد الجامع ولم
يزل على ذلك إلى أن لى داعى مولاه .

مشيخته : أخذ عن الشيخ عبد الله ابن الخياط العطار شهر بـ «اسى الخياط»
وعن الإمام النظار شيخ الجماعة بفاس سيدى محمد بن عبد الرحمن الفيلالى
الحجرتى ، وأبى العباس أحمد بن محمد المرينسى ، وسيدى أحمد بنانى ، وسيدى
عبد السلام بو غالب ، وسيدى محمد بن حمدون بن الحاج السلمى المرداسى ومن
فى طبقتهم من شيوخ فاس وقاداته ، وكان يحضر دروس أخيه العلامة مولاى
الفضيل ، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن سيدى مالك بن خدة دفين الزاوية .

الآخذون عنه : أخذ عنه علم الحساب ولده سيدى محمد ، وجماعة من طلبة
الزاوية الإدريسية

ولادته : كانت ولادته قبل ولادة أخيه سيدى الفضيل بثلاثة أعوام ، وذلك
أواسط العشرة الخامسة من المائة الثالثة بعد الألف .

وفاته : توفي رحمه الله بفاس القرويين سادس عشرى قعدة الحرام عام أربعة

وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة بنونة بسيدى على بو غالب، رضى الله عنه وأرضاه

٧٨ - أحمد بن محمد بن عزوز أبو العباس.

حاله: كان فقيها وجيها عدلا مبرزا موثقا فرضيا حيسوبيا ماهرا، له معرفة حسنة بالنوازل، ويحفظ التحفة ولامية الزقاق حفظا متقنا، من أجل الناس وأتقاهم، يقصده وجهاء بلده وغيرهم فى مهمات إسهاداتهم.

مشيخته: أخذ عن السيد الحاج المهدي بن سودة، وأخيه الحاج احمد، والحاج مبارك، وابن الجيلالى^(١) السقاط، والمفضل ابن عزوز، والسيد المختار الأجرأوى ومن فى طبقتهم من جلة الشيوخ.

وفاته: توفى فى ربيع الثانى عام ثلاثة وعشرون وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الجيلالية من بلدة مكناسة الزيتون.

٧٩ - أحمد بن شيخ الجماعة فى وقته بمكناس السيد مبارك بن عبد الله السلجلماسى.

حاله: كان فقيها عالما نحريرا أستاذا، رحل إلى درعة واستوطنها واستفاد فيها وأفاد.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره ممن فى طبقتهم من الشيوخ، يروى عن والده دلائل الخيرات، وهو يرويه عن أبى حفص عمر بن المكى الشرقاوى عن شمهروش الجنى، عن مؤلفه ابن سليمان وبالسند إلى شمهروش عن النبى ﷺ يروى: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة ذاتك فى كل وقت وحين، وأن مرة واحدة منها تعدل بستمائة فدية من النار. انتهى. أجاز له والده عامة.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من ترجمته فى إتحاف المطالع فى الموسوعة

الآخذون عنه: منهم صديقنا المؤرخ الناقد السيد عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسى أنه أجازة عامة.

وفاته توفى بدرعة عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٨٠ - أحمد بن الحاج رحال البخارى.

حاله: لين العريكة رقيق الطبع حسن الخلق والخلق مزحه جد مشغل بما يعنيه عدل رضى وجيه نزيه، حىي نبيه فقيه، مجود تال ذاكر خاشع ناسك، محب فى آل بيت الرسول، لا يفارق نبهاء أعيانهم حتى كان يعتقد من لا يعرفه أنه شريف النسبة، تولى خطة العدالة عام سبعين ومائتين وألف وكان يقرئ الصبيان، وينوب عن أمين أمناء الحضرة المولوية المكناسية السيد بوعزة بن العربى الفشار فى خطة أبى المواريث وغيرها، نسخ بخط يده كتابا عديدة، وكان له إلمام بالحساب والتوقيت، أخبرنى ولده العدل الرضى السيد العلمى أنه أخبره أنهم من ذرية ولى الله سيدى عبد القادر المدعو بوالكرينات - بالكاف المعقوده دفين دار ام السلطان وأحاله فى رفع نسبهم إليه على عمه شقيق المترجم الأستاذ السيد عياد، ومع الأسف فإنه لم يلق بالا للسؤال عن ذلك، وفات استدراك تحقيق ذلك بموت الوالد وشقيقه.

مشيخته: أخذ عن شيخ جماعة القراء فى وقته بالحضرة المكناسية الأستاذ السيد اليزيد والعدل البركه السيد ابن يشو البخارى وغيرهم.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا العلامة الأصيل مولاي إدريس ابن السلطان مولانا سليمان المترجم فيما يأتى كان يكتب له كل يوم نصف حزب من القرآن فى لوحه ويكرر معه كذلك خمسه أحزاب مياومة بضريح سيدى محمد الغمارى المترجم فى المحمدين.

وفاته: توفى أواخر شوال الأبرك سنة تسه وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن
بوسعة ضريح سيدى عمرو الحصينى رضى الله عنه .

٨١ - أحمد بن محمد بن المأمون بن هشام بن محمد بن عبد الله بن فخر
الملوك وجد سلاطين المغرب المولى إسماعيل .

حاله: كان وجيه نبيها حيا أريحا تاليا لكتاب الله ذا تؤدة وصوت حسن
مائلا إلى الأدب ماهرا فى الحساب ومعرفة أحكام الزناتى والرمل والجدول
ومخالطة فن التنجيم .

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجلّة منهم السيد محمد القصرى ، والسيد محمد
ابن الهادى الفيلالى ، وسيدى حسن بن اليزيد وشيخنا العرائشى ، وعن السيد
فضول العرائشى موقت مسجد الضريح العلمى وغيرهم .

وفاته: توفى رحمه الله عام ثلاثين وثلاثمائة وألف ودفن بالضريح
الإسماعيلى .

٨٢ - أحمد بن الجيلالى^(١) الطّهّارى .

من أهل الزاوية الإدريسية .

حاله: كان فقيها عدلا تولى نيابة القضاء ببلده مرتين ثم أعفى ومات فجأة
وذلك أنه صبيحة يوم وفاته خرج للتفّسح مع عياله فى بستان له بضواحي الزاوية
وظل به مع أهله فى أنس ونشاط وبعد أن تناول الغذاء معهم تقدمهم فى الرجوع
لمنزله فأدركته منيته فى الطريق فمات من حينه قبل وصوله لمنزله .

وفاته: توفى عشية يوم الخميس سادس عشرى رجب عام ثلاثة وثلاثين
وثلاثمائة وألف .

٨٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٨٨٨/٨ .

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجيلانى» وصوابه من ترجمته فى إتحاف المطالع .

٨٣ - أحمد بن القائد محمد الشاذلي البخاري.

حاله: كان فقيها حيسوبيا ماهرا متضلعا في جميع أنواعه وله المام تام بمهمات فن الهندسة وجهه السلطان سيدي محمد لقراءة الفنون المذكورة بحاضرة فاس.

مشيخته: أخذ عن الولي أحمد الصويري المتوفى بمراكش عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف وعمن في طبقة من المتضلعين المشار لهم في الفن. الآخذون عنه: منهم السيد محمد بن المدني المكلف في دور الدولة العزيرية بخزائن العدة والسيد محمد الرجراجي وغيرهما.

وفاته: توفي عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف بالحضرة المكناسية.

٨٤ - أحمد بن العالم - اسما - ابن عبد الله الشريف القادري.

الرباطي النشأة والدار والوفاة.

حاله: كان علامة نقادا أديبا نزيها وقورا حيا متواضعا ذا سكينة وتؤدة بساما في وجوه الطلبة، صدر لخطبة الشهادة أواخر المائة الثالثة عشرة، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي، وكان من ذوى الوجاهة التامة مبعجلا عند سائر قضاة بلده وحكامها وكافة أهاليها واستخدم خدمات سلطانية في بعض البلدان كطنجة والعرائش والحديدية ومراكش ومكناسة الزيتون وكانت خدمته بمكناسة أواخر الدولة العزيرية ورحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة روضة الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أواخر هذه المائة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة برباط الفتح أبي إسحاق السيد إبراهيم التادلي المتوفى بعد غروب يوم الخميس لسبع عشرة خلت من ذى الحجة عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بمحل درسه من دار سكناه رحمه الله تعالى ورضى عنه لازمه في كثير من دروسه الفقهية والحديثية والعربية، وأخذ عن الفقيه المفتي

السيد الجليلي^(١) ابن إبراهيم الرباطي المتوفى فى أواسط جمادى الأولى عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وعن الفقيه الصوفى العلامة الشهير السيد الحاج عمر عاشور المتوفى فى ذى الحجة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، وعن العلامة الأجل القاضى السيد على دنية الرباطي المتوفى عام ستة وعشرين وثلاثمائة و ألف.

تأليفه: منها شرح على المرشد المعين من مطولات الشروح أكثر فيه من النقول.

وفاته: توفى رحمه الله أواخر عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بزاويتهم القادرية من رباط الفتح، أفادنى بجميع ما ذكر عنه بلديه العلامة النظار أبو حامد المكى البطاورى مكاتبه.

٨٥ - أحمد بن الصديق المعروف بالتواتى.

نسبه لتوات البلدة الشهيرة الشريف الحسنى العلوى.

حاله: شاب نشأ فى عبادة الله على الهمة ذو نفس أبية، وأخلاق نبوية مصطفىة، فقيه نبيه، علامة مشارك وجيه نزيه، ذو مروءة وديانة، وعفة وصيانة، رحل إلى الحج عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف، وهاجر لمدينة جده عليه الصلاة وأزكى التسليم، وطاب له بها المثوى، ودرس بمسجدها النبوى وأفاد واستفاد، لقيته أيام رحلتى لتلك الديار المشرفة وكان لى خير رفيق، وأجل صديق، مدة مقامى بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل صلاة وأزكى سلام ما فارقتى ولا فارقته مدة من ثلاثة أشهر كملا.

مشيخته: أخذ بمكناسة عن علمائها الجللة كشيخنا العرائشى، وشيخنا السوسى، وسيدى محمد الشيبهى وغيرهم.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «الجليلانى» وصوابه من ترجمته فى إتحاف المطالع فى الموسوعة

وبفاس عن شيخنا العلامة الناسك السيد الفاطمي الشراذى حفظه الله
وغيره .

وبالمدينة المنورة عن عالمها ومسندها شيخنا السيد أحمد البرزنجى، وعن
شيخنا البركة القدوة سيدى محمد بن جعفر الكتانى أبى الله وجوده، والعلامة
المحدث المفسر شيخنا الشيخ توفيق الأيوبى الأنصارى الشامى، وعن صديقنا
العلامة المفضل الشيخ عمر حمدان المحيرثى التونسى، وخلصنا الشيخ الزاهد الناسك
المعقولى عبد الباقي الهندى وغيرهم من فطاحل أهل العلم الجللة .

الآخذون عنه : منهم الفقيه النجيب حسن الأخلاق محبنا فى ذات الله حمزة
التكريتى وجماعة .

وفاته : توفى بالأرض المقدسة دمشق الشام بعد خروج المجاورين بالمدينة
وغيرهم من أهاليها فى الحادثة الشهيرة التى تنفطر لها الأكياد .

٨٦ - أحمد بن العربى بن الحنفى بن الطالب بن العربى بن الطالب الشريف
الحسنى العلوى الأمرانى يدعى صميم .

حاله : مجذوب مصطلم ساقط التكليف، ورد من بلدة تافيلات وهو بآتمه
وكان يتعاطى حرفة الدباغة فى أول أمره مشغلا بما يعنيه تاركا لما لا يعنيه إلى أن
حل به ما حل فسار لا يكلم أحدا ولا يأوى إلى أحد، يسكن دكانا خربا متهدما،
حدثنى غير واحد أنه كان يأتى لمن يبيع الخبز ويأخذ منه ما شاء من غير أن يؤدى
له ثمنا ولا يجد ذلك البائع نقصا فى مدخوله، دام معه على ذلك أعواما، وأنه
جاءه يوما بعض أوباش الأخطا وسار يهزأ به ويسخر منه وهو يطلب البعد منه
فلما لم يرفع يده يهدده وأوماً لبطنه كأنه يريد أن يطعنه من غير أن يمسه،
فصاح ذلك المستهزئ وخر مغشيا فحمل لمحلة فمات من حينه .

٨٦ - من مصادر ترجمته : موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٩٣٠ .

وفاته: توفى عشية يوم الخميس عاشر ربيع الثانى عام واحد وأربعين
وثلاثمائة وألف، ودفن من الغد بالضريح الإسماعيلى بعد أن صلى عليه بالجامع
الأعظم بعد خطبة الجمعة، ولم يتخلف أحد من أهل الفضل والدين عن تشييع
جنازته رحمه الله رحمة واسعة.

تم الجزء الأول